

مالك يوسف المظلي

التمزق واللغة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الزمن واللفظة

د: مالك يوسف المظلي



المكتبة المنشورية المستدامة للكتاب

١٩٨٦

الإهداء

إلى الحففساية . . مدينتي
وإلى نحرويتها المجهول . .
أبي.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بدأ اهتمامي بموضوع « الزمن في اللغة العربية » منذ ان تهيأت لي دراسة « التركيب الشرطي » في العربية ، وتطبيقاته في أحد المستويات اللغوية المعاصرة ، فقد لاحظت انه موضوع يثير تساؤلات متنوعة ومعقدة في آن واحد ، كما ان الاجابات التي قدمها الباحثون ، من القدماء والمعاصرين ، التي وقعت عليها ، جاءت مبسرة ، ومتناقضة في أكثرها . وقد اغرتني هذه الحواجز باجتيازها غير أن الصعوبة لا يمكن ان تدرك الا بعد ان تعاش .

لقد جرتني البحث في زمن اللغة العربية الى الوقوف امام أكثر الظواهر اللغوية تشعبا ، والتي تكون ما يمكن أن نطلق عليه شبكة معقدة من الأشكال والعلاقات ، تبدأ من المورفيمات فالصيغ فالمركبات بوصفها بنى لغوية صرفية من جهة ، ونحوية من جهة أخرى . وتنبهي الى النظر في « المعنى » وعلاقته بـ « الزمن » ، سواء أكان ذلك المعنى على صعيد « المعجم » ، أم على صعيد معنى الصيغة المفردة ، أم على صعيد الدلالة النحوية .

كما أن الأسئلة التي تثار هنا كثيرة : هل الصيغة هي المعبر عن الزمن في اللغة العربية ؟ وهل هي الصيغة الفعلية حسب ؟ وإذا كانت كذلك ، فما أثر الصيغ التي تنقل الى الفعلية ؟ ثم هل التعبير عن الزمن بالصيغة يتم خارج السياق وداخله بمستوى واحد ، أو بمستويات متباينة ؟ وهل هناك علاقة لنوع الجملة بالزمن ؟ هل تفقد الصيغ اتجاهاتها الزمنية داخل الجملة الشرطية مثلا ، لأن الزمن قد حددته سلفا طبيعة تلك الجملة ، من غير ان يكون لتغاير الصيغ أثر في تعيين حدود الزمن ؟ وهل الزمن في العربية يتأثر بنوع الأسلوب من حيث كونه انشائيا أو خبريا ؟ .

ثم ان الأمر لم يقتصر على ادراك ظاهرة الزمن في اللغة العربية وتفرعاتها بالنظر الى تلك اللغة بكونها لغة ذات بنية جاهزة للوصف ، بل بالنظر اليها أيضا بكونها لغة تاريخية تنماز بتعدد مستوياتها اللغوية . وتلك أهم معضلة تواجه بحوثا من هذا النوع ، تعني بـ « المدلول » ..

« والدال » في آن واحد ، إذ ينبغي للباحث أن يحدد « اللغة » التي يمدده نظامها بـ « الفروق النحوية » .

ان اللغة العربية فيما يمكن تصنيفه لأغراض التحليل ، تتمثل في ثلاثة مستويات تاريخية :

١ - العربية بكونها جزءا من عائلة اللغات التي سميت « اللغات السامية » ويمكن ان نطلق عليها « العربية التاريخية » .

٢ - « العربية الفصحى » وهي تسمية تختارها لتقابل العربية التاريخية : وهي التي سميت « العربية الحديثة » و « العربية الموحدة » لغة القرآن وكلام العرب وشعرهم .

٣ - « العربية المعاصرة » : وهي العربية التي تلت الفصحى وكونها تتساج القرون المتأخرة ، حيث تزداد الشقة اتساعا بين هذه العربية والعربية الفصحى كلما تقدم الزمن . وهذه العلاقة الطردية ، على لغة الرياضة ، بين الزمن واتساع الشقة لا تتعلق بـ « مفردات المعجم » وتطور المعنى فيها . فامر مثل هذا من طبيعة اللغات البشرية ، وله قوانينه اللغوية الموضوعية والذاتية ، بل الأمر يتعلق بالتركيب النحوية حيث نشأ ما يمكن أن نسميه « معضلة ابن السايقة » .

ان العربية الفصحى فقدت سليقيها ، ان صح ان نقول ذلك ، منذ أن بدأ (التركيب) في العربية يعبر عن تعددية في المعنى ، ليس مصدرها التركيب نفسه ، بل ما يحمل من معانٍ مصدرها التباعد بين اللغة وسليقيها .

في عصرنا هذا أصبح احساسنا بالفروق النحوية في العربية الفصحى ضعيفا ، بحيث يمكن ادراك هذا الضعف بادراك قوة احساس المتكلم بالفروق النحوية في العامية التي تستقر في عقولنا أبنيتها ونظامها ودلالاتها .

ولما كنا نناقش موضوع الزمن في العربية الفصحى ، لزم إعادة النظر في المادة اللغوية القديمة ، أي لزم إعادة الاستقراء ، كما لزم مناقشة المنهج والتفصيلات معا . كما أن تداخل المستويات اللغوية فرض علينا أن نتصل أحيانا بـ « ظواهر لغوية » في العربية التاريخية تارة ، والعربية المعاصرة تارة أخرى ، معرجين على ظواهر في اللهجات العامية العربية حيثما اقتضى الأمر مقارنة وتوضيحا .

ويعلم . . .

فهذا مؤلف يعرض لموضوع فيه طرافة وجدة ، قد يرد عليها غير المتخصصين .

وهو ثمرة تمازج المنهج اللغوي المعاصر والنظر اللغوي القديم .
وقد يرد عليه المتخصصون . وما أرجوه ، في كل حال ، أن يكون وردا مستساغا . والله من وراء القصد .

د . مالك المتلبي

الزمن اللغوى ٣

المصطلح

حاول كثير من الباحثين المعاصرين ، العرب خاصة ، عبر بحوثهم فى تخليص المنهج اللغوى من سيطرة الاتجاه العقلى التحليلي ، أن يفرقوا بين ثلاثة أنواع زمنية : الزمن الفلسفى المنطقى ، والزمن التقسويى الفلكي ، والزمن اللغوى . يقول الدكتور مهدى المخزومي : « لم ينجحوا - النحاة القدماء - فى تصور أن الزمن النحوى ، ليس كالزمن الفلسفى » (١) . ويقول الدكتور تمام حسان : « ينبغي أن نفرق بين الزمن النحوى والزمان » (٢) فكان ذلك كان مقدمة لتحديد مفهوم الزمن اللغوى . يعرف الدكتور المخزومي مفهوم الزمن اللغوى بأنه : « صيغ تدل على وقوع أحداث فى مجالات زمنية مختلفة ، ترتبط ارتباطا كليا بالعلاقات الزمنية عند المتكلم » (٣) .

ان المدقق فى التعريف السابق يجد أن الدكتور المخزومي لم يحدد مفهوم الزمن اللغوى بل حدد أدواته أو وسائله . أما محاولة التفريق بين مفهوم الزمن ووسائله فنجدها واضحة فى تعريف الدكتور تمام حسان ، الذى لم يكتف بذلك ، بل فرق فى الزمن اللغوى بين مفهومين : مفهوم الزمن الصرفي ومفهوم الزمن النحوى (٤) ، ان مفهوم الزمن الصرفي عنده هو وظيفة الصيغة (الفعلية) المفردة (٥) . أما مفهوم الزمن النحوى فعنده « وظيفة فى السياق » يؤديها الفعل أو الصفة ... الخ ، (٦) .

(١) فى النحو العربى لقد وتوجيه : ١٤٧ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ . ويستمر فى الدلالة مصطلح الزمان عند الدكتور تمام حسان فيما سياتى من هذا البحث .

(٣) فى النحو العربى لقد وتوجيه : ١٤٥ .

(٤) سنفصل فى بحث مفهومات الزمن اللغوى فى مواضعها فى مباحث الزمن الصرفي والزمن النحوى والزمن الدلال .

(٥) انظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٧ .

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ .

لقد صدر الباحثون اللغويون في قضية التفريق بين المفهومات الزمنية ومن ثم بين المصطلحات الزمنية عن مصطلحي الانجليزية Tense وهو مصطلح يدل على الزمن اللغوي من حيث كونه صيغا ذات دلالات زمنية . و Time وهو زمن الوجود .

ولقد ظهر ذلك الصدور جليا في اشارة الدكتور كمال بشر الى وجوب التفريق بين الزمن الفلسفي Time والزمن اللغوي Tense (٧) . وكان قد وضع الزمن المنطقي مرادفا لـ Time (٨) .

وفي ضوء ما تقدم ينبغي لنا أن نعيد النظر في نوعين من الأنواع الزمنية بإزاء الزمن اللغوي ، بغية تحديد :

(أ) طبيعة الزمن اللغوي .

(ب) مفهومه .

(ج) أدواته .

والنوعان هما : الزمن الفلسفي والزمن الفلكي (٩) .

إن الزمن الفلسفي ليس ، في جوهره ، زمنا بل هو النظر في الزمن داخل الوجود المادي أو خارجه ، أعني الوجود المتصور . ومادام نظرا عقليا فهو محل خلاف ، فتارة يكون مثالا ذهنيا تجريديا وتارة يكون حقيقة تكاد تقترب من التشخيص . وبعبارة أخرى قد يكون وجودا وقد يكون عدما . وعدمية الزمن قال بها : « نفاة الزمان : الزمان منه ماض وليس بموجود ومنه مستقبل ليس بموجود » . فأما الحاضر فمتقضى ، فإذا بطل أن يوجد بعد أو في الحاضر لاستحالة وجوده الآن فالزمان لا وجود له « (١٠) . وعلى عبارة برجسون Bergson : « الزمن اختراع ، أو هو لا شيء على الإطلاق » (١١) .

أما الزمن الفلكي : فهو آلة قياس الإنسان للأحداث والخبرات - كما أن المسطرة آلة قياس المسافة أو المكان - أو هو ذلك القسم من الوجود

(٧) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية ، مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤٥ .

(٨) المصدر السابق ، المقالة نفسها : ١٤ : ٤٥ .

(٩) اكتفيش ب : نوعي الزمن حدين لاحتكاكهما بفكرة الزمن اللغوي سلبا أو ايجابا كما سنعرض لذلك . وقد تجاوزنا الزمن الأدنى والزمن المسمى لكونهما تعبيرا عن ظاهرتين أخريين . الزمن النفسى لكونه تعبيرا عن حس فردى والزمن الفسيولوجى لكونه تعبيرا عن الأشياء وليس تعبيرا عنها .

(١٠) الزمان في الفكر الدينى : ٨٩ .

(١١) الزمن في الألب : ٧٦ .

الذى • يخضع للزمان ويجرى فيه كالأحداث الطبيعية والتاريخ • (١٢) .
ولهذا لابد لنا من تجسيم هذا الزمن أو تأطيره ليكون محسوسا ، فنحن
• مضطرون الى ربط أعمارنا بالساعة ، لأننا مفرقون في دوام المادة •
والساعة تقيس أحد أبعاد هذه المادة • (١٣) .

وعلى هذا فإن كلا الزمنين الفلسفى والفلكى زمن موضوعى أى
مستقل عن خبراتنا الشخصية • غير أن جوهر افتراقهما يكمن فى كون
ما سمي بـ « الزمن الفلسفى » نظرا فى الزمن • و « الزمن الفلكى »
هو الزمن ذاته • وعلى هذا فإن أبعاد الزمن الفلسفى غير محددة بالوجود
المادى ، على العكس من الزمن الفلكى ، الذى هو سجل طويل يمتد الى
أصاق سحيقة فى الوجود المكتشف فقط •

وإذا كان من الطبيعى أن يكون لكل نوع زمنى وسائله للنظر فى
الزمن الفلسفى والتقويم فى الزمن الفلكى والصيغ فى الزمن اللغوى فإن
السؤال الذى يمكن أن يثار هنا هو : ما الأمور التى تشترك فيها
هذه الأنواع ؟

لقد توفر البحث اللغوى ، القديم والمعاصر ، على جانب تطبيقى
لالتقاء مفهومى الزمن الفلسفى والزمن اللغوى • فقد نظر بعض النحاة
الى أقسام الزمن اللغوى وكأنها أقسام الزمن الفلسفى • فنفوا فى جانب
المنتطق وجود الزمن الحاضر ونفوا فى جانب اللغة وجود صيغة لهذا
الزمن • غير أن ذلك الملحظ سيمتد بالضرورة الى نفي صيغتي المستقبل
والماضى لأن كليهما غير موجود ، كما أشير الى ذلك (١٤) • ووفق هذا
تتنافر طبيعتا الزمن الفلسفى والزمن اللغوى ومن هذه الزاوية يمكن
أن يوجه نقد الى المباحث التى حاولت أن تجعل الزمن اللغوى ذا طبيعة
فلسفية •

غير أن التداخل بين مفهومى الزمن الفلسفى والزمن اللغوى يكمن
فى قضية ما سمي بـ الظروف (١٥) •

لقد درس النحاة الزمن والمكان النحويين تحت عنوان واحد فى قسم

(١٢) دراسات فى الفلسفة الوجودية : ٢٤١ •

(١٣) الانسان ذلك المجهول : ١٢٨ •

(١٤) ينظر ص ٩ الزمن اللغوى ، كما • تبحث هذه النقطة بالتفصيل فى الفصل

الآخر من هذه الرسالة الذى يتناول حقل الزمن الحاضر •

(١٥) ينظر الفصل السابع من هذه الرسالة الذى عقد على دراسة الظروف •

المفعولات - المفعول فيه . لأن لهما وظيفة نحوية واحدة هي وعائية .
الحدث . والفرق بينهما فرق معجمي ليس غير .

غير أننا نجد أن مفهوم « ظرف الزمان » يستقل عن مفهوم « ظرف المكان » في اللغة . وهذا أحد وجوه التوافق بين البحث الفلسفي والبحث اللغوي . لقد لاحظ فيلسوف معاصر هو كانت Kant أن « الزمان أعم وأشمل من المسافة » المكان ، لعلاقته بالعالم الداخلي للانطباعات والانفعالات والأفكار ، (١٦) . وهذا النظر في فلسفة الزمان والمكان ، كان قد تردد شيء منه في النظر إلى الزمن والمكان النحويين . فهذا سيبويه يقول وهو يعرض لمفهوم تعدى الفعل إلى الزمان والمكان (١٧) : « الأماكن إلى الأناسي وبحوهم أقرب والدمر ليس كذلك ، والأماكن لها جثة . وإنما الدمر مضي الليل فالتنهار ، فهو إلى الفعل أقرب » (١٨) .

وقد وجد هذا الخلاف تطبيقاً له في وقوع « ظرف المكان » خبراً عن جثة وامتناع وقوع « ظرف الزمان » خبراً عنها .

فإذا انتقلنا إلى البحث عن المشترك بين طبعيتي الزمن اللغوي والزمن الفلكي ، وجدنا أنهما ينتميان إلى طبيعة واحدة من حيث أنهما ينطويان على أبعاد مكانية . فكما أن للزمن الفلكي أبعاداً ، وكما أنه زمن مجسم يقاس بآلات معينة ، فكذلك الزمن اللغوي : له أبعاد مكانية من قرب وبعد واستمرار وانقطاع ... الخ ، وله آلات قياسه الخاصة به وهي الصيغ والمركبات وعبارة سيبويه في هذا المجال : « لأنك تفعل بالأماكن ما تفعل بالآزمنة » (١٩) . كما يشير في تحليلاته إلى ناحية الأبعاد في الزمن اللغوي ، يقول : « وأما « مذ » فتكون ابتداء غاية الأيام والأحيان كما كانت « من » فيما ذكرت لك » (٢٠) أي لابتداء الغاية في الأماكن (٢١) ، وقد قدم العالمان النحويان الرضي وابن يعيش ملاحظات دقيقة في هذا الجانب ، سنتناولها بتفصيل ، في الفصل الذي تعقده على دراسة حقل الزمن الحاضر في اللغة العربية .

إن إطار الأبعاد الذي ينتظم الزمنين اللغوي والفلكي يتمثل بالأقسام

(١٦) الزمن في الأدب : ٧ .

(١٧) ينظر الكتاب ١ : ٣٤ .

(١٨) الكتاب ١ : ٣٦ ، ٣٧ .

(١٩) المصدر السابق : ١ : ٣٦ .

(٢٠) المصدر نفسه : ٤ : ٢٢٦ .

(٢١) نفسه : ٤ : ٢٢٤ .

الزمنية التي يشتركان فيها : الماضي والحاضر والمستقبل ، وكلاهما يتجاوزان ما يعرف ، في الزمن الفلسفي ، بـ « الزمن الفاني » و « الزمن الأزلي » . كما أن كلا الزمنين يعنيان بتفريعات هذه الأقسام . والأجزاء التي تبدأ من ١/ من الثانية حتى « العصر » الفلكي . والجهات في الزمن اللغوي .

وخلاصة القول في هذه النقطة أن اللغة تتعامل مع الزمن على أساس أنه قيمة محسوسة مقطعة إلى خانات . وهو بذلك ، ذو طبيعة توقيتية . أما مفهومه ووسائله فيما ستجيب عنهما هذه الرسالة في مواضعها ، إذ يكونان أحد أهدافها الأساسية .

وينعكس كل ما تقدم في محاولتنا تقنين المصطلح الزمني .

إن المصطلح الأكثر رواجاً هو مصطلح الزمن أو الزمان . وهو مصطلح لم يرد لفظه في القرآن الكريم قط ، كما أنه لم يرد في كتاب سيبويه باستثناء وروده في سياق عام ومنه قوله : « فلما صار بمنزلة الوقت في الزمن » (٢٢) وقوله : « وأما الوقت والساعات والأيام وما أشبه ذلك من الأزمنة والأحيان » (٢٣) .

وملاحظة النصين السابقين تهدينا إلى أن دلالة كلمة « زمن » غير مستقرة عند سيبويه فهي تارة إطار للمقدار « الوقت » وتارة ترادفه « الوقت » . وما أشبه ذلك من الأزمنة » .

إن عدم رواج مصطلح « الزمن » عند سيبويه تمثل في عدم استعماله التسمية التي راجت في مباحث النحاة بصورة عامة أعني مصطلح (ظرف الزمان) (والظروف الزمانية) . وقد أطلق بدلاً منها تسمية « ظروف الدهر » (٢٤) ، ومن ذلك أيضاً قوله : « إذ وهي لما مضى من الدهر » (٢٥) و « إذا فلما يستقبل من الدهر » (٢٦) .

وكان سيبويه كان يتفادى لفظة « زمن » ومشتقاتها ، ومن ضروب ذلك التفادى أيضاً قوله « لا يكون (متى) إلا للأيام والليالي » (٢٧)

(٢٢) الكتاب : ١ : ٣٦ .

(٢٣) المصدر السابق : ١ : ٤١٨ .

(٢٤) الكتاب : ١ : ٤١٩ .

(٢٥) الكتاب : ٤ : ٢٢٩ .

(٢٦) الكتاب : ٤ : ٢٣٢ .

(٢٧) المصدر السابق : ١ : ٢٢٠ .

وقوله « هذا ما يكون فيه المصدر حينئذ » (٢٨) وقوله : « وما يختار ان يكون ظرفا » صفة الأحيان » (٢٩) . وفي المعجم تقع مادة « زمن » وشقيقتها « زمان » على معنى واحد . لسان العرب : « الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره » (٣٠) أما مادتا « دهر » و « زمان » فقد عرضتا مترادفتين تارة ومختلفتين أخرى . « قال شمر : الدهر والزمان واحد » قال أبو الهيثم خطأ شمر . الزمان زمان الرطب والفاكهة . وزمان الحر والبرد . قال والدهر لا ينقطع » (٣١) .

ولعل دلالة زمن أو زمان هذه أقرب الى طبيعة اللغة التي تقوم على زمن متفاوت أو زمن خاص وليس عاما . وعلى عبارة الحضري : « قد يراد به (الزمن) قطعة من الوقت » (٣٢) .

والملاحظ ان كلمة « الزمان » وليس « الزمن » هي التي كانت سائدة في مباحث النحاة القدماء ولا سيما في تحليل بنية الفعل والظرف . كانقول : « الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان » وقد يضيف قوم .. بزمان محصل » (٣٣) .

وكقول ابن مالك :

وقد ينسب عن مكان مصنف وذاك في ظرف الزمان يكثر

ويبدو مصطلح « الوقت » الصق بدلالة الظرف الزمني لأن الوقت « مقدار من الزمان » (٣٤) والظرف ، كما سنرى في موضعه من هذه الرسالة ، هو مقدار من الزمن في زمن الصيغة . غير أن سيبويه استعمل لفظ « الوقت » على أنه مقدار حسب أي ربما لا يكون في الزمن بل قد يكون « في المكان تشبيها بالوقت في الزمان لأنه مقدار منله فقال : ويتعدى

(٢٨) المصدر نفسه : ١ : ٢٢٢ .

(٢٩) نفسه : ١ : ٢٢٧ . وقد نجد تمليلا لعدم ورود لفظة زمن في القرآن وفي مصطلحات سيبويه . فمادة زمن : ذات دلالة سلبية - ومنها وجل زمن أي مبتلى - والزمان : العامة . وزمن يزمن زمتا وزمنة وزمانة فهو زمن . والجمع زمتون ، وزمن . والجمع زمني لأنه جنس للبلايا التي يصابون بها ويدخلون فيها وهم لها كارهون « انظر لسان العرب : ١٣ : ١٩٩ .

(٣٠) لسان العرب : ١٣ : ١٩٩ .

(٣١) لسان العرب : ١٣ : ١٩٩ .

(٣٢) حاشية الحضري : ١ : ١٩٦ .

(٣٣) شرح للفصل : ٧ : ٢ .

(٣٤) لسان العرب : ٢ : ١٠٧ .

الى ما كان وقتها في المكان كميل وقرسخ ويريد والجمع اوقات وميقات ، (٣٥) .

والخلاصة ان منهج النحاة فرض استعمال الفعل والصيغة وظرف الدهر وظرف الزمان ، لانه لم يكن يعنى بدراسة الزمن دراسة مستقلة .

اما الباحثون المعاصرون ، فقد راج عندهم استعمال مصطلح « الزمن » واقل منه « الزمان » لانهم نظروا الى موضوعه بكونه موضوعا نحويا مستقلا ، بعد ان كان منبثا في ابواب الصرف والنحو : كما تشير الى ذلك عنوانات المباحث الآتية : « الزمن والجهة » (٣٦) و « الفكرة الزمنية » (٣٧) و « الزمن في اللغة العربية » (٣٨) و « الفعل زمانه وابنيته » (٣٩) ، واريد بهذا المصطلح وسائل اللغة في التعبير عن الزمن وهي في جوهرها الصيغ .

وكما اشرنا في مفتتح هذا المبحث حاول معظم اللغويين المعاصرين من العرب ان يجدوا مصطلحين في العربية يرادفان مصطلحي الانجليزية Tense و Time . لكن المعضلة كانت تكمن في ان مصطلح Tense يشير الى الصيغة التي هي اعم في الدلالة الاصطلاحية عن الزمن . وقد أحس الدكتور مهدي المخزومي بشئ من ذلك . فكان عنوان مبحثه : « الصيغ الزمنية في العربية » (٤٠) . غير ان هذه التسمية فيما نرى ، ليست دقيقة ، لأنها كأنها تتضمن اشارة الى صيغ غير زمنية والحق ان الصيغة في العربية تندرج تحت القانون الآتي : (٤١) .

كل صيغة = لا زمن حتى يراد بها النص على ذلك .

وهو ما وماء الأستاذ حامد عبد القادر فجعل عنوان مبحثه « معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم » (٤٢) .

اما الدكتور تمام حسان فقد اقترح بهذا الصدد مصطلحين :

(٣٥) لسان العرب : ٢ : ١٠٧ .

(٣٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤١ .

(٣٧) من أسرار اللغة : ١٦٥ .

(٣٨) مجلة مجمع اللغة العربية : ١٤ : ٣٧ .

(٣٩) ينظر مؤلف الدكتور ابراهيم السامرائي الذي يحمل هذا العنوان .

(٤٠) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤١ .

(٤١) ينظر في تفصيل ذلك الفصلان اللذان سنتطرق علي دراسة (الزمن العربي)

و (امكانيات الصيغة) .

(٤٢) مجلة مجمع اللغة العربية : ١٠ : ٦٥ .

الأول : الزمن والثاني : الزمان . وجعل الأول يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة . وتحديد معنى الصيغ في السياق (٤٣) .

أما الثاني فعرّفه بأنه : « كمية رياضية من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة » (٤٤) .

وأرى أن استعمال مصطلحين ، مختلفي الدلالة ينتميان إلى مادة لغوية واحدة (٤٥) أمر ياباه منطق اللغة والمصطلح . وقد يسبب تداخلا دلاليا يناقض الفرض الذي جعل هذان المصطلحان غير مترادفين من أجله .

وواضح أن الدكتور تمام حسان كان يقصد بـ « الزمان الوقت » لأن زمن الطرف ذو دلالة توقيتية لكنه تفادى استعمال مصطلح الوقت لتجنب تخطي المصطلح النحوي القديم طرف الزمان . ولو وافقنا الدكتور تمام حسان ، جدلا ، على التفريق بين الزمن والزمان لكننا قد بحثنا في سبب عدم تضمن مبحثه « الزمن والجهة » إشارة إلى الزمان الذي عده الدكتور تمام نفسه ركنا من ركنين ينهض عليهما الزمن في اللغة العربية (٤٦) . ولكان عنوان بحثه تبعا لهذا « الزمن والزمان والجهة » وهو أمر أظن أن الدكتور تماما لا يرضيه .

كما أن تطبيق مقترح الدكتور تمام حسان على بعض المباحث المعاصرة في هذا الجانب سيثير معضلات منهجية في البحوث اللغوية المعاصرة ، ف : زمان الفعل عند الدكتور إبراهيم السامرائي هو زمن الفعل عند الدكتور تمام حسان وعليه فإن عنوان مؤلف الدكتور إبراهيم السامرائي وفق التحديد الدلالي للمصطلحات الزمنية التي اقترحها الدكتور تمام حسان ينبغي أن يكون « الفعل زمنه وأبنيته » .

إن المصطلح الذي يراه الباحث أجدر بالتبني ، في ضوء ما عرض له هذا التمديد ، هو مصطلح الزمن وما يلحق به من ألفاظ تفيد في تحديد دلالاته . كأن يدل على إطار عام فيقال الزمن في اللغة العربية أو الفكرة الزمنية ... الخ . أو يدل على تفصيلات فيقال : زمن الفعل وزمن الصيغة والطرف الزمني ... الخ .

(٤٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٢ .

(٤٥) ص ١١ من هذا الموضوع .

(٤٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

أما مصطلحات الأقسام : الماضي والحاضر والمستقبل ، والجهات :
القرب والبعد والاستمرار ... الخ فسنعرض لها في مواضعها من هذه
الرسالة بإزاء مصطلحات الصيغة التي تخرج إلى دلالات متعددة ، الزمن
واحد منها . فمصطلح التام كما سنرى هو معنى صيغة (فعل) أما
مصطلح الماضي فقد يلحق به ، ليكون لدينا فعل تام ماضٍ أو فعل تام
خال من الزمن ... الخ . وكذا القول في مصطلحي المضارع والطلب ...
فهما مصطلحان تختص بهما صيغتا (يفعل) و (أفعل) يقابلهما في
النظر إلى الناحية الزمنية مصطلحات الماضي والحاضر والمستقبل .

ومن المصطلحات التي سنتبينها في هذه الرسالة مصطلح المركب
الزمني الذي يتكون من الناحية الشكلية من (قرينة زمنية + صيغة
عملية) كـ (كان فعل) و (سوف يفعل) و (كاد يفعل) ... الخ .

انقسم الأول

الدراسة النظرية

مدخل الى مفهومات :

- الزمن الصرفي
- الزمن النحوي
- الزمن الدلالي

ينبغي لنا ، قبل البحث في زمن اللغة العربية ، البحث في البنية العامة لتلك اللغة ، التي يعد الزمن واحداً من مكوناتها . وليس من هدف هذه الرسالة ، أن يكون بحثها ، في هذا الجانب ، مفصلاً ، وهو أمر قد توفرت عليه عشرات المؤلفات والبحوث ، بل ما نقدم عليه ، هنا ، يهدف الى الكشف عن نقطة الزمن ، حين تستقر في محور اللغة ، في محاولة لايضاح طبيعته وتحديد وظيفته في اللغة العربية .

يعنى المنهج اللغوي ، بتحديد قطاعات اللغة ، لكي تتم الدراسة اللغوية من زاوية تحليلية ، تنقسم بالتخصيص .

فاللغة Language ليست في اعتبار اللغوي ، الا اجزاء أو جوانب يمكن النظر اليها نظراً مستقلاً ، في حين لا يحسن المتكلم والمتلقي العاديان ، الا بكونها « وحدة مجتمعة في نظام متكامل وفي جملة ميكانيكية واحدة » (١) لا يتضح منها سوى سلسلة من الأصوات تتولد عنها المعاني بطريقة « تجرى في سر كبير ، يشبه ، الى حد ما ، اتحاد المادة بالروح » (٢) ولم يكن هذا الأمر ، أعني تقسيم اللغة الى قطاعات ، بعيداً عن تناول البحث اللغوي العربي قديماً ، بل لقد كان ملمحاً متميزاً في منهج ذلك البحث وأن تفحص الاطار المسام لكتاب سيبويه يؤكد هذا الأمر فالكتاب يفضي الى ثلاثة اجزاء (٣) هي :

(١) الألسنية العربية : ط ١ / دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٢ : ٣ : ١ .

(٢) الألسنية العربية : ٢ : ٥ .

(٣) اذا تجاوزنا الصفحة الأولى من الكتاب ، التي تعرض لتقسيم الكلمات في العربية ، وتصريف الصيغ الفعلية باعتبار زمنها ، أو « علم ما الكلم من العربية » على حد عنوان سيبويه ، الكتاب : ١ : ١٢ - فان (الكتاب) يبدأ ببابه « مجازي أوامر الكلمات من العربية » الكتاب : ١ : ١٣ . أي الحركات الاعرابية ، ويليه باب « المسند والمستند اليه » الكتاب : ١ : ٢٢ . وهذا هو المدخل النحوي . ويلاحظ أن تقسيم الكلمات وتصريف الصيغ باعتبار زمنها جاء تمهيداً لهذا المدخل ، ولم يرد تمهيداً للمدخل الصرفي . أي أن ما يسمى اليوم بـ (مباني التقسيم ومباني التصريف للفعل) زمنياً (وهذا مبنيان صرفيان عند بعض المعاصرين) / انظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٨٣ و ٨٤ / قد جعلهما (سيبويه) رأس دراسته النحوية وقد جعل الرضى ، الذي فصل بين النحو والصرف فصلاً تاماً ، فصار لكل موضوع منهما ، لديه ، مؤلف مستقل وهذا (شرح الكافية في النحو) و (شرح الكافية في الصرف) ، أقول قد جعل الرضى مبني التقسيم ومبني التصريف الزماني للصيغ على رأس موضوعاته النحوية ، أما في كتابه في الصرف (الشافية) فلم يعرض لهما قط . لاحظ موضوعات الجزء الأول من (الشافية) : « أنواع الأبنية » ، « الميزان الصرفي » ، « أبنية الفعل للماضي المجرد » ، « أبنية الفعل للماضي المزيد » و « أبنية المضارع وأبوابه » . وهو أمر يتطابق مع ما جاء به (الكتاب) حين عرض لبناء الأفعال في جزئه الرابع / ينظر الكتاب : ٤ : ٥ . ان هذا المنهج ، المتمثل بثلاثة الموضوعات

١ - في النحو أو التركيب أو بناء الجملة Syntax

٢ - في الصرف أو بناء المفردة Morphology

٣ - في الأصوات Phonetics, Phonology (٤)

ويحتاج الكتاب لكي يشتمل على جوانب اللغة كلها ، الى جانب آخر ، يضيفه علم اللغة Linguistics الى هذه الجوانب الثلاثة : النحو والصرف والأصوات ، وهو جانب الدلالة Semantics (٥) الذي ينطوي ، فيما ينطوي ، على الدراسات المعجمية (٦) . على أنه ينبغي أن نقول هنا أن هذا التقسيم الرباعي ليس ثابتاً فهناك من يوسع فيه ، فيرى ان « فك البناء اللغوي يفضى الى الجوانب الصوتية والمعجمية أو اللغوية والصرفية أو التصريفية ، والنحوية والجمالية وأخيراً دراسة الأساليب » .

إذا أمكننا الآن ، أن نتصور ان اللغة بناء ذو أربعة طوابق ، يمكن بالتحليل اللغوي وضع حدود بينها ، فإن السؤال الذي يثار هنا ، هو :

« يقطعه اللغوي عكس ، عند النجاة القدماء ، قضية أساسية في موضوع الزمن اللغوي تتمثل بأن الزمن الصرفي هو نفسه الزمن النحوي ، أو بعبارة أخرى أن الزمن الذي تدل عليه الصيغة خارج السياق ، يستند ، بدلالته نفسها ، داخل السياق » .

لما الدراسة الصرفية التي اشتمل عليها (الكتاب) فقد عرض لها في منتصف جريته الثالث ، حيث تبدأ الدراسة العربية بـ « باب التفتيش والجمع » / ينظر (الكتاب) : ٣ : ٣٨٩ . و « باب بناء الأفعال » الكتاب : ٤ : ٥ . و « الباب الذي يسميه النحويون التصريف » / الكتاب : ٤ : ٢٤٢ . وتستغرق الدراسة الصرفية نصف الجزء الثالث والجزء الرابع عدا الحسب مسطرة الأخيرة التي استغرقها الدراسة الصوتية التي بدأها « باب عدد حروف العربية ومكادرجها » / ينظر : الكتاب : ٤ : ٤٣٦ .

(٤) المدخل الى علم اللغة : ١ / دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة - ١٩٧٦ : ٦٧ . ويلاحظ على تقسيم (سيويو) انه ينطلق من الكل - التحسس - الى الجزئي - الصوت - في حين يلاحظ على التقسيمات المعاصرة ميلها الى دراسة اللغة من الجزئي الى الكل .

(٥) المدخل الى علم اللغة : ٦٧ .

(٦) المصدر السابق : ٨٢ . ويلاحظ في مجال الدراسات العربية القديمة ، ان علم الدلالة كان فرعاً استغل به دارسون تخصصوا في جمع المادة اللغوية عن طريق الاستقراء ، ووضعوا ذلك في طائفة من الرسائل أو الموضوعات التي تدور في مجال دلالي محدد ، كموضوعات الاصل والفرع والانساق - الخ - / وينظر : نظرية النحو العربي / الهامش ١٣ و ١٤ .

أين يكمن الزمن في اللغة العربية ؟ أم هو ذو خاصية صرفية ، تميز عنه صيغ Tenses ثابتة في الجدول الصرفي ؟ أو أنه نحوي لا يمكن تعيين حدوده وجوانبه إلا من خلال معطيات السياق وتشابك القرائن فيه ؟ أم هو مادة غير مستقرة في بنية العربية ولا يعدو أن يكون وقتا Time معلوما بالدلالة التي تنص عليه نصا ، من خلال معنى المفردة المعجمي والمعنى الزمني الذي يترشح عن التركيب ، والمعنى الذي يشتمل عليه سياق الحال Context of situation وبذلك يخرج الزمن في العربية من سمة النمطية ؟

لنرمز لحقول اللغة بما يأتي :

الصوت : ص
الصرف : ف
النحو : ن
الدلالة : د

فإذا رمزنا للزمن اللغوي بـ (ز) ، فسيكون لدينا المخطط الآتي :

ص	ف	ن	د
ز	ز	ز	ز

وأول ما تقوم به هو طرح الحقل (ص) الذي يضم الوحدات الصوتية Phonemes . وذلك لأننا نعرض للعربية الفصيحة التي فقدنا الاتصال بنظامها الصوتي باستثناء قضايا يسيرة لا تقسم شيئا يذكر في هذا المجال (٧) . وهكذا يلتئم (ز) مع الحقل الثلاثة :

ف	ن	د
ز	ز	ز

وإذن ينبغي أن نعرض للمعضلات النظرية التي واجهت ارتباط الزمن باللغة ، ولا تزال تواجهه ، تلك المعضلات التي تتفرع عنها أمور تتصل بالمنهج اللغوي القديم والحديث ، وبعبارة أخرى ينبغي لنا أن

(٧) المخطط الذي يعبر عن احتكاك الزمن اللغوي بالصوت اللغوي في العاية يمثل بما نتجه (الكمية) الصوتية من دلالة عامة ودلالة زمنية . فالفعل (راح) تفسر استطلاعة صوت الله فيه (الألف) بطول الله الزمنية التي مرت على حدوث ذهابه أو بان الحدث انقطع في الماضي ، أي يفسر بالماضي البعيد .

نحدد منطلقا لدراسة الزمن في اللغة العربية ، لكي يجوز لنا الانتقال الى دراسة جوانبه التطبيقية ، وهو أمر لم يعن به كثير من الباحثين ، كما سنرى ، الأمر الذي أدى الى اضطراب العلاقة بين الاشكال الزمنية والدلالات الموضوعية بازائها .

يمكن توزيع الآراء التي انتظمت مناقشات الباحثين في زمن اللغة العربية على ما يأتي :

١ - ينطوي بنية اللغة العربية على صيغ Tenses تعبر عن اقسام الزمن وجهاته Aspects . وهي غنية بهذه الصيغ في مستوياتها الصرفية ، كما هي الحال في اللغات (الهندو أوروبية) .

٢ - نفتقر العربية الى وجود هذه الصيغ ، أو ان الصيغ التي تعبر عن الزمن في العربية لا تتعدى الصيغتين .

٣ - العربية غنية بالصيغ الزمنية داخل السياق ، وليس خارجه . ومنهج النحاة القدماء الذي ربط الزمن بالصيغة ربطا صرفيا ، ولم يجعله سياقيا هو الذي أوهم بافتقار العربية الى تلك الصيغ الزمنية .

٤ - العربية غنية بالزمن في أساليبها العامة ، أي في نظامها الدلالي ، وليس في صيغها الصرفية واتجاهات تلك الصيغ نحويا .

وستحاول هذه الرسالة ، في قسمها الأول ، أعنى قسمها النظري ، من خلال مناقشة تلك الآراء ، الكشف عن سمات زمن اللغة العربية ، وتحديد طبيعته فيها .

الزمن الصرفي

يسرد في معظم المباحث أن صيغة (فعل) تشير إلى الزمن الماضي ،
وأن صيغتي (يفعل) و (افعل) تشيران إلى الحاضر والمستقبل .
ولما كان النظام الصرفي يقسم إلى السياقات التالية
نحمل إليه سماتها الدلالية ، فإن صيغة فعل مثلا ، التي تعين الماضي
فيها بـ « البناء » (١) ينبغي أن نحافظ على تلك الدلالة الزمنية حين
نتنقل إلى السياق (٢) . ومن هنا دمج سيبيويه الصيغ الفعلية إلى
السياق محققا اختيارا ضمنيًا لصحة دلالاتها على أزمانها التي قررهما
في مفتتح كتابه (٣) . قال : « فأما المستقيم الحسن فقولك : « أتيتك
أمس » و « سأتيك غدا » . وأما المحال فان تنقض أول كلامك بآخره
بقول : « أتيتك غدا » (٤) .

على هذا تتضمن بنية الفعل إشارة إلى جهة زمنية محددة ولما كان
الظروف قد توضع عليه ، أصلا ، لتعيين جهة زمنية محددة ، أمكن اختبار
جهة زمن الفعل به ، وهذا هو الذي فعله سيبيويه مضيغا إليه نقل الفعل
إلى نطاق الاسناد ، أي إلى الجملة ، لتقرر بذلك العلاقة بين الصرف
والنحو . ويمكن وضع تحليل سيبيويه على الوجه الآتي :

- ١ - الصيغة في مجالها الصرفي أي في مجال بنائها الإفرادي ، وهو
قوله : « فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث » (٥) .
- ٢ - الصيغة في مجالها السياقي وهو قوله : « أتيتك أمس » (٦) .

(١) الخصائص : ط ٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت - ٠٠ ت : ٣ : ٩٨ .
(٢) قد يقسم القالب عدة معان إلى السياق . مثال ذلك ما يقدمه (استعمل) من
معاني الطلب والصبر والقوة والمصادفة - - الخ غير أن غالب الصيغ الزمنية يتميز بكونه
يعبر عن دلالة واحدة هي الزمن في قسم من أقسامه . ينظر شذا العرف في من الصرف :
ط ١٨ / مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - القاهرة ١٩٧١ .
(٣) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ .
(٤) الكتاب : ١ : ٢٥ .
(٥) الكتاب : ١ : ١٢ .
(٦) المصدر السابق : ١ : ٢٥ .

أى أن الزمن يبتدىء بالصيغة ويستمر بها .

وقد حاول الدكتور تمام حسان من المعاصرين بإزاء تقارير الدلالة الزمنية للصيغة حين تنتقل من مجالها الصرفى الى مجالها السياقى أن يجعل للصيغة الواحدة زمنين : زمننا صرفيا وآخر نحويا ، وعلى عبارته : « يكون الزمن الصرفى ، قاصرا على معنى الصيغة ، يبدأ بها وينتهى بها ، ولا يكون لها عندما تدخل فى علاقات السياق (٧) » .

ومثل هذا الأمر لا يمكن تصوره البتة ، إذ لا يمكن تصور صيغة منفصلة على نفسها فى اللغة ، تحتفظ بدلالة مستقلة خارج مجال الاستعمال .

وهكذا يتحدد المفهوم الصرفى للزمن بـ أن تعبر الصيغة عن زمن ما فى مجالها الافرادى ، وتستمر فى التعبير عنه هو فى مجالها التركيبى . والمعادلة التى ينتجها هذا المفهوم هى : شكل الصيغة = الزمن .

وان هذا الشكل يتغير فيتغير معناه الزمن ، فتنشأ بذلك أقسام الزمن اللغوى . ان سمة التصريف الفعلى (فعل ، يفعل ، افعل) انما تحققت فى اللغة لأن الزمن ليس قسما واحدا . وهذا هو معنى عبارة (ابن يعيش) : « ان أصل الأفعال أن تكون متصرفة من حيث كانت منقسمة بأقسام الزمان » (٨) ولقد ترددت مقولة شكل الصيغة = الزمن ، وكأنها واحدة من المقولات الأساسية التى تنطوى عليها بنية العربية ، ففى مفتتح الكتاب حللت الصيغة الفعلية الى عنصرى المادة والبناء - الشكل - على النحو الآتى :

شكل الصيغة

مادة الاشتقاق

« الفاظ أخذت من أحداث الأسماء » (٩) .

« وبنيت لما مضى ولما يكون وما هو كائن » (٩)

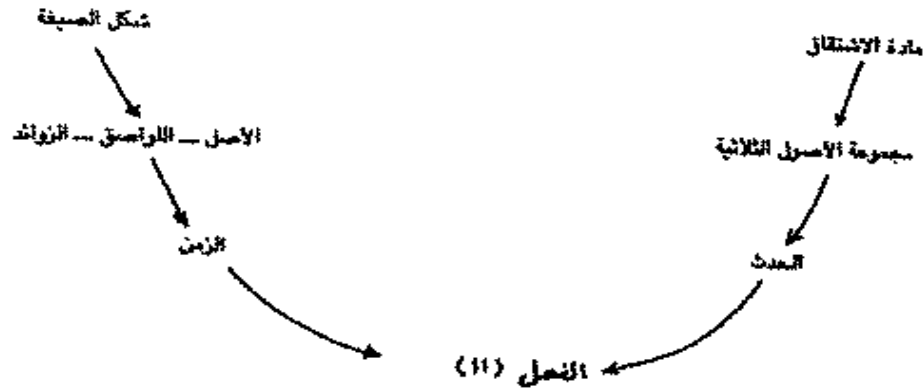
(٧) اللغة العربية مناما وميناما : ٢٤٢ .

(٨) شرح الفصل : ٧ : ١١٦ .

(٩) الكتاب : ١ : ٢ .

وقد وجد هذا التحليل صدها في البحوث التالية :

• الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان (١٠) ، كما انه لا يزال دائما في مخططات المحدثين :



وتنطوي العربية من حيث أشكال صيغها الفعلية على ثلاثة : (فعل ويعمل وافعل) وعبارة سيبويه : « بنيت - الأفعال - لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع » (١٢) . ان سيبويه الذي يجعل المصادر أو أسماء الأحداث أصلا للاشتقاق ، يفسح المسألة على الوجه الآتي :

اسم الحدث يتحول الى فعل . وهذا التحول يستند الى تغير في البنية . وما هذا التغير في البنية الا اشارة الى الزمن .

ان الفرق بين ضَرَبَ وضَرَبَ يكمن في البناء فضرب بناؤه فعل . وضَرَبَ بناؤه فعل .

ويرى سيبويه ان (ضرب) اخذ من لفظ (ضَرَبَ) فهما المادة نفسها الا أن الفرق بينهما ، الذي ملحظه التحور البنائي ، الذي طسراً على المصدر ، يستند الى الزمن .

ان اهم ميزة يختص بها الفعل ، تبعاً لهذا ، ليست مادته فهذه مسألة وجدت في المصدر بل ان ميزته تكمن في أنه يعبر عن الزمن

(١٠) الفصل : ٢٤٣ .

(١١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٤ .

(١٢) الكتاب : ١ : ١٢ .

فجوهر الفعل الزمني (١٣) . وهكذا - ووفق هذا التحليل - قدمت الصيغ الثلاث :

(فعل) و (يفعل) و (افعل) باعتبارها الزمنى على رأس موضوعات النحو ، ودرست أبنية الفعل باعتبار دلالاتها غير الزمنية في الجانب الصرفى وقد لاحظنا ذلك بتفصيل في مدخل هذه الرسالة (١٤) .

وبين الجدول الآتى أشكال الصيغ الزمنية والدلالات الموضوعية بازائها كما رآها النحاة :

الصيغة	الماضى	الحاضر	المستقبل
فعل			
يفعل			
افعل			

وهذا هو منتهى الزمن الصرفى للغة العربية . أما صيغة (فاعل) فقد اتفق على انها صيغة غير زمنية بالمفهوم الصرفى للزمن . ومن عدها فعلا ، وسماها الفعل الدائم ، وهم الكوفيون ، جعل ذلك لما لاحظوه من امكانيات الفعل فيها داخل التركيب . وقد تابعهم فى ذلك عدد من المعاصرين ، وعلى رأسهم الدكتور مهدى المخزومي الذى أفرد لصيغة (فاعسل) قسما فى جدول الزمنى . غير ان عبارته تنص على زمنية هذه الصيغة فى نطاق التركيب ، وليس فى نطاق الافراد : « فاعل كذا » - فاعل كذا » (١٥) . فالبحت فى صيغة (فاعل) والصيغ التى تنطوى على أحداث سيكون فى الفصل الثانى الذى نمنعه على دراسة امكانيات الصيغة .

أما تفريعات الأبنية الفعلية فقد نظر اليها فى المنهج النحوى القديم من زوايا أربع (١٦) .

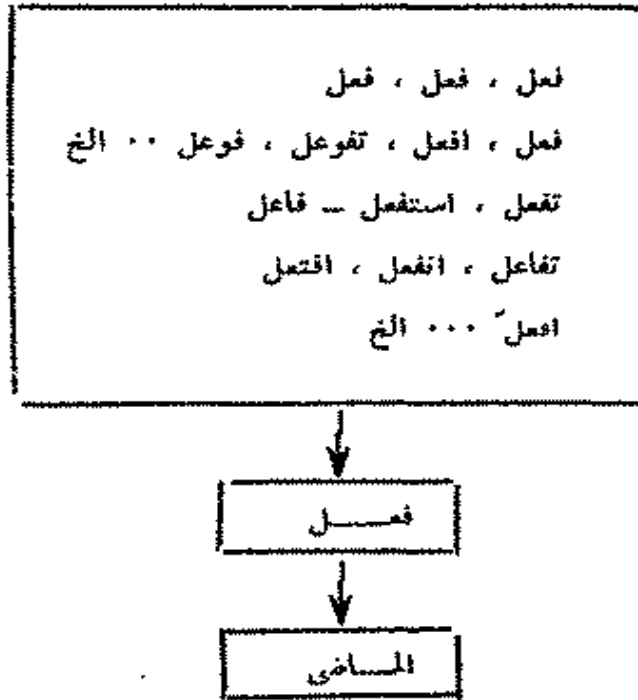
- (١٣) يستند هذا التحليل الى مجموعة آراء سيبيويه / ينظر الكتاب : ١ : ١٢ .
 (١٤) ينظر : ص ٢٠ و ٢١ من المدخل / الهامس رسم : ٣ .
 (١٥) ينظر فى النحو العربى : نقد وتوجيه : ١٥٨ .
 (١٦) ينظر فى تفصيل ذلك : الإشباه والنظائر : ٢ : ٩ .

- (أ) زاوية شكلية .
- (ب) زاوية دلالية .
- (ج) زاوية تصريفية .
- (د) زاوية صوتية .

ففى الزاوية الشكلية قسم الفعل باعتبار عناصر بنائه الى مجرد ومزيد ، وباعتبار حركة عينه الى مفتوحها ومضسوموها ومكسورها ..
النخ .

وفى الزاوية الدلالية الى ما يترشح عن أبنيته من معانى المطاوعة والنعدية والسدة والمشاركة والزمنية .. النخ . وفى الزاوية التصريفية الى مستوى تصرفه وجسوده . وفى الزاوية الصوتية الى ما يطرأ على بنية الفعل من اعلا لى وابدال وقلب .. النخ (١٧) .

واذا نظرنا فى المخطط الآتى ، أمكننا النظر الى الزمن من خلال التفريع فى أبنية الفعل :



ان مجموع الصيغ فى المربع الكبير تتحد فى كونها صيغة للماضى ، وتفترق كل واحدة عن الأخرى ، بما تحمله من دلالة أو عدة دلالات خاصة

(١٧) ينظر : شلا العرف فى فن الصرف : ٢٦ وما بعدها .

بها ، وهكذا صيغتا (يفعل) و (افعل) . يقول سيبيويه : « فهسة »
الأمثلة - الأفعال الثلاثة - لها أبنية كثيرة سنبين ان شاء الله » (١٨) .

ان هذه « الأبنية الكثيرة » ، التي هي تفرعات ، باعتبار الزمن ،
للأبنية الرئيسية الثلاثة ، لم تكن سمة من سمات الفعل العربي حسب ،
بل كانت سمة من سمات الفعل السامي ، كما يرى ذلك عالم اللغويات
الفرنسي الأستاذ (فنديس) . يقول : « ندهش عند ما نرى فيها -
اللغات السامية - هذه المجموعة الكبيرة من الوسائل للتعبير عما بين
الفعل والفاعل من صلات : السببية ، والكثر والشدة والتمنى والرجاء
والأمر والمفاعلة والمطاوعة وكل هذه المصطلحات الفنية لا تزال تشير
الى قصائل في الفعل السامي » (١٩) .

على أن هذا الغنى في تنوع أبنية الفعل السامي يقابله فقر في أبنيته
الزمنية وعلى عبارة فنديس : « ليس في السامية المشتركة أية وسيلة
لتمييز بين أزمنة الفعل المختلفة » . ويسيطر فيها التعبير عن الاستغراق
لا التعبير عن الزمن » (٢٠) .

ولقد توالى اشارات النحاة القدماء بصورة تكاد تكون منتظمة ،
تربط بين الصيغة الفعلية والزمن ربطاً صرفياً (٢١) . وقد جعلوا
الشواهد التي ساقوها تستند الى هذا الملحظ (٢٢) ، ويمكن أن نوجز
محاولات البحث في طبيعة الزمن الصرفي ووظيفته بما يأتي :

١ - البحث عند النحاة القدماء .

٢ - البحث عند اللغويين المعاصرين .

في طبيعة الزمن الصرفي ووظيفته عند النحاة القدماء :

يستند الزمن في اللغة العربية ، كما أشرنا الى ذلك في مفتتح هذا
الفصل ، الى مفهوم محدد وهو أن الصيغ الفعلية التي يتمثل فيها هذا
الزمن ذات طبيعة صرفية ، أي أن دلالة الصيغ الصرفية على الزمن تمتد
الى عمق النظام النحوي ، فصيغة الماضي خارج السياق هي ذاتها داخل
السياق ، وكذلك صيغتا « يفعل » و « افعل » اللتان تعينان زمن
الحاضر والمستقبل .

(١٨) الكتاب : ١ : ١٢ .

(١٩) اللغة : ١٣٦ .

(٢٠) اللغة : ١٣٦ و ١٣٧ . وسنعرض لظنية غنى العربية بالصيغ الزمنية او فقرها
في البحث الذي نقتنه على دراسة الزمن الصرفي في الدراسات المعاصرة .

(٢١) ينظر الأشباه والنظائر : ٢ : ١٠ .

(٢٢) ينظر الكتاب : ١ : ٢٥ والأصول في النحو : ١ : ٤١ .

وقد سبقتنا الإشارة الى أن سيبويه الذى جعل الأبنية الفعلية باعتبار الزمن ، خارج السياق ، ثلاثة :

١ - لما مضى .

٢ - وما يكون ولم يقع .

٣ - وما هو كائن لم ينقطع (٢٣) ، جعل تلك الصيغ الزمنية أساسا فى تحديد قياس الزمن اللغوى داخل السياق . فكان الصيغة هى التى تحدد زمن السياق لا القرائن والملايسات .

ومتلا تعين صيغة الماضى (أتى) طرفها الزمنى (أمس) . أو ما فى معناه من ظروف الزمن الماضى ، ليكون الكلام مستقيما حسنا . فإذا اختلف طرف آخر ، مناقض لزمن الصيغة ، مع الصيغة ك (غدا) و « واتى » كان هناك خطأ فى التركيب ، لأن الصيغة لا يمكن أن نخطئ زمنيا لأنها هى الزمن فالخطأ اذن موجود فى الطرف ، بل ان استقرار صيغ الزمن الصرفى فى النظام النحوى ، لم يكن أمرا مسلما به عند النحاة حسب بل تعدى ذلك الى تفسير ظواهر اعرابية فى ضوء استقرار تلك الصيغ فى دلالتها على الزمن . ان سيبويه يعقد مقارنة بين صيغتين اسم الفاعل المتون والفعل المضارع . فصيغة اسم الفاعل المتون ينبغى أن ينحصر زمنها بالحاضر والمستقبل مطابقة لها مع صيغة المضارع وذلك « قولك » هذا ضارب زيدا غدا « فمعناه وعمله مثل : « هذا يضرب زيدا غدا » ، فإذا حدثت عن فعل فى حين وقوعه غير منقطع كان كذلك ، وتقول « هذا ضارب زيدا الساعة » فمعناه وعمله مثل : « هذا يضرب زيدا الساعة » (٢٤) . فإذا خرج الزمن الى الماضى عدمت المطابقة بين صيغتي اسم الفاعل والفعل المضارع لأن وجود طرف يشير الى الأمس يفترض بالضرورة عدم وجود صيغة المضارع والا كان الكلام محالا على عبارة سيبويه (٢٥) قولك « هذا قاتل عمرو أمس » ولهذا السبب انكفا اسم الفاعل عن العمل فجر ما بعده « لخروجه من شبه الفعل المضارع معنى وعملا » على عبارة سيبويه (٢٦) . وان كون الكلام : « هذا قاتل عمرو أمس » مستقيما حسنا يجوز لنا أن نحول صيغة « قاتل » بدلالة الطرف « أمس » الى قتل ، كما يرى سيبويه ، وهو يبسط هذه المسألة فيقول « ولو قلت : « هذا ضارب عبد الله وزيدا » جاز على الضمار فعل أى « وضرب زيدا » ، وإنما جاز هذا الضمار لأن معنى الحديث فى قولك

(٢٣) الكتاب : ١ : ١٢ .

(٢٤) الكتاب : ١ : ١٦٤ .

(٢٥) الكتاب : ١ : ٢٥ .

(٢٦) المصدر السابق : ١ : ١٧١ .

« هذا ضارب زيدا » : « هذا ضارب زيدا » وإن كان لا يعمل عمله « (٢٧)
إذا نجحنا نظرية عمل اسم الفاعل إذا طابق المضارع ، وانكفائه عن
العمل إذا طابق الماضي ، فإننا نستخلص أن سيبويه يتعامل مع صيغة
زمنية ثابتة في بنية العربية على المستويين الصرفي والنحوي ، وأن صيغة
أخرى كصيغة « فاعل » ليس لها دلالة على الزمن في المستوى الصرفي
تتشرب الزمن ذاته في المستوى النحوي . وكأننا هنا ، أمام نسق زمني
يتشكل على النحو الآتي :

- ضارب + غدا = يضرب
- ضارب + الساعة = يضرب
- ضارب + أمس = ضرب

اذن فالنحاة رأوا أن بنية العربية تنطوي على زمن ذي طبيعة
صرفية ، كما رأوا أن « حكم الأفعال أن تأتي كلها بلفظ واحد لأنها معنى
واحد ، غير أنه لما كان الغرض في صناعتها أن تفيد أزمنتها خولف بين
مثلها » (٢٨) « نحو : قام ويقوم وقم » (٢٩) أما انحراف الصيغ في
التعبير عن دلالتها الزمنية الصرفية عندما تتحول إلى السياق ، فقد أجابوا
عنه ، كل في موضعه ، ولم يجدوا في ذلك نقضا لطبيعة الزمن في
العربية ، بل لم يجدوا أنه حتى عندما نظرا عليه هذه التغيرات ، ذو
طبيعة تعددية .

ويوضح الجدول الآتي مقطعا من هذه البنية الزمنية :

القسم اللغوي	الزمن	الصيغة	
الصرف	الماضي	فعل	أ
النحو	الماضي	فعلت أمس (٣٠) غدا	ب
النحو	الماضي	لما فعلت أمس	ج
النحو	المستقبل	إن فعلت غدا	د

(٢٧) المصدر نفسه : ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢٨) الخصائص : ٣ : ٢٢٦ .

(٢٩) التوطئة : ١١٤ .

(٣٠) هذا التركيب موهوم ، ضربه سيبويه وسماه بالمحال ، ينظر الكتاب : ١ : ٢٥
ويجب فيه أن الصيغة التي بنيت لما مضى تحافظ على دلالتها خارج الاستعمال وداخله ،
ولا تنسجم إلا مع ظرف ماضٍ .

ان الحظين ب و ج في الجدول ليسا الا صورة مكررة للخط ا .
وينطبق ا ، و ب ، و ج يتطابق المستويان الصرفي والنحوي من حيث
تعبير صيغتهما عن الزمن . أما في الخط د فتتحرف الصيغة الى المستقبل .

ان امتداد ا الى ب و ج يعنى وجود الزمن الصرفي في العربية .
او ائتلاف « ز » ب « ف » . كما رمزنا له . أما انقطاع ا عن د فيعنى
وجود الزمن النحوي في العربية أو ائتلاف « ز » ب « ن » . ويتبر التنافض
بين ب و ج من جهة و د من جهة أخرى عدة أسئلة منها : هل الصيغة
غير ثابتة في دلالتها الزمنية داخل السياق ؟ وهل تنقسم بنية العربية
فيما يخص توزيع الصيغ الزمنية بعدم وجود نسق زمني ؟ وإذا كانت
اشكال الصيغ تعبر عن دلالة زمنية واحدة فلماذا وجدت هذه الاشكال ؟

لقد قدم النحاة العرب جاتبا من الاجابة ، وأسسوا عليه منهجهم في
زمن اللغة العربية ، اذ رأوا ، كما مر ، أن « حكم الأفعال أن تأتي كلها
بلفظ واحد ، لأنها لمعنى واحد ، غير أنه لما كان الغرض في صناعتها ان
تفيد أزمنتها خولف بين مثلها » (٣١) .

ان الخلاف بين مثل الأفعال أو أشكال صيغها ، فسر عند النحاة
تفسيرا زمنيا واستمر هذا التفسير قائما داخل السياق ، على الرغم من
اضطراب حركة الصيغ في التعبير عن الزمن فيه . وهكذا انطوى المنهج
النحوي القديم على محاولات الموازنة بين المنطلق الأول ، وهو التفسير
الزمني لخلاف المنل ، والتغيرات التي تطرأ عليه داخل السياق .

أما اجابة الباحثة عن الأسئلة السابقة فيرجعها حتى يعيد فحص
الصيغة المنتجة للزمن في العربية ، ويراقب حركتها في المجال النحوي .
وهو ما سنتكفل به الفصول القادمة من الرسالة .

لم تكنف تحليلات النحاة هنا بتوضيح طبيعة زمن اللغة العربية
— وهي الطبيعة الصرفية — بل ضمننت إشارة الى وظيفته ، فقد رأوا أن
للزمن الصرفي وظيفة حاسمة ، تتمثل في التفريق بين مباني الكلم في
العربية ، فهو قرينة أو مميز يمكن به تنظيم أقسام تلك الكلم . ف « الفعل
لفظ يدل على معنى في نفسه ، ويتعرض ببنيته للزمان » (٣٢) . والاسم
— سواء أكان اسم ذات أم اسم حدث — لفظ يدل على معنى في نفسه
ولا يتعرض ببنيته للزمان » (٣٣) . وقد صوره ابن مالك بذلك في قوله :

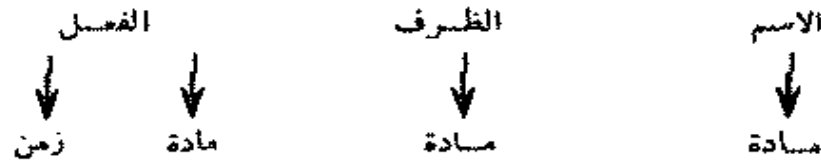
(٣١) الخصائص : ٣ : ٣٣١ .

(٣٢) القرب : ١ : ٤٥ .

(٣٣) القرب : ١ : ٤٥ .

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلول الفعل كـ « آمن » من « آمن » (٣٤) ويعنى ذلك عندهم أن الاسم عامة باعتبار الزمن قسمين الفعل ، واسم الحدث خاصة باعتبار الزمن ، قسمين الفعل ، وباعتبار المادة قسميه .

وقد عرض النحاة للأسماء التى تدل دلالة معجمية على الوقت حين نؤدى فى السياق وظيفة تحديد زمن الصيغة أعنى « الظروف » ، فالفعل يفترق عن الاسم بالزمن الذى تتضمنه بنيتيه ، والظرف أساسا لا يشير الا الى الزمن . فكيف يكون الظرف قسما فى الاسماء وقسما للأفعال ؟ لقد وجدوا أن مادة الظرف مادة زمنية ، والمادة عنصر تطابق وليس عنصر تفريق بين الاسم والفعل كما يأتى :



أى أن بنى الظروف لا تشتمل على زمن البتة يقول ابن عصفور : « فإن وجد من الأسماء ما يدل على زمان كأمس وغد فبذاته لا ببنيته » (٣٥) . وهكذا نخلص الى أن النحاة القدماء ، نظروا الى الزمن الصرفى ، من جهتي الطبيعة والوظيفة .

الزمن الصرفى فى المباحث المعاصرة : اذا انتقلنا الى المباحث المعاصرة رجدا البحث فى الزمن الصرفى ، ينطوى على ملحظين :

الأول : الملحظ التاريخى : وفيه عرض المستشرقون والمعنون بالدراسات المقارنة للصيغة الزمنية فى اللغة العربية ، فى اطارها التاريخى .

الثانى : الملحظ الوصفى : وانطوى على ملاحظات اللغويين العرب فى مفهوم الزمن الصرفى عامة ، والصيغ خاصة ، فى العربية الفصيحة .

(٣٤) شرح ابن عقيل ١ : ٢٧٣ .

(٣٥) المقرب ١ : ٢٥ .

الملحظ التاريخي :

ينتهي عالم اللغويات الفرنسي (جوزيف فندريس) أن يكون في السامية المشتركة أية وسيلة للتمييز بين أزمنة الفعل المختلفة » (٣٦) ويرى أنه لا يوجد من الزمن « بمعناه الحقيقي إلا اثنان : التام وغير التام » (٣٧) .

ويفسر المستشرق الألماني كارل بروكلمان Brockelmann هذين المصطلحين : التام وغير التام ، على نحو يجردهما من الدلالة على الدقائق الزمنية المعهودة بهما في لغات أخرى . يقول :

« وتعبير لماضي Perfekt ، والمضارع Imperfekt هنا ليس له المعنى التحوي الموجود في اللغات « الهندوأوروبية » ولكنه يحمل معناه الأصلي وهو : الحدث الذي انتهى والحدث الذي لم ينته بعد » (٣٨) .

ويرى المستشرق الإيطالي (موسكاني Moscati) أن اللغات السامية تخلصو من صيغ أزمنة بالمعنى الصحيح ، أي صيغ خاصة تدل على حدوث الفعل في الحاضر أو الماضي أو المستقبل (٣٩) وقد تناول المستشرق الألماني بول كراوس Paul ظاهرة الصيغ الزمنية في اللغات السامية تناولا تاريخيا . وقد خلص إلى أنه في كل اللغات السامية كان (يفعل) موجودا غير مقيد بزمن ، ثم نشأ (يفعل) بعد ذلك ، وبهذا انقسمت المادة اللغوية الفعلية إلى اثنين ، فوزن (فعل) يطرد وزن (يفعل) من الماضي حتى يصير استعماله - أي يفعل - شيئا فشيئا مستقبلا فقط (٤٠) وقد استدلل (كراوس) على رأيه هذا بأن وجد في كل جملة من الجمل العبرية القديمة مضارع الفعل إذا تقدمته واو أو فمعناه (فعل) ورأى في هذا دليلا على أن صيغة (يفعل) كانت مستعملة في الماضي - أي تعبر عن الزمن الماضي - ولم يبق من هذا الاستعمال القديم في العبرية إلا الاستعمال الذي لا ينفصل عن الواو ، فكان

(٣٦) اللغة : ١٣٦ .

(٣٧) المصدر السابق : ١٣٧ . غير أن الأستاذ بروكلمان يضيف ما يسميه « الأزمنة ثانوية أخرى » وهي : « زمن ثالث للدلالة على الحسنة للمستمر Perruansive من الآشورية » وزمن رابع وهو في السريانية « حيث تنتج صيغة للتعبير عن الحاضر Present باتصال اسم الفاعل بالصفات الشخصية التي تتعلق بآخره » / ينظر : لغة اللغات السامية : ١٣٣ .

(٣٨) لغة اللغات السامية : ١١٣ .

(٣٩) انظر : المحاضرات السامية القديمة : ١٨٠ .

(٤٠) محاضرات في لغة اللغة : مخطوطة : ٢ .

المضارع القديم ، في أوسع استعمال ، كان دليلا على زمن الماضي (٤١) وحين انتقل كراوس الى « البابلية » قرر أننا لا نجد وزن (فعل) أبدا ، ولا يوجد الا وزن (يفعل) أي ما نسميه المضارع ، وهذا المضارع لا يستعمل ، في تلك اللغة ، الا للماضي (٤٢) ، واستند « برجستراسر » الى الأسس نفسها حين انتهى الى أن نفي الماضي القديم في العربية هو : « لم يفعل والحديث ما فعل » (٤٣) وهكذا يتردد عند أغلب المستشرقين وجود صيغة فعلية واحدة هي صيغة المضارع التي يسود الاعتقاد أنها كانت في مدى قرون كثيرة تدل على جميع الأزمنة (٤٤) ومن ثم فهم ينتهون الى أن اللغات السامية لم تكن بتكوين الصيغ الزمنية ، ذلك لأن هذه الزمنية في الصيغ ليست الا نتيجة تطور متأخر في اللغة (٤٥) بل إن الأستاذ فندريس وفقا لهذا المنحى ينتهي الى أن « فكرة الزمن – في اللغات السامية (٤٦) – قد أدخلت ، في صورة عرجاء وبعد أن لم تكن موجودة على تصريح فعلي ، لم يكن قد هيىء لاستقبالها » (٤٧) وليس

(٤١) محاضرات في لغة اللغة : مخطوطة : ٣٥ وقد جعل المستشرق « ولفسون » منه الصيغة « صيغة الماضي المنسقة من المضارع مع إضافة واو المطلب » .
ومثالها ما ورد في سفر التكوين .

וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי אוֹר וַיְהי אוֹר
וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יִבְרָא אֶרֶץ וַיִּבְרָא אֶרֶץ

وترجمتها « وقال الله ليكن نور : فكان نور »

ونظر : دوايد اللغة العربية : ٢٦٩ ، ٢٧٠) أعول قد جعل ولفسون هذه الصيغة القنطرة التي تصل بين صيغة الماضي العادية وصيغة المضارع « واستدل على ذلك بأن وجد أن هذه الصيغة قديمة جدا ، فقد كانت معروفة في البابلية القديمة وفي الكنعانية العتيقة » ولم يجد ولفسون « لهذه الصيغة أثرا في اللغات الأخرى » كالعربية والسبئية والحشبية والآرامية « ينظر تاريخ اللغات السامية / ١٦ ولكن الأستاذ « أوليتمان » الذي وضع ملاحظات على مؤلف المستشرق « ولفسون » / تاريخ اللغات السامية رد بوجود صيغة فعل مضارع في العربية تستعمل للدلالة على زمن ماضٍ وهي صيغة الفعل المضارع إذا دخل عليه حرف مثل : « لم يفعل » انظر تاريخ اللغات السامية : ٢٧٣ .

(٤٢) محاضرات في لغة اللغة مخطوطة : ٣٥ .

(٤٣) التطور النحوي للغة العربية : ١١٥ .

(٤٤) ينظر تاريخ اللغات السامية : ١٥ ، ١٦ .

(٤٥) ينظر محاضرات في لغة اللغة – مخطوطة – : ٢٩ .

(٤٦) العبارة التي بين خطين – ليست من اقتبس أصلا ، ولكنها أضيفت لقتضيات

السياق الذي يشير إليها .

(٤٧) اللغة : ١٣٧ .

من مهمة هذه الرسالة التي تبصّر في زمن اللغة العربية الفصيحة ،
البحث في السلم التاريخي الذي ارتقته الصيغة الزمنية في العربية ،
غير أننا سنعرض لهذه الآراء واتجاهاتها في الفصل الذي نعتقده
على دراسة ما اصطلح على تسميته الزمن النحوي .

الملحظ الوصفي :

أغلب الباحثين العرب على رفض وجود زمن صرفي في العربية وقد
وجه انتقاد شديد الى فكرة ربط الصيغة بالزمن . غير ان باحثين آخرين
اضطربوا بازاء هذه النقطة فالدكتور ابراهيم السامرائي يكاد يقرر أن
زمن العربية صرفي . يقول « نستدل من البحث في تاريخ النحو على
أن الأقدمين فصلوا القول في هذا وأنهم استفادوا الاستدلال على الزمان
من صيغ عدة » (٤٨) تم ينتهي ، أو يكاد ، الى ملاحظة النحاة أنفسهم
في تعيين ارتباط الصيغ الفعلية ، خارج مجال السياق ، الزمني « يجب
أن تشير إشارة عامة الى أن الفعل ثلاثة ماض وحال ومستقبل وأننا
سنستطيع أن نقرر أن صيغة (يفعل) ، وإن دلت دلالات عدة في الاعراب
عن الزمان ، فهي في أغلب الأحوال تدل على حدث أنجز وتسم في
زمن ماض . وأن صيغة (يفعل) تتردد بين الحال والاستقبال ، وإن
ذهب في الاستعمال مذاهب أخرى » (٤٩) ان الدكتور السامرائي يقرر
هنا أن الفعل العربي يفصح عن الزمن بصيغه على الأغلب . وبعبارة
أخرى أن زمن العربية زمن صرفي على الأغلب . وقد قلّم بعد ذلك جدولاً
بالأشكال الزمنية ودلالاتها . فإذا فحصنا دلالة (يفعل) ، في هذا
الجدول ، على الزمن ، وجدنا :

أن مجموع الدلالات الزمنية التي عبرت عنها صيغة (يفعل) نسع ،
على النحو الآتي :

انصرفت ثلاث من هذه الدلالات الى الماضي واثنان الى المطلق .
وأربع فقط . تقاسم زمن الحال والاستقبال .

(٤٨) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٣ .

(٤٩) نلاحظ هنا أن الدكتور ابراهيم السامرائي يقدم لنا ، بتقسيمه الفعل الى ماض
وحال ومستقبل ، وبها من وجوه زمن الوجود أو زمن الأقسام في اللغة ، وليس الفعل ،
فقد كان على أن يكون فعل الأمر « قسماً للماضي والمستقبل » / انظر الفعل زمانه وأبنيته :
٢٣ / فما ينبغي للفعل ، باعتبار زمنه ، صيغتان يعبران في العربية عن أزمان متنوعة تتقاطع
أحياناً . بل قد يتجردان عن الزمن ، كما سنرى ، أن الوجه الذي ينبغي أن تكون عبارته
عليه هو : « يجب أن تشير إشارة عامة الى أن زمان الوجود ، أو زمن الأقسام اللغوية
لثلاثة : ماض ، حال ، ومستقبل .

وسنورد هنا ما احتواه الجدول المذكور من دلالة (يفعل) على زمن غير الحال والاستقبال .

(أ) يشير بناء (يفعل) الى أن الحدث يقع كبرا فهو لا يحدث في زمن معين .

(ب) يأتي للاعتراب عن حدث من قبيل الحقائق الثابتة .

(ج) يأتي مسبوقا بـ « لم » فيشير الى الماضي .

(د) وقد يأتي وهو دال على الماضي ، وذلك لقرينة درجته للزمان الماضي .

(هـ) وقد يأتي مسبوقا بـ « كان » للدلالة على أن الحدث كان مستمرا في زمان ماض .

فاذا فحصنا الجدول الخاص بصيغة (فعل) ، وجدنا لها أربع عشرة دلالة زمنية (٥٠) ، سيج منها انصرفت الى زمن غير زمن الماضي .

وهكذا يتضح أن قانون الترجيع الذي استند اليه الدكتور ابراهيم السامرائي في تحديد طبيعة زمن اللغة العربية ، لم يكن دقيقا ، وأن عبارته « على الأغلب » لم تكن الا صدى للقاعدة النحوية القديمة . فاذا أضفنا الى كل هذا ما صرح به من « أن الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغه » (٥١) أدركنا مدى الاضطراب والتناقض الذي وسم تحليلاته تلك .

ويتضح الاضطراب أكثر عندما نقرب من محاولة الدكتور ريمون طحان تحديد ظاهرة الزمن في اللغة العربية ، فقد رأى في موسوعته « الألسنية العربية » أن الدراسة الصرفية التي تنطوي على دراسة أحوال الكلمة تضاف اليها دراسة أحوال الفعل في دلالاته على الزمن والهيئة والشخص والجنس والعدد (٥٢) وعنده يتم توزيع الاشارات المميزة أو غيابها على شكل تنظيمات ثلاثية ، على النحو الآتي :

(٥٠) ينظر الفعل زمانه وأينته : من ص ٢٨ حتى ص ٢٤ .

(٥١) الفعل زمانه وأينته : ٢٤ .

(٥٢) ينظر الألسنية العربية : ١ : ١٣ .

(٥٣)



والغريب أن الأستاذ ريمون طحان ينفي « الزمن الصرفي » حين يشرحه لقد رأى أنه « يتبين للباحث ، بعد أطراح الأمر ، من حقل الزمن ، أن الماضي والمضارع لا يحددان بصيغتيهما الأزمنة الماضية والحالية والاستقبالية » (٥٤) وينص من ثم ، وكأنه يستدرك على اقحام دلالة الفعل على الزمن في الدراسة الصرفية ، ينص على أن « الزمن الصرفي نسبي واعتباري » (٥٥) من غير أن يبين أنه نسبي إلى ماذا واعتباري لماذا ، وينتهي إلى ما يدعوه هو ، في آخر بحثه « بعد الصرف عن مفهوم الزمن القامض » (٥٦) وهذه النتيجة لو استعملنا عبارات المناطقة ، تناقض المقدمة التي دفع بها الأستاذ / ريمون طحان / دراسة أحوال الفعل في دلالة على الزمن في الدراسة الصرفية ، التي تنطوي على دراسة أحوال الكلمة لخصله :



ليس منفتح زمن بنى صلب صيغ ، لأنه لو كان منفتح زمن لكان ينبغي أن يكون وظيفة كل رأس من رؤوسه الثلاثة تحديد بعد واحد من أبعاد

(٥٣) الألسنية العربية . ١ : ١٣٦ .

(٥٤) المصدر السابق : ١ : ١٤٦ .

(٥٥) المصدر نفسه . ١ : ١٤٧ .

(٥٦) نفسه : ١ : ١٤٧ .

وينحدد زمن الصيغ الفعلية في الحقل الصرفي على الوجه الآتي :

الزمن الصرفي

الماضي	الحال والاستقبال	الحال والاستقبال (٥٨)
صيغة (فعل)	صيغة (يفعل)	صيغة (افعل)
وقبيلها	وقبيلها	وقبيلها

(ب) أن مداره ، الصيغ ، وليس الأدوات والحروف أو ما تحول اليها ، فلا ينضمّن ، من تم ، الظروف أو النواسخ .

٢ - أنه لا تعبر عنه - أي عن الرمز الصرفي - صيغ غير فعلية : كصيغة الاسم والمصدر والصفة : ومن هنا جاءت صفتها الثالثة :

٣ - أن له وظيفة (٥٩) في تحديد مباني التقسيم (٦٠) الصرفية على الوجه الآتي :

الاسم	الصفة	الفعل
(٦١)		
(الاسم المعين - اسم الحدث - الميميات)	- صفة الفاعل	
الزمن ليس جزءاً من معنى الاسم ، وتمتاز	- صفة المفعول	
برفضها أن تدل عليه بصيغتها الصرفية .	- صفة المبالغة	زمن الفعل يكون صرفياً
	- الصفة المشبهة	في الافراد ونحوها في
	- صفة التفضيل	السياق .
	لا تدل الصفات دلالة	
	صرفية على الزمن ، وإنما	
	تشرب معصتي الزمن	
	التعوي في السياق .	

(٥٨) المصدر السابق : ٢٤٢ .

(٥٩) سبقنا الإشارة إلى وظيفة الزمن الصرفي في ص ٢٦ من المبحث السابق .

(٦٠) يرفض الدكتور تمام حسان التقسيم الثلاثي للكلمة : الاسم ، الفعل ، الحرف .

ويقدم تقسيماً سباعياً : كما يأتي : الاسم ، الصفة ، الفعل ، المصدر ، المبالغة ، الظروف ، الأداة ، انظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٠ .

(٦١) الميميات : اصطلاح يطلقه الدكتور تمام حسان على اسم الزمان ، اسم المكان ،

اسم الآلة ، المصدر السابق ص : ٩١ .

وبسبارة أخرى فإن :

الاسم : لا يقبل الزمن ، بصيغته ، صرفيا ونحويا .

الفعل : يقبله صرفيا ونحويا .

الصفة : تقبله نحويا فقط .

وكان الدكتور تمام حسان يقوى من الاستناد الى عنصر الزمن بكونه عنصر تفريق بين أقسام الكلم في العربية فيعتمده في تقسيمه السباعي (٦٢) بعد أن اعتمده النحاة أداة لفريق بين الاسم والفعل فقط. وهذا ملحوظ نجده قيل ذلك عند المستشرق الألماني « بول كراوس » الذي ألمح الى بعض الفروق بين مباني التقسيم الصرفية في العربية بمعيار زمني . يرى الأسساذ (كراوس) : « ألا فرق بين (زيد يقظ) و « زيد يقظاً » إلا الزمنية ، فاسم الفاعل يتبت حقيقة الاطلاق من غير نظرة الى زمنية والفعل (يقظ) معناه للماضى » (٦٣) .

ونعود الى محاولة الدكتور تمام حسان وضع أسس الزمن الصرفي وتفصيلاته ، فنجد أنه يؤخذ عليها ، على الرغم من الجهد الملاحظ نبيا ، جملة أمور :

١ - جعل صيغة فعل الأمر تدل دلالة قاطعة على الزمن من غير أن يعرض لامكانيات تلك الصيغة التي تتجاوز الزمن أحيانا ، كما سنبينه في موضعه .

٢ - جعل المصدر في قسم الاسم وعده مسمى الحدث (٦٤) ، مبينا ان الفرق بينه وبين الصفات - صفة الفاعل وصفة المفعول وصفة المبالغة الخ يكمن في أن هذه الصفات تدل على موصوف بالحدث (٦٥) والمصدر هو الحدث نفسه من غير دلالة : أو أن له دلالة المسمى فقط . وهكذا يكون الفرق بينهما من ناحية الزمن كما يأتي :

المصدر (اسم) لا يقبل الزمن صرفيا ونحويا .

الصفة تقبله نحويا فقط .

ولكن المصدر في السياق لا يمتنع من التشرب بالزمن أي لا يمتنع

(٦٢) التشار اليه في التماس (٦٠) من هذا البحث .

(٦٣) محاضرات في فقه اللغة : مخطوطة : ٣٥ .

(٦٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٠ ، ٩١ .

(٦٥) المصدر السابق : ٩٥ .

من أن يتحول في مواقع معينة من السياق الى صيغة زمنية ، شأنه في ذلك شأن صيغ الصفات . يقول ابن عقيل : « فيقدر المصدر بـ (أن) اذا أريد المضي أو الاستقبال . . . ويقدر بـ (ما) اذا أريد به الحال . » (٦٦) بل ان أحد الباحثين المعاصرين وهو الدكتور ابراهيم السامرائي يأخذ على الأقدمين أنهم لم يلحقوا هذه المادة - مادة المصدر - بالفعل (٦٧) .

وسوف نعرض لدراسة الصيغ في الفصل التالي ، فهذه الآراء كلها يمكن أن تناقش ، ولكن ما أريد بيانه هنا هو أن الدكتور تمام حسان جعل عنصر الحدث أساسا للفصل بين المصدر ونلك المشتقات ، ودفع بعنصر الزمن بطريقة حذرة ، ليكون كالحدث ، عنصر تفريق بينهما ، في حين يرى أن الزمن علامه اشتراك بينهما ، سواء على صعيد الصرف أو على صعيد النحو ، فخارج السياق ، كما سنرى ، لا يدل أى من تلك الصيغ على زمن البتة ، وفي السياق قد تتجه تلك الصيغ اتجاها فعليا فتتضمن الإشارة الى زمن لغوي ما . كما يصرح الدكتور تمام حسان بوضوح في موضع بعيد من هذا في كتابه : « حين يقول : « والمصدر كذلك حين يدخل في علاقات سياقية كالاسناد والتعدي يفيد معنى الزمن » (٦٨) . وهكذا فإن عبارته « وبهذا تمتاز الصفة بقبولها معنى الزمن عن الأسماء . فالزمن ليس جزءا من معنى الأسماء (٦٩) ينبغي أن تكون عن « الأسماء عدا المصادر » ، و « فالزمن ليس جزءا من معنى الأسماء عدا المصادر ، فقد يكون جزءا من معناها في السياق » .

٣ - رسم جدا فاصلا بين زمنى الصرف والنحو ، ونظر الى الزمن الصرفي ، كما نظر النحاة ، من جهتي الطبيعة والوظيفة ، وقرر أن الزمن الصرفي تعبر عنه الصيغ الفعلية فقط ، وأما في السياق فتعبر الصيغ نفسها عن زمن آخر : هو الزمن النحوي ، وعلى عبارة الدكتور تمام حسان « يكون الزمن الصرفي قاصرا على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهي بها » (٧٠) ولكنه وهو يفحص زمن النظام النحوي ، وجد أن هناك عمقا ما للزمن الصرفي لم ينته بها كما قرر هو ، بل امتد معها . وان لم يكن ذلك الامتداد مطلقا ، كما قرر النحاة ، بل ان له عمقا محدودا يتناسب ونوع

(٦٦) شرح ابن عقيل : ٢ : ٧٦ .

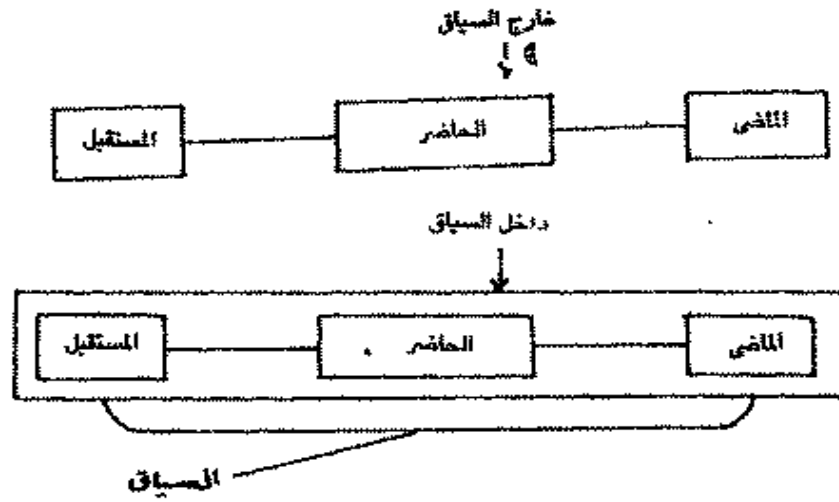
(٦٧) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٤٧ .

(٦٨) اللغة العربية مناهجا ومبناها : ٢٥٤ .

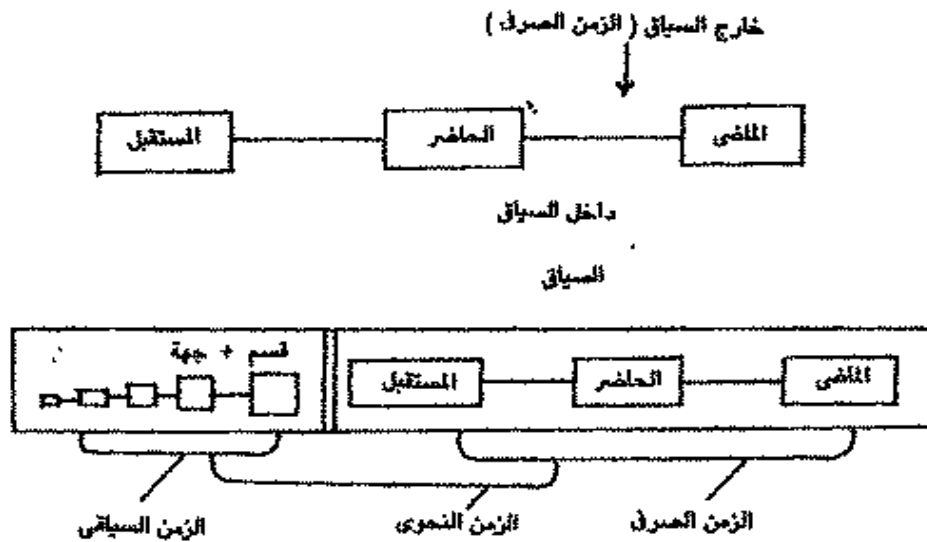
(٦٩) المصدر السابق : ١٠٣ .

(٧٠) المصدر نفسه : ٢٤٢ .

الجميل التي تقع فيها الصيغ (٧١) فإذا رسمنا مخططا لعلاقة الزمن الصرفي
بالزمن النحوي كما رآه النحاة وكما رآه الدكتور تمام حسان فأننا نحصل
على ما يأتي :
الزمن كما رآه النحاة :



الزمن كما رآه الدكتور تمام حسان :



ويعني ذلك أن نقطتي الزمن : الصرفي والنحوي ، كما رأينا
النحاة ، يقعان في امتداد واحد :

(٧١) نفسه : ينظر الفصل الخامس بـ (الزمن والجهة) الذي يبدأ من ص ٢٤٠ في
مؤلف الدكتور تمام حسان / اللغة العربية متناما ومبتاعا .

X ————— X

في حين تنقطع العلاقة بينهما عند الدكتور تمام حسان :

الزمن النحوي

الزمن الصرفي

X X

X

ولكنه يعود مرة أخرى لرسم امتدادا معيناً بين النقطتين :

الزمن النحوي

الزمن الصرفي

X [X]

[X]

أي أن محاولة الدكتور « تمام حسان » إيجاد نسق للزمن الصرفي مستنداً في جوهره ، إلى التقابل بين النقطتين لا يحالفها التوفيق ، وكان عليه أن يراجع ما قرره للزمن الصرفي حين ناقش صيغ الأسماء والأفعال وما سماه الصفات ، عندما وجد وهو يمرض للزمن النحوي خصائص جديدة لهذا الزمن .

والخلاصة فإن تعيين ملامح الزمن الصرفي في اللغة العربية والكشف عن سماته كشفاً تاماً يحتاج إلى البحث في نقطتين :

الأولى : فحص بنى الصيغ المسماة مجازاً الصيغ الزمنية وهي الصيغ الفعلية والحديثة (المصدر ، صيغة فاعل ، صيغة مفعول - الخ) وما تشتمل عليه هذه البنى من دلالات حديثة والاستناد والزمن والمعنى المعجمي ، وبعبارة أخرى ينبغي الكشف عن إمكانات تلك الصيغ التي يعد الزمن واحداً منها فليس صحيحاً أن نبحث في عنصر واحد داخل بنية ما ، غاضبين النظر عما يجاوره من عناصر ، وعما يمكن أن يكون لتلك العناصر من تأثير في بعضها يجعل من عزل عنصر ما عملاً تجريدياً لا أساس له ، وكذا عما يمكن أن يكون نشاطاً في تلك البنية باتجاه عنصر دون آخر ، أو تركيز على عنصر دون غيره وهذا ما سنتوفر على

بحثه في الفصسل الذي يلي هذا الفصل . وعنوانه « امكانات الصيغة » .

الثانية : فحص الزمن في المستوى النحوى : بمراقبة الصيغ في الاستعمال نبوتها الدلالى الصرفى أو تغيره ، ومن ثم قياس عمق امتداد الزمن الصرفى فى الشربة النحوية لتجنب الفصل بين الأشكال والدلالات ، وبمقد مقارنة بين الزمن الصرفى والزمن النحوى ، ليكون الحكم على طبيعة زمن اللغة العربية بأنه زمن صرفى حكما يتم بالشمول والدقة . وهذا ما ستتوفر عليه فصول هذه الرسالة التى تلى فصل « امكانات الصيغة » .

امكانات الصيغة

يحاول هذا الفصل إعادة فحص الصيغة الزمنية في العربية ، لكي يختبر صحة المسلمات التي توفر عليها الفصل السابق ، وسنرى أن هناك خلافا عميقا بين الباحثين اللغويين ، قدماء ومعاصرين ، حول ما تنتجته هذه الصيغ من دلالات - وستكشف عن أوجه هذا الخلاف في موضعه من هذا الفصل - غير أن الباحثين يكادون يتفقون على أمرين في هذا الجانب :

الأول : أن الصيغ الفعلية هي التي تعبر عن الزمن في العربية ، ويستثنى قسم منهم صيغة الأمر .

الثاني : أن هناك صيغا تتخذ سمات فعلية في النظام النحوي أو « تجري مجرى الفعل » (١) على عبارة سيبيويه .

وهذه الصيغ هي :

(أ) الدائم (٢) أو اسم الفاعل (٣) أو بناء فاعل (٤) أو صيغة الفاعل (٥) .

(ب) تفريمات هذه الصيغة التي يطلق عليها صيغ المبالغة وهي ما « بنيت للفاعل من لفظه والمعنى واحد (٦) » ، (فعل) و (فعل) و (مفعال) و (فعل) و (فعل) (٧) .

(ج) صيغة اسم المفعول (٨) أو بناء مفعول (٩) أو صيغة

(١) الكتاب : ١ : ١١٧ .

(٢) المرص النحوي في بغداد : ٣٣ .

(٣) الكتاب : ١ : ١١٠ .

(٤) الفعل زمانه وأبنته : ٣٤ .

(٥) اللغة العربية منها وما بنتها : ٩٩ .

(٦) الكتاب : ١ : ١١٧ .

(٧) ينظر المصدر السابق : ١ : ١١٠ .

(٨) المصدر نفسه : ١ : ١٠٨ .

(٩) الفعل زمانه وأبنته : ٣٤ .

المفعول (١٠) وعبارة سيبويه : « مفعول مثل يُفَعَّل . وفاعل
مثل يَفْعَل » (١١) .

(د) المصدر : يقول سيبويه : « وما أجرى مجرى الفعل من المصادر
قول المرار الأسدي :

بضرب بالسيوف رؤوس قوم أزلنا هامهن عن المقيس (١٢) .

يقول الدكتور تمام حسان : « والمصدر كذلك حين يدخل في علاقات
سباقية كالاسناد والنعدية يفيد معنى الزمن بحسب القرينة » (١٣) .

وعرض سيبويه لاستعمال هذه الصيغ استعمال الفعل فيجد أن
« الأكثر انتهى جرى مجرى الفعل من الأسماء ففاعل » (١٤) . ليس هذا
حسب ، بل أنه لا يمثل ل « اسم المفعول » إلا لتعميم القاعدة ويذهب
الرضي إلى أنه « ليس في كلام المتقدمين ما يدل على اشتراط الحال أو
الاستقبال في اسم المفعول » (١٥) .

وثمة خلافات منهجية في الحاق تلك الصيغ بالفعلية ، بين القدماء
والمعاصرين إذ القدماء يؤكدون ، في الأساس ، عمل تلك الصيغ ، وهو
ملحظ بارز في أمثلة سيبويه وتحليلات من تلامه . يقول جابر الله
الزمخشري ، وهو يعرض لقوله تعالى : « انى جاعل فى الأرض
خليفة » (١٦) : « و « جاعل » من جعل الذى له مفعولان دخل على المبتدأ
والخبر وهما قوله « فى الأرض » ، خليفة » فكانا مفعوليه » (١٧) .

أما زمن هذه الصيغ فهو ملحظ ثانوى للعمل فإذا كان اسم الفاعل
ينحو منحى الفعل المضارع ، أو يحاول التقاطع معه فى العمل ، كان لا بد
من أن يعبر عن زمنه الذى هو ، عندهم ، الحال والاستقبال . ونلاحظ
ذلك كله عند الفراء فى معرض كلامه على صيغة فاعل . يقول : « وزعم
الكسائى أنهم يؤثرون النصب اذا حالوا بين الفعل - اسم الفاعل -

(١٠) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ .

(١١) الكتاب : ١ : ١٠٩ .

(١٢) الكتاب : ١ : ١١٦ .

(١٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ .

(١٤) الكتاب : ١ : ١١٧ .

(١٥) شرح الكافية : ٢ : ٢٠٤ .

(١٦) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(١٧) الكتاب : ١ : ٢٧١ .

المضاف بصفه فيقولون « هو ضارب في غير شيء » . اخاء » . ينوعمون
أنهم ، اذا حالوا بينهما ، نوتوا » . (١٨) غير أن هذا الحكم لا يعنى
انعدام الملحظ الزمني للصيغ تلك . فقد خصها « الكوفيين » كما مر (١٩)
بمصطاح زمني هو الدائم . وعلى الرغم من أن بعض المعاصرين أفرد لها
خانات زمنية . محاولا النظر اليها بوصفها شكلا في النسق الزمني
سانها في ذلك شأن الصيغ الفعلية والمركبات الزمنية (٢٠) .

فإن كل الملاحظات لم تعدم ربط زمنيها ب « ظاهرة الاعراب » . وهو
أمر يعنى أن زمن هذه الصيغ ليس مرتبطا بذاتها او بشكلها . فاذا نوتت
صيغة (فاعل) أى قعلت عن الاضافة عملت ، واذا عملت تحولت الى
فعل وهذا الفعل هو المضارع لتوافقهما في « العمل والمعنى » (٢١) يقول
(الفراء) وهو يعرض لقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » (٢٢) :
« وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل . فاذا كان معناه
ماضيا لم يكادوا يقولون الا بالاضافة » (٢٣) .

أما الباحثون المعاصرون فقد لاحظوا أو ركزوا على دلالة تلك الصيغ
على الزمن . فقد جعل الدكتور مهدي المخزومي ، مستندا الى آراء
الكوفيين . الدائم قسما من أقسام الزمن ، وقسيما للزمنين الماضي
والحاضر (٢٤) ، غير أنه لم يندخل في دراسته التطبيقية من الصيغ الحديثة
الملحقة بالفعل سوى صيغة (فاعل) (٢٥) .

وجعل الدكتور على جابر المنصوري جريا على القياس التحوي القديم
صيغة (المفعول) : « تساوى اسم الفاعل في دلالاته الزمنية ، فهي في
الأغلب تدل على الدوام في حال اتصال « آل » بها ، وهي اذا نوتت دلت
على الحال والاستقبال واذا أضيفت دلت على الماضي » (٢٦) ، وهذه آراء
لم تختبر في ضوء الاستعمال وليس من هدف هذا الفصل أن يضيق
شيئا الى ذلك الجدل المتواصل حول تلك الصيغ . أمي أسماء (٢٧) ؟

(١٨) معاني القرآن : ٢ . ٨١ .

(١٩) ينظر مضمون الهامش ٢ من هذا الفصل .

(٢٠) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٨ .

(٢١) الكتاب : ١ : ١٦٤ .

(٢٢) الأنبياء : ٣٥ .

(٢٣) معاني القرآن : ٢ : ٢٠٢ .

(٢٤) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٨ .

(٢٥) ينظر المصدر السابق : ١٥٨ و ١٥٩ .

(٢٦) مجلة كلية التربية / مجلة الماضي والحاضر والمستقبل : ٦ : ٢٠ .

(٢٧) ينظر نحو القرآن : ٩٢ .

أو هي من المشترك الفعلي الاسمي (٢٨) ؟ أو هي أفعال (٢٩) ؟ أو صفات (٣٠) ؟

غير أننا نلاحظ في هذا الجانب أمرين :

الأول : أنه يتهيا لهذه الصيغ التي تنطوي على أحداث خاصة بها - يتهيا لها - في النظام النحوي ، أن تكتسب سمات فعلية في العمل .

الثاني : أن صيغة (فاعل) ، من بين الصيغ الأخرى ، تنطوي على قيمة زمنية نحوية .

وقد مرت إشارة سيبويه والرضي إلى شيء من هذا (٣١) وهكذا . . فالصيغ التي ينبغي لنا أن نختبر أبنيتها ، هي تلك الصيغ التي تعبر عن الزمن أو التي تحتك به وهي :

(فاعل) و (يفعل) و (افعل) (فاعل) .

فإذا كانت تلك الصيغ تتطابق في كونها تتضمن حدثا بزمن وإذا كانت أشكالها أمانة على أقسام الزمن المختلفة ؟

فكيف يمكن أن نفسر :

(١) دلالة هذه الصيغ على قسم واحد من أقسام الزمن ؟

(ب) تطابق دلالتى صيغة (فاعل) وصيغة (يفعل) في الزمن ، والعمل أي أن كلتا الصيغتين تنطويان على حدث واحد بزمن واحد ؟

بحيث يمكن إجراء استبدال بينهما من غير أن نلاحظ فرقا ما ، كما زعم سيبويه :

(٢٨) وهو ما يفهم من مباحث النحاة - والنظر الكتاب : ١ : ٢٦ .

(٢٩) ينظر القمل زمانه وأبنيته : ٣٤ .

(٣٠) ينظر :

اللسنة العربية معناها ومعناها : ٩٩ .

جمل الدكتور تمام حسان (الصفة) قسما مستقلا من أقسام الكلم في العربية ، وأدرج تحتها (صفة الفاعل) و (صفة المفعول) و (صفة المبالغة) و (الصفة المشبهة) و (صفة التفصيل) . والنهي إلى أن مشابهتها للأسماء ينفي عنها أن تكون فعلا ، ومشابهتها للأفعال تنفي أن تكون اسما .

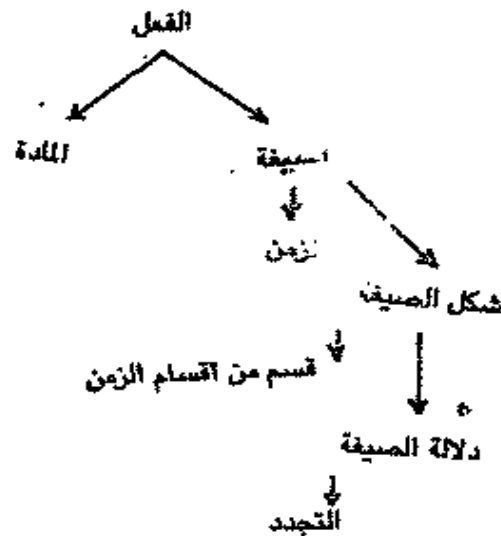
وينظر اللسان العربية معناها ومعناها : من ٩٨ فما بعدها .

(٣١) ينظر من ٤٧ - الهامشان : ١٤ و ١٥ .

• فذلك : هذا ضارب زيدا غدا لمعناه وعمله مثل : هذا يضرب زيدا غدا » (٣٢) •

وبعبارة أخرى أن فروق الأشكال بين الصيغ الفعلية الثلاث من جهة والفرق بين صيغتي (يفعل) و (فاعل) من جهة أخرى لا يكون له على هذه الجهة أى جهة الزمن ، مسوغ فى العربية ، أو يكون لنا أن نفسره على جهة غير جهة الزمن وهذا ما يحاول هذا (الفصل) القيام به •

تردد عند النحاة عامة وعلماء الدلالة العرب القدماء خاصة مصطلح لقوى تلقفه عنهم المحدثون ، وهو مصطلح « التجدد الفعلي » • يقول القزويني : « وأما كونه فعلا فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أنصر وجه مع افادة التجدد » (٣٣) ويعرف القزويني قسيمة « الاسم » بسلب صفتي الفعل منه • وعبارته : « وأما كونه اسما فلا فادة عدمهما » (٣٤) أى الزمن والتجدد ، وهذا الملحظ الدلالى للفعل يضيف الى السمات التى مر ذكرها فى مفتتح هذا الفصل ، عنصرا جديدا على النحو الآتى :



ووفقا لهذا المفهوم يمكن أن ننظر الى السمات الصرفية لأقسام الكلم فى العربية على النحو الآتى :

- (٣٢) الكتاب : ١ : ١٦٤ •
- (٣٣) التلخيص فى علوم البلاغة : ١٠٧ •
- (٣٤) المصدر السابق : ١٠٨ •

الفعل = حدث + زمن + تجدد *

الاسم = مسمى - حدث - زمن - تجدد *

المصدر = مسمى + حدث - زمن - تجدد *

ويعنى ذلك أنه لم تعد الدلالة الزمنية عنصر تفريق صرفيا . بل
أضيف اليه عنصر الدلالة الفعلية وهو « التجدد » .

فما التجدد الفعلى ؟

أطلق الصبان فى حاشيته على أحد معانى المضارع الزمنية
« الاستمرار التجددى » (٣٥) وقد شرح الأستاذ عباس حسن ، هذا
المصطلح بقوله : « الأمر يحدث ثم ينقطع ثم يعود ثم ينقطع وهكذا دواليك
كاستمرار الليل والنهار » (٣٦) .

وكان الزملكانى عرف « التجدد » بـ « تقضى الفعل شيئا بعد
شيء » (٣٧) وفصل عبد القاهر الجرجاني فى شرح معنى المصطلح هذا
بقوله : « فإذا قلت « زيد ها هو ينطلق » فقد زعمت أن الانطلاق يقع
منه جزءا فجزءا ، وجعلته يزاوله ويؤزجه » (٣٨) ومقابل ذلك فإن :
« البليغ يلجأ الى الاسم اذا أراد أن يفيد الاستمرار والتبوت » (٣٩) وقد
اتخذ النحاة الموقعية ، وهى سمة شكلية Formal Feature معيارا فى
التفريق بين الجملتين الفعلية والاسمية . فإذا كان « الاسم » متقدما هدت
الجملة اسمية ، فإذا تأخر عدت فعلية . وكان هذا المعيار الشكلى أداة
تفريق حاسمة بين التراكيب اللغوية من زاوية المنهج الذى ألزمه النحاة ،
وهو منهج العمل والعامل (٤٠) فتحو « اذا جاء زيد فأنا أكرمه » فهذه :
جملة اسمية ان قلنا ان عامل (اذا) ما فى جوابها من فعل أو شبيهه
لأن مصدر الكلام جملة اسمية واذا وما أضيف اليه فى رتبة
التأخير » (٤١) .

أما « دلالة » التجدد الفعلى فقد وجدت عند بعض المعاصرين مجالها

(٣٥) حاشية الصبان : ٢ : ٢٩٢ .

(٣٦) النحو الوافى : ٣ : ٣٠١ .

(٣٧) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : ١٤٣ .

(٣٨) دلائل الاعجاز : ٦٧ .

(٣٩) أثر النحاة فى البحث البلاغى : ٢١٦ ، وسرى أن الاستمرار دلالة المضارع

وليس دلالة الاسم .

(٤٠) فى التركيب اللغوى للشعر العراقى المعاصر : ٤٦ .

(٤١) حاشية الصبان : ٤ : ١٣ .

التطبيقي : واتخذوا منها معيارا في التفريق بين الفعلية والاسمية :
« فالجملة الفعلية هي التي يتصف فيها المسند اليه بالمسند اتصافا
متجددا » (٤٢) بغض النظر عن الواقعية .

أما الجملة الاسمية « فتعبر عن نسبة صفة الى شيء : البيت
جديد » (٤٣) و « التعبير بها - الاسمية - أدل على الثبات » (٤٤) .
فاذا « كان كل من الاسمين غير مشتق أفادت النسبة الثابتة مثل : محمود
أخوك » (٤٥) .

ويعنى ذلك أن الجملة الفعلية ذات طبيعة حركية تفيد بها من الفعل .
مقابل الجملة الاسمية التي تنطوي على طبيعة ثابتة . ومن هنا أخطأ بعض
المعاصرين حين نسبوا « التجدد » الى الفعل المضارع فقط . فقد نسب
الأستاذ حامد عبد القادر الى من ساهم علماء البلاغة قولهم « المضارع قد
يدل على التجدد كما في قول الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا الى عريفهم بتوسم (٤٦)

فاذا رجعنا الى ملاحظتي الخطيب القزويني والزميلكاني حول التجدد
الفعل . وجدنا أنهما يجعلان دلالة التجدد دلالة الفعل عامة . ولم ينصا
على أن هذه خاصية المضارع فقط . وعبارة القزويني لا لبس فيها :
« فأما الفعل .. » (٤٧) .

غير أن عبد القادر الجرجاني اشعر بأمثلته أن التجدد خاصية
المضارع . وعنه صدر الدكتور إبراهيم السامرائي في النص على أن
« التجدد الصق ببناء يفعل » (٤٨) وفي حاجته الدكتور مهدي المخزومي
استند الى أسباب منهجية في رفضه الصاق صفة التجدد بالجملة الفعلية
جملة وتفصيلا .

وقد عد البحث في الجانب البلاغي للتراكيب من قبيل :

(٤٢) في النحو العربي نقد وتوجيه : ٤٦ .

(٤٣) اللغة : ١٦٣ .

(٤٤) أساليب النفي في القرآن : ٨٢ .

(٤٥) معاضرات في اللغة : ٢٤١ .

(٤٦) مجلة مجمع اللغة العربية/مقالة معاني المضارع في القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٠ .

(٤٧) التلخيص في علوم البلاغة : ١٠٧ .

(٤٨) العربية بين أسسها وحاضرها : ١٠٩ .

« التوجيهات الفنية في النحو » (٤٩) . ويتناول هذا الجانب ، في رأيه ، سيحتوى البحث النحوى على سمات أدبية تقوم على الذوق وتصلح مادة للنقد البلاغى (٥٠) وينتهى أستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائى بسبب من ذلك الى أنه : « لا يصح أن يتخذ البحث الحديث في علم النحو مادة لا تأتلف وطبيعته ومنهجه » (٥١) . وقد فصل السامرائى في شرحه وجهة نظره بقوله « ليس لنا أن نلصق التجدد بالفعل لأن ذلك ليس من منهجنا » . ولأن الشواهد لا تؤيد هذا التجدد المزعوم . وكيف لنا أن نفهم التجدد والحديث في قولنا : « مات محمد » و « هلك خالد » و « انصرف بكر » فهذه الأفعال كلها أحداث متقطعة لم يكن لنا أن نجريها على التجدد » (٥٢) .

ان الدكتور السامرائى في مساجلته (المنهجية) هذه يكشف عن لا منهجية لغوية . اذ ينبغي أن ندرك أن البحث البلاغى ، في أحد أوجهه بحث في « الدلالة اللغوية » . وأن النظر الى (التراكيب والصيغ) من زاوية (المعنى) ، بعد أن نظر اليها النحاة القدماء من زاوية (المبنى) (٥٣) هو نفس ما تسمى اليه النظريات الجديدة في علم اللغة (٥٤) .

بل ان الدكتور ابراهيم السامرائى الذى أراد ، بلا قصد ، إبعاد عنصر المعنى عن التحليل اللغوى ، مستنداً الى منهج شكلى توزيعى يرى أن النحو ينطوى على « ذكر أقسام الجملة وعلاقة كل جزء بالآخر وما يطرأ على كل جزء من هذه الأجزاء من آثار أسميتها ، اصطلاحاً الاعراب » (٥٥) .

أقول ان الدكتور السامرائى عاد فاحتكم الى (المعنى) في الرد على « المعنى » الذى فرق به الدكتور مهدى المخزومي بين الجملتين الفعلية والاسمية فانتقى مواد : « انصرف » ، « هلك » ، « مات » وهى ذات معنى معجمى معين ، واستند الى عنصر معناها المعجمى في نفي دلالة التجدد

(٤٩) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٠٣ .

(٥٠) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٠٣ .

(٥١) المصدر السابق : ٢٠٣ .

(٥٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ .

(٥٣) ليس هذا حكماً عاماً بل حكم غالب . فالمنهج النحوى القديم انطوى على معطيات عدة متاهج ، غير أنه ركز على بحث الأشكال ووظائفها وتوزيعاتها . وينظر نظرية النحو العربى : ٣١ ، ٣٢ .

(٥٤) ينظر الفصل السادس الخاص بـ « الزمن الدلال » من هذه الرسالة .

(٥٥) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٠٣ .

عن الفعل الماضي ، اذ أن هذه المواد تنطوي - كما ظن - على دلالة الانقطاع وسنرى في مبحث « المادة المعجمية والزمن » (٥٦) أن لهذه المادة آثاراً في النظام النحوي . غير أن الأمر هنا لا ينصب على المادة بل على الصيغة . أي هل يتميز الفعل بصيغته ، عن الاسم أو عن أقسام الكلم الأخرى ، بالتجديد ؟ والا انتقينا مواد معجمية لا تنم على دلالة الانقطاع كـ : تجدد واستمر وبقي ... الخ .

وقد عاد الدكتور إبراهيم السامرائي فناقش سمة التجدد في الفعل مناقضاً ما ابتدأ به ، اذ أدخل صفة التجدد على الفعل المضارع بوصفها سمة نحوية . قال : « وبناءً يفعل أو المضارع يفيد التجدد والحدوث واختيار الجرجاني له - أي للمضارع - مفيد له في إثبات مقالته » (٥٧) .

ويعني ذلك أن واحداً من أبنية الفعل يتسم بسمة التجدد ، وأن البحث في دلالة التجدد ليس بحثاً في النقد الأدبي ، يقوم على الذوق ، بل هو بحث نحوي .

والذي نراه أن الدكتور إبراهيم السامرائي فهم التجدد على أنه الاستمرار ولما كان الفعل المضارع الصق الأبنية الفعلية بالاستمرار جعل التجدد خاصيته ولكن علينا ، قبل أن نعرض لأوجه التوافق والافتراق بين التجدد والاستمرار ، أن نعرض بصورة عامة للفروق بين مصطلحات فنية لغوية هي الثبوت ، والاستمرار ، والتجدد والانقطاع ، والاطلاق ، والخلو من الزمن والقطع ، لكي نتمكن من فحص إمكانات الصيغة الدلالية في العربية فحصاً دقيقاً .

الثبوت :

إن معنى « الثبوت » الاصطلاحي هو الجمود . وهو الذي يقابل التجدد والجملة الاسمية هي الجملة الجامدة ، الثابتة ، أي المفرغة من الحركة ، وليست المفرغة من الزمن : كقوله تعالى :

« إن هذا كان لكم جزاء » (٥٨) .

« وكان في المدينة تسعة رهط » (٥٩) .

(٥٦) ينظر الفصل المتقدم على دراسة « الزمن الدلالي » .

(٥٧) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٠٥ .

(٥٨) الانسان : ٢٢ .

(٥٩) النمل : ٤٨ .

« ما كان محمد أباً أحده من رجالكم » (٦٠) .

فهذه جمل اسمية دالة على الثبوت . أى جمل مفرغة من الحركة ...
التي تستند الى تجدد وجودها ... فى الزمن الماضى .

أى الجملة الاسمية تفيد الثبوت مطلقاً ، أما الزمن فلا تمتنع من
الدخول فيه . ان قصد الى ذلك والا فلا دلالة فيها على الزمن .

أما الاستمرار : فمصطلح زمنى . وقد توهم بعضهم ان النسبة
الثابتة فى الجملة الاسمية تعنى استمرار « الزمن » فذهب الى أن
« البليغ يلجأ الى الاسم : اذا أراد أن يفيد الاستمرار والثبوت » (٦١) .

ان الاستمرار والثبوت هنا يترادفان . وكأنهما يتجهان الى معنى
واحد وهذا مفهوم يصدر عن منطق عقلى محض وليس عن منطق لغوى ،
لأنه يقدم لنا زمن الوجود الذى تقع فيه الحركات والسكنات ، الأعراض
والجواهر . يتعاقب عليها الزمان مسمواً ، فليست هى منفكة عنه . ان
جملة « زيد أخوك » لا يد ، بهذا المفهوم ، من أن تكون واقعة ، بالنسبة
الى تحقق وجودها ، أى الى تحقق تلك النسبة بين « زيد » و « بينك » ،
واقعة فى زمن دائم مستمر . هذا اذا عرضنا للمسألة من وجهة نظر
عقلية مجردة لكن جملة « زيد أخوك » لا يترشح عنها زمن لغوى اطلاقاً .
فالقصد فيها هو نسبة أخوتك الى زيد نسبة ثابتة مفرغة من الزمن
والحركة . ويتيح لنا وضع جملة (زيد أخوك) بازاء الجمل التي يسوقها
فندريس ، بتصور مصطلح (الاستمرار) مقابل مصطلح (الثبوت)
لا مرادفاً له :

ها هو الترام يمر	زمن حاضر
أمر به كل أحد	زمن مستمر (٦٢)
زيد أخوك	ثبوت/لا زمن .

فمصطلح (الاستمرار) اللغوى من لوازم الفعل . أما الثبوت فمن
لوازم الاسم . يقول الرضى وهو يعرض لقوله تعالى « واذا قيل لهم
لا تفسدوا فى الأرض قالوا » (٦٣) : « أى هذه عادتهم المستمرة » (٦٤)

(٦٠) الأحزاب : ٤٠ .

(٦١) أثر النحاء فى البحث البلاغى : ٢١٦ .

(٦٢) اللغة : ١٣٩ .

(٦٣) البقرة : ١١ .

(٦٤) شرح الكافية : ٢ : ١٠٨ .

والعلاقات التركيبية في الآية السابقة علاقات فعلية ، ولهذا يترشح عنها الاستمرار .

أما مصطلح مطلق الزمان فقد تردد في المباحث اللغوية ، قديمها وحديثها بوصف به زمن حدث يقع في جميع أقسام الزمان : كـ « المصدر يدل على زمان مطلق » (٦٥) بصيغته : يقابل ذلك : « المصدر ما سوى الزمان من مدلولي الفعل » (٦٦) .

أي هو خلو من الزمان بصيغته . ويبدو مصطلح مطلق الزمان وكأنه استعير من مباحث المناطقة .

وفي التحليلات اللغوية التي ورد فيها هذا المصطلح : نجد شيئا من ذلك ففي القول في أصل الاشتقاق بين البصريين والكوفيين ، نقل صاحب الانصاف احتجاج البصريين على الوجه الآتي : « الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للمقيّد فكذلك المصدر أصل للفعل » (٦٧) فالمطلق والمعين والمقيّد مفردات نقلت من مباحث المناطقة إلى مباحث اللغويين وملاحظة الدكتور المخزومي في القول « الانسان يدبر والله يقدر » : أن الحدث لا يحدث في زمان معين ولكنه يحدث في كل زمان . ولا يلاحظ فيه زمان معين (٦٨) توحى بهذا النقل .

وهذا التردد بين « الزمن المطلق » و « الخلو من الزمن » لم يقتصر على الباحثين العرب ، بل شمل باحثين غير عرب :

يقول فندريس : « الوعظ الذي يستعمل في التعبير عن حدث لا ينتمي في الواقع إلى أي زمن . ويمكنه ككل حقيقة من حقائق التجربة أن يصدق في المستقبل والحاضر والماضي » (٦٩) .

فنعن هنا بإزاء معادلتين :

١ - الفعل = حدث + زمن عام .

٢ - الفعل = حدث + زمن .

(٦٥) الانصاف : ١ : ٢٢٧ .

(٦٦) شرح الاسمرني : ١ : ٢٠٩ .

(٦٧) الانصاف : ١ : ٢٢٧ .

(٦٨) في النحو العربي : نقد وتوجيه : ١٥٧ .

(٦٩) اللغة : ١٢٧ .

المعادلة الأولى انتجت مصطلح مطلق الزمان ، وهو كما لاحظنا :
مصطلح عقل مجرد أى ينظر الى « زمن » فى اطار الوجود . لا فى اطار
اللغة .

وعبارة الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى : « لا يعنى بتحديد
معنى الزمن بل ينصرف الى اطلاقه فى الجملة الاسمية » (٧٠) تعكس
شيئا من ذلك .

فنحن ، من زاوية لغوية ، لا يهمنا أن نشير الى زمن او لا نقصد
اليه مطلقا فجمالنا : « الانسان يدبر والله يقدر » و « زيد أخوك » لا يد
من وقوعهما فى مطلق الزمن ، بوصف الأولى نسبة ثابتة تقع فى زمن
دائم ، وبوصف حدث الثانية صالحا لأن يقع أمس أو الآن أو غدا ، ولكن
من زاوية لغوية فإننا نقصد الى ما يصدر عن معنى الحدث لا عن زمنه .
وعن معنى النسبة لا عما تقع فيه من مكان أو زمان . وتكون عبارة
الدكتور مهدى المخزومي « ولا يلاحظ فيه زمن معين » (٧١) صحيحة
بمقتضى هذا لو أنها صارت « ولا يلاحظ فيه (أى فى الحدث) زمن
البتة ، معين أو غير معين . فجمالنا « زيد أخوك » و « الانسان يدبر والله
يقدر » متطابقتان من حيث كونهما تقعان خارج اطار الزمن اللغوى ،
ولكنهما متقابلتان من حيث ان الأولى ذات دلالة ثبوتية وأما الثانية فذات
دلالة تجددية .

اذن فالاملاق اللغوى هو اثبات « حقيقة الاطلاق من غير نظرة الى
زمنية » (٧٢) .

أما مصطلح الانقطاع : فهو سمة زمنية من سمات (فعل) . تدل
على الماضى المنقطع فى مسافة زمنية معينة (أى القرب والبعد الزمنيين) .
وعبارة صاحب الهمع « الماضى يفهم الانقطاع » (٧٣) وفى (حاشية
الصبان) : « الماضى غير المنقطع » (٧٤) .

فكما أن التجدد سمة فعلية ، فكذلك الانقطاع سمة فعلية ، والفرق

(٧٠) نحو الفعل : ١١ .

(٧١) فى النحو العربى لقد وتوجيه : ١٥٧ .

(٧٢) محاضرات فى لغة اللغة / مشطوبة : ٣٠ .

(٧٣) صبح الهمع : ١ : ١١٣ .

(٧٤) حاشية الصبان : ج ٤ : ص ٥ .

بينهما أن الأولى سمة فعلية عامة ، والثانية فعلية خاصة بصيغة
(فعل) (٧٥) أي أن : فعل = تجدد + انقطاع .

ومن هنا وقع الدكتور ابراهيم السامرائي في خطأ حين توهم أن
هناك تناقضا بين التجدد والانقطاع في الأفعال التي رأى أن أحداثها
« منقطعة » (٧٦) . وانتهى ، كما مر بنا ، (٧٧) إلى أنه لا يكون لنا
« أن نجريها على التجدد » (٧٨) .

أن هناك أمثلة أخرى ترىنا أن بنية الفعل الماضي تتضمن دلالاتي
التجدد المعنوية والانقطاع الزمنية ، كما في مثل : نجز (٧٩) زيد عمله .
و - بدأ به (٨٠) .

و - استمر (٨١) به .

نلاحظ أن الأحداث الثلاثة في الأفعال : « نجز » و « بدأ »
و « استمر » أحداث متحركة ، وهذه هي سمة التجدد ، وأن زمن هذه
الأحداث هو الماضي وهذه هي سمة الانقطاع مع اختلاف في جهة
الانقطاع (٨٢) .

كما يأتي :

نجز عمله (انتهى منه تماما) .

بدأ به (ولم ينته منه) .

استمر به (ساعة أمس) .

كما يمكن أن نعود إلى المواد التي انتقاهها الدكتور ابراهيم
السامرائي فتقيم مقابلة بين أفعالها ومصادرها ، على النحو الآتي :

(٧٥) ليس بناء كل فعل ماض منقطعا من جهة الزمن ، كما سئري ، ولكن كل منقطع
بالزمن فهو فعل ماض . ويستلزم على دراسة صيغة فعل ودلالاتها الزمنية في الدراسة
التطبيقية .

(٧٦) الفعل زمانه وأبليته : ٢٠٤ .

(٧٧) ينظر : من ٥٢ من هذا الفصل .

(٧٨) الفعل زمانه وأبليته : ٢٠٤ .

(٧٩) مختار الصحاح : مادة (نجز) : ٦٤٦ .

(٨٠) لسان العرب (بدأ) .

(٨١) المصدر السابق (مرر) .

(٨٢) سئري لذلك بشئ من التفصيل في مبحث المادة المعنوية والزمن / لفصل
« الزمن الدلالي » .

الثبوت الاسمي

التجدد الفعلي

هلك	هلك
مات	مات
انصرف	انصرف

ان صيغة هلك تتحرك الى يهلك وسيهلك ، في حين لا تعبر صيغة هلاك الا عن مسمى هذه الحركة . اذن فصيغة (فعل) تتضمن دلالة على التجدد بوصفها حدثا ، ودلالة على الانقطاع بوصفها زمنا . كما ان لهذه الصيغة دلالة اخرى هي دلالة التثبيت أو القطع ، دلت على زمن أم لم تدل ، وقعت في القسم الصرفي أم وقعت في القسم النحوي .

وعبارة الدكتور ابراهيم انيس في هذا المجال : « في أسلوب التأكيد يحسن أن نستعمل تلك الصيغة المسماة بالماضي » (٨٣) .

ان التثبيت الذي هو سمة فعلية خاصة بصيغة الماضي يقابل الثبوت أو الجمود الذي هو سمة اسمية .

والآن نعود الى التفريق بين الجملتين الفعلية والاسمية . فالدكتور ابراهيم السامرائي حين رفض التفسير الدلالي للظاهرة الفعلية « التجدد » ورفض التفسير الشكلي « الموقعية » لم يجد الا أن يقول « فجملتنا : (محمد سافر) و (سافر محمد) جملتان فعليتان ما دام المسند فعلا ، وهو لا يقصد الى ربط الفعل بركن خاص من أركان الاسناد ، بوصفه ميمرا دلاليا له ، لان الصفة قد تقع مسندا (٨٤) فنقول له ما الفعل اللغوي ؟ وما دلالاته ؟ ما طبيعته ؟ ما وظيفته ؟ ... الخ كيف نميزه وهو يقع مسندا مطلقا عن « الاسم » الذي يقع مسندا اليه مطلقا ؟

ان الدكتور السامرائي يتابع في رأيه هذا ، رأى المستشرق الألماني بروجشتراسر الذي يرى أن « الجملة مركبة من مسند ومسند اليه ، فان كان كلاهما بمنزلة الاسم فالجملة اسمية ، وان كان المسند فعلا أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية » (٨٥) .

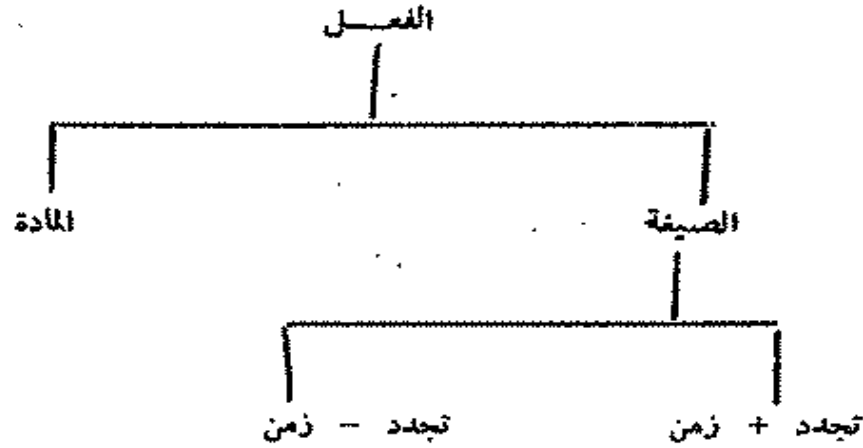
وهذا صحيح ، غير أنه يستند الى الملاحظة الشكلية المجردة ، ويعود ليدخل في الدورة التصنيفية والدلالية ذاتها .

(٨٣) من اسرار اللغة : ١٧٣ .

(٨٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٨ .

(٨٥) التطور النحوي للغة العربية : ٨٦ .

وتفيدنا هذه المساجلة في تعيين حدود صيغة الزمن في اللغة العربية أعني « الفعل » بالاعتبارين الدلالي والشكلي ، إذ كان الثاني هو الاعتبار الوحيد ليس في فهم ظاهرة الفعل حسب بل في النظر إليه .
 يكونه قسماً صرفياً ، متمثلاً بنوع الصيغة ، والجداول التصريفية ، والموقعية : ولا نريد هنا أن نقصى الاعتبار الشكلي بقدر ما نريد أن نضمه إلى الاعتبار الدلالي ، على الرغم مما يثيره من معضلات في طريق تصنيف الكلام في العربية وتجريدها إلى أقسام ، ومنها ما يلاحظه الأستاذ فندريس من أن « العربية ملأى بالعلامات المشتركة بين التصريفين الاسمي والفعل »
 إذ نرى النهاية « - ون » التي تستخدم في المضارع المسند إلى الشخصين الثاني والثالث المذكورين في حالة الجمع ، وفي حالة المثنى تستخدم لنفس الشخصين المتقدم ذكرهما علامة « - ان » . ولا تقتصر العلامة بين التصريف الاسمي والفعل في العربية على بعض وجوه الشبه في العلامات بل أنها نفس جوهر الأشياء . فهناك توافق غريب بين الحالات الاعرابية الثلاث « (٨٦) » وسنضع في ضوء ما تقدم ، المخطط الآتي للفعل :



ويعني ذلك أن الفعل ، بصيغته ، لا يعبر بصورة مطلقة عن الزمن ، ويصح أن نقول أن الزمن أثر من آثار صيغة الفعل ، وليس « معنى صيغة الفعل » ف « معنى صيغة الفعل » هو نوع حدثها المتجدد كما سنرى .
 فإذا تابعتنا البحوث اللغوية القديمة والحديثة وجدنا الفعل فيها متصلاً بعدة مفهومات .

لقد لاحظنا (٨٧) أن أغلب الباحثين دأبوا على جعل « بنية الفعل »

(٨٦) اللغة : ١٥٨ .

(٨٧) يلاحظ الفصل الأول الخامس ب « الزمن العربي » .

تتضمن زمنا من جهة « الصيغة » وأقسامها زمنية من جهة « شكل الصيغة » ، وحدثا من جهة « مادة الاشتقاق » أى أن البنية الفعلية تتضمن حدثا ذا تسيج زمنى . ويمكن هنا استعارة مثل (ورقة الشجرة) الذى خلعه العالم اللغوى (دى سوسير) على الرمز اللغوى (٨٨) ، خلعه على « الفعل » . فالفعل فى هذا المنحى : ورقة ذات وجهين الوجه فيها هو الحدث ، والظهر فيها هو الزمن (أو العكس) . ولا يمكن حسب مقولة « الحدث لا يكون الا فى زمان » (٨٩) تمزيق وجه هذه الورقة من غير تمزيق ظهرها ويعنى ذلك كله : زمنية الفعل اللغوى المطلقة .

غير أن باحثين آخرين رفضوا ذلك المربط بين الزمن والفعل ، مستندين الى رفض : « أن تجرى مقولة الزمان (متى) على الفعل » (٩٠) . وقد اتخذ هذا الرفض سبيلين :

الأولى : رفض دلالة شكل الصيغة الفعلية على زمن معين فى المستوى الصرفى وتنظيم دلالتها عليه فى المستوى النحوى

الثانى : رفض أن تدل الصيغة بذاتها على زمن . أو أن تدل عليه فى الاستعمال مطلقا . فهى فى الاستعمال قد تدل على زمن وربما لا تدل . فان « متأخرى الأصوليين مطبقون على أن المقوم لحقيقة الفعل هو الانباء عن حركة المسمى ، لا الاقتران بالزمن » (٩١) ويعنى ذلك : امكان تمزيق ظهر الورقة من غير تمزيق وجهها فـ « بنية الفعل » قد تبقى ، فى الاستعمال اللغوى ، على الزمن ، وقد تطرده خارجا . ويعنى ذلك على عبارة الاستاذ كراوس : « هدم زمنية الفعل العسرى التى قررها النحاة » (٩٢) . وكان السيوطى قد نقل عن السهيلي تحليله دلالة صيغة الفعل على الزمن فى جملة :

« لا أفعله ملاح برق وما طار طائر » .

يقول : « لأنهم يريدون الحدث مخبرا عنه على الإطلاق من غير تعرض

(٨٨) يشبه (دى سوسير) الرمز اللغوى بورقة ذات وجهين الوجه فيها هو الدال والظهر هو المدلول ، ولا يمكن تمزيق وجه هذه الورقة من دون تمزيق ظهرها وانظر مشكلة البنية : ٤٩ .

(٨٩) شرح للفصل : ٧ : ٢١ .

(٩٠) التركيب اللغوى للادب : ١٢ .

(٩١) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٤٩ . وينظر أيضا : الآراء الرأئية الحديثة

فى تيسير قواعد اللغة العربية وبيان أسرارها : ١٣ .

(٩٢) محاضرات فى لغة اللغة / مخطوطة : ٣٤ .

لزمان « (٩٣) وقد دعا الدكتور ابراهيم أنيس الى « دراسة أساليب الصيغ مستقلة عن الفكرة الزمنية » (٩٤) ويشير الدكتور مهدى المخزومي الى أن « الفعل الذي يلى أدوات الشرط خلو من الدلالة على الزمان ، سواء كان على (يفعل) أو على (فعل) (٩٥) وقد رأى الدكتور ابراهيم أنيس أن دورة الصيغ الفعلية في أسلوب الشرط دليل على أن الصيغة الفعلية تفك ارتباطها بالزمن (٩٦) ولا يتردد كثير من الباحثين في ابعاد صيغة فعل « الأمر » « أن تكون قديما (زمنيا) (٩٧) للماضي والمستقبل (٩٨) لأن هذه الصيغة « بالبداية لاتدل على معنى زمني » (٩٩)

هناك عنصر ثان يعد من المفهومات النحوية للفعل . .

وهو انساب الفعل الى فاعله الذي يحدثه أو الذي يستند اليه .
ان الفعل يتضمن ببنائه «أشارة» الى محدث أو مستند اليه . ومعنى ذلك ان النظر في العربية الى الفعل يؤدي الى النظر الى الفاعل ، أو المستند اليه . وعبارة سيبويه : « لا يبد للفعل من الاسم » (١٠٠) وترجم « عيس » (١٠١) الى الانكليزية بـ « He Frowned » (١٠٢) ويعني ذلك امكان التفريق بين الاسم والفعل في ضوء هذا المقياس ، وامكان طرح المقياس الزمني بوصفه أداة تفريق وحيدة بين الاسم والفعل من جهة ، واقسام الفعل من جهة أخرى . « فالاسم : كلمة تدل على معنى - من غير اختصاص بزمان - دلالة البيان .

والفعل : كلمة تدل على معنى - من غير اختصاص بزمان - دلالة الافادة . » (١٠٣)

ومن هذا الملاحظ صدرت تلك الاشارات في التحليلات النحوية الى تلك النسبة . فاين هشام يعرف الفعل بـ : « نفس الحدث الذي يحدثه الفاعل » (١٠٤)

(٩٣) الانشاء والتظاهر : ١ : ٦٠ .

(٩٤) من أسرار اللغة : ١٧٢ .

(٩٥) في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ٢٩٩ .

(٩٦) من أسرار اللغة : ١٧٥ .

(٩٧) ما وضع بين قوسين ليس من نص الاقتباس ، بل زيادة انضماما للسياق .

(٩٨) الفعل زمانه وأبنيته : ٢١ .

(٩٩) نحو الفعل : ٢٤ .

(١٠٠) الكتاب : ١ : ٢٦ .

(١٠١) عيس : ١ .

(١٠٢) ترجمة معاني القرآن الكريم : ٧٩٠ .

(١٠٣) رسائل في النحو واللغة : ٣٨ .

(١٠٤) شرح شذور الذهب : ١٢ .

وعبارة الأسموني : « لأن الفاعل كجزء من فعله » (١٠٥) . وملحظ
الاصوليين في هذا الجانب دقيق ، وهو : « صدور الحدث من الفاعل دون
ربطه بزمان صدوره » (١٠٦) . وجعل الدكتور مهدى المخزومي المميز
الثاني للفعل « أنه يبنى على المسند اليه ويحمل عليه » (١٠٧) .

ومن العناصر النحوية التي تصدر عن بنية الفعل ودلالة مادته (١٠٨)
عنصر التصدي واللزوم ، حيث يقدم البناء الفعلي تصنيفه الثنائي الى
النحو . وكان هذه البنية تنطوي مرة على « مسند اليه » و « مقول به »
وتنطوي مرة أخرى على « مسند اليه » وعلى رفضها قبول مقول به والى
الأولى يشير سيبويه بقوله : « تقول دخل وخرج وجلس . فإذا أخبرت
أن غيره صيره الى شيء من هذا قلت : أخرجه وأدخله وأجلسه ومن ذلك
أيضا : مكث وأمكنته . وقد يجيء الشيء على « فعلت » « فيشرك » « أفعلت » .
وذلك قولك : فرح وفرحته وإن شئت قلت : أفرحته » (١٠٩) والى البنية
الثانية يشير بقوله : « ولما لا يتعداك ضرب رابع لا يشركه فيه ما يتعداك .
وذلك « فعل يفعل » نحسو « كرم يكرم » وليس في الكلام فعلته
متعديا (١١٠) . وقال في موضوع آخر : « ليس في الكلام أنفعلته » (١١١)

ويكفي أن نتصفح الجزء الصرفي من كتاب سيبويه لنرى تأثير بناء
(الفعل) في تكوين الجملة ، غير أنه ليس من شأن هذه الرسالة أن تتوسع
في بحث الامكانيات الدلالية للصيغة الفعلية ، التي تحمل الى السياق ، لأن
ذلك موضوع متشعب ، يحتاج ، في كثير من الأحيان ، الى نظر في مادة
الصيغة وبنائها ، مجتمعين ، ولأن هدفنا أن نرى تلك الدلالات - ومنها
ما عرضنا لها ، كدلالة حدثه (التجدد) ودلالاته النحوية (كالاسناد ،
والتعدية واللزوم) وما ستعرض لها ك (دلالة مادته المعجمية ، ودلالة بنائه
على الزمن في النحو) - لنرى قصور التعريف المتداول الذي يرى أن
الصيغة الفعلية = حدث + زمن .

ليس هذا حسب ، بل لنثبت أن (الزمن) الحلق بالصيغة الفعلية

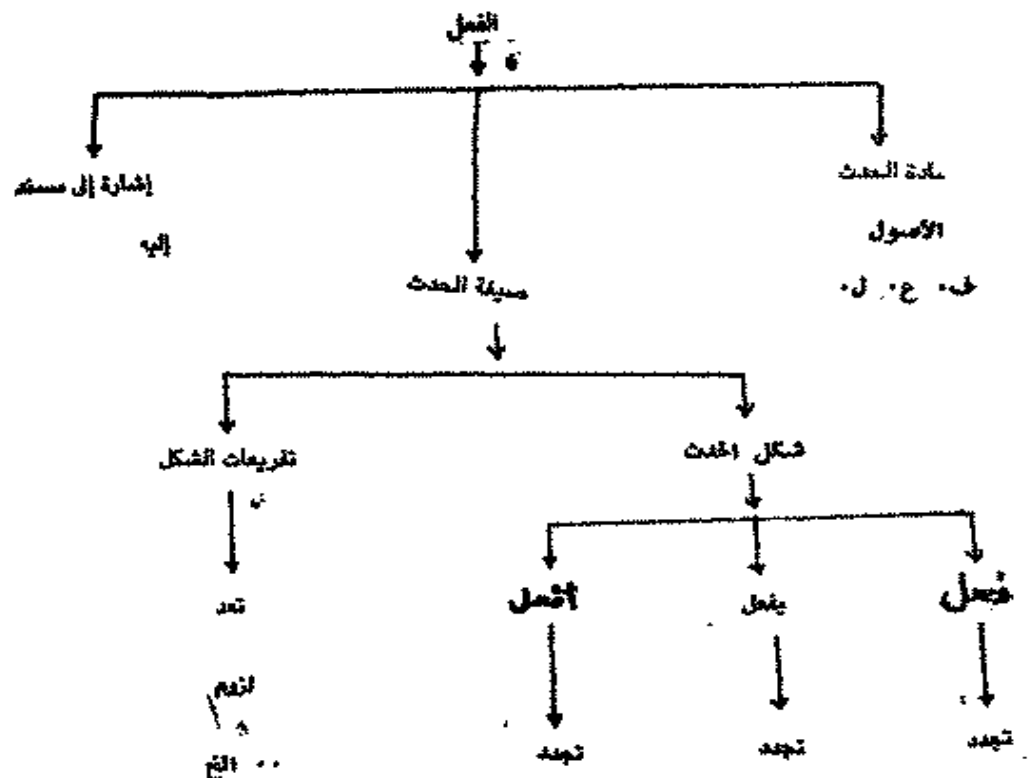
-
- (١٠٥) شرح الأصولي : ١ : ٢٣ .
(١٠٦) البحث النحوي عند الأصوليين : ١٦٩ .
(١٠٧) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٢٠ .
(١٠٨) ستعرض لتأثير المادة في التركيب النحوي في مبحث « الزمن والمادة المعجمية »
ليما نستقبل أن شاء الله .
(١٠٩) الكتاب : ٤ : ٥٥ .
(١١٠) الكتاب : ٤ : ٢٨ .
(١١١) الكتاب : ٤ : ٧٦ .

المتنزهة الحاقا عقليا مجردا ، وليس الحاقا لغويا ، باعتبار أن الأحداث لا تنفك عن الزمن أبدا ، وتقودنا الملاحظات السابقة الى نقطتين :

الأولى : أن للصيغة الفعلية سمات دلالية ثابتة في المستوى الصرفي ليس الزمن واحدا منها .

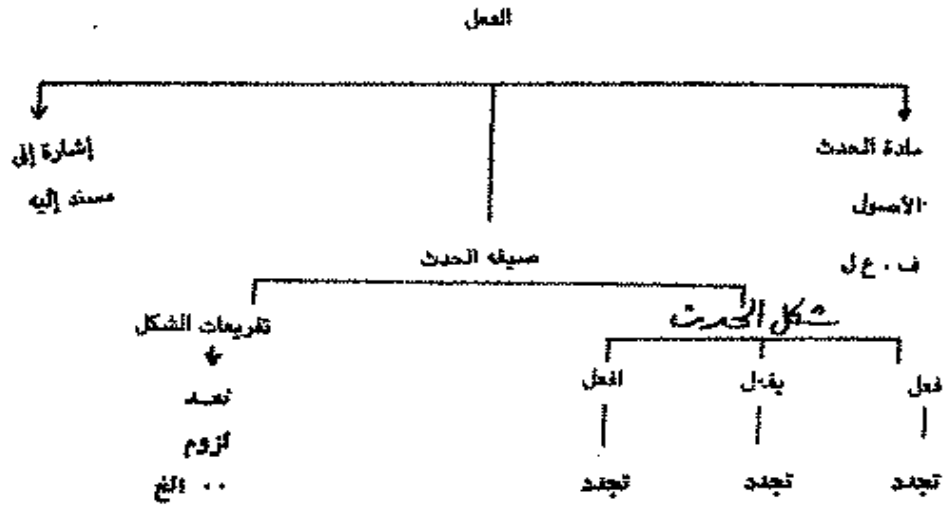
الثانية : أنه ينبغي لنا أن نبحث في التركيب الفعلي للعربية وليس هذا من متعلقات هذا الفصل . أن بحثنا يتركز حول الصيغة الفعلية بوصفها الدالة الزمنية في العربية .

وفي خضوه ما تقدم يمكن التوسع في رسم مخطط : الفعل الصرفي ، في العربية على الوجه الآتي :



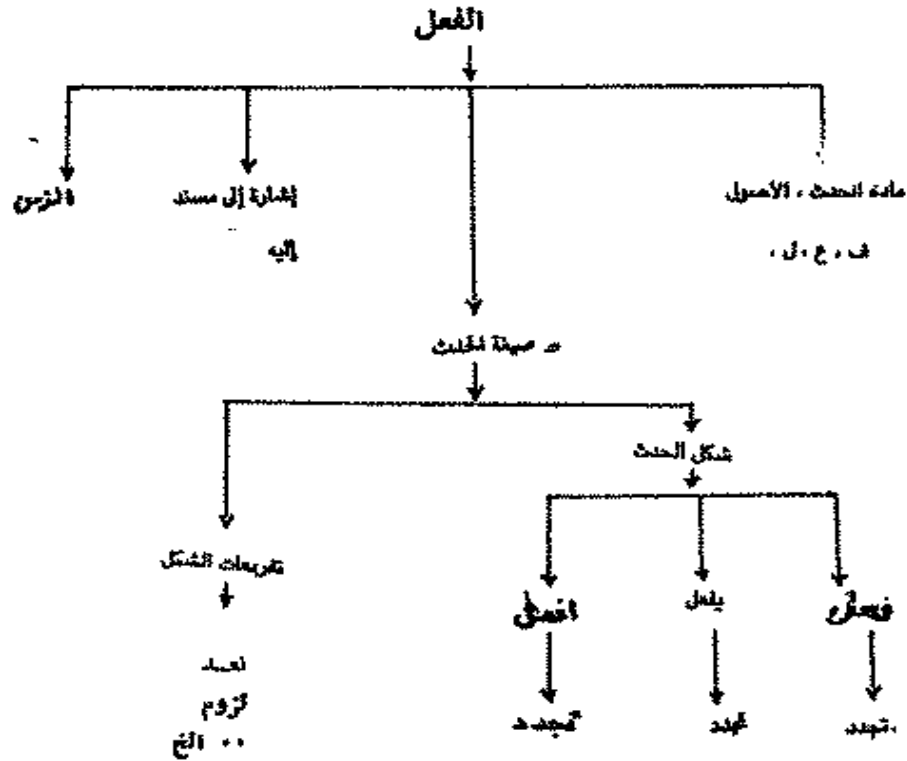
كما يمكن وضع مخططين نحويين بإزائه على الوجه الآتي :
المستوى النحوي :

أ -



المستوى النحوي

ب -



وأهم ما تنتهي إليه من المخططات الثلاثة ومما سبقها ، أن العرق الصرفي للصفة الفعلية ، في النحو يمتد بسمات ثلاث هي « مادة الحدث والاشارة الى فاعل ، والتجند الفعلي » . أما الزمن فليس سمة صرفية أولا وليس سمة نحوية مطلقة ، بل هو من السمات النحوية للصفة الفعلية وليس كلها .

ويعنى ذلك أنه في المستوى الصرفي يمكن عقد مقارنة على مستوى الأحداث بين أشكال الصيغ الفعلية من جهة ، والفعل والأينية التي تنطوي على حدث (المصادر ، أسماء الفاعلين) من جهة أخرى أى الاجابة عن الاعتراض الذي ورد في « البحث النحوي عند الأصوليين » وهو : « اذا تجردت الأفعال الانشائية من الزمان لزم أن تكون صيغتها من غير مدلول أو يكون مدلولها مدلول المادة (الحدث المجرد) وحينئذ يتعدم الفارق بين الأفعال الانشائية من جهة وبين المصادر الأخرى » (١١٢) لأن بحثنا ينصب على تجريد الصيغ الفعلية من الزمن في الصرف ، والبحث عن مدلول حدثها ، بازاء صيغ اتفق على أنها تنطوي على أحداث بلا أزمان .

فالفعل	حدث	ذو سمة : ف
واسم الفاعل	حدث	ذو سمة : س
والمصدر	حدث	ذو سمة : ص

وكشف الفروق بين ف و س و ص ، - أى من جهة الأحداث - هو الذي يميز بين الفعل وبناء فاعل والمصدر .. الخ .

وسنورد هنا مثالا واحدا (وسنتوسع في الأمثلة في مواضعها من هذا الفصل) : « فنحو أنا كاتب رسالة أى : سأكتب رسالة » (١١٣) فصيغتا اسم الفاعل والفعل المضارع مطابقتان من حيث دلالتهما على الزمن .

أى الزمن هنا عنصر تطابق ، فينبغي أن تبحث عن الفرق بين التركيبين من زاوية نفس الحدث . وليس ذلك من قبيل البحث في الأسلوب Style بل هو بحث في الدلالات اللغوية .

وأهم مميزات دلالي لحدث الفعل ، كما لاحظنا ، هو التجند أو انبأؤه

(١١٢) البحث النحوي عند الأصوليين : ١٦٦ .

(١١٣) في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ١٥٨ .

عن حركة ليس في مادته بل في صيغته فـ « سكن فعل منبى عن حركة المسمى » (١١٤) وهذا هو ما انتهى اليه الدكتور مصطفى جمال الدين ، الذي رأى أن لا ربط الفعل بـ (حركة الحدث) اقرب الى المدلول اللغوي لكلمة الفعل ، (١١٥) .

أما ما اصطلح عليه بصيغة (اسم الفاعل) فهي صيغة مركبة من صفة وموصوف . وعبارة الأسموني : «الصفة الدالة على فاعل» (١١٦) واخفق الدكتور تمام حسان على اسم الفاعل : صفة الفاعل ، وعرفها بأنها « ما تدل على وصف الفاعل بالحدث » (١١٧) .

اذن فبنية (فاعل) تنطوي على عنصرين :

١ - مسمى الوصف بالحدث .

٢ - صيغته (الحدث)

ويعنى ذلك أن هذه البنية تضع (الحدث) في ظلال تركيبها ودلالتها ، فليس هو ، ها هنا ، حدثا مجردا (مصدر) أو حدثا متحركا (فعل) . نقول ضربت (الضارب) .

فتتطابق هذه الجملة مع :

ضربت زيدا (الذى صيغته كذا) .

فالحدث الذى يصف (زيدا) جزء ثانوى في صيغة (فاعل) .

ولكن هذا (الحدث) ، فى الاستعمال ، قد يتسع داخل بنية (فاعل) فيقترب من مفهوم حدث فعلى فيتضام مع مفعول ، كما فى قوله تعالى : « انى جاعل فى الارض خليفة » (١١٨) . ويفترض النحاة أن صيغة (جاعل) اى صيغة (فاعل) تجرى فى مثل هذه الاستعمالات مجرى الفعل (١١٩) أو هى فعل كما نص على ذلك الفراء (١٢٠) ولهذا يمكن أن تحل محلها صيغة فعلية محضة . وهى ها هنا (أجعل) .

(١١٤) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٤٧ .

(١١٥) المصدر السابق : ١٤٨ .

(١١٦) شرح الأسموني : ١ : ٣٣٩ .

(١١٧) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ .

(١١٨) البقرة : ٣٠ .

(١١٩) الكتاب : ١ : ١١٧ .

(١٢٠) ينظر معالى القرآن : ٢ : ٨١ .

فإذا كانت الصيغتان متطابقتين تماما من حيث (العمل) وهو جوهر النظر النحوي القديم ، فانهما تظلمان مختلفتين بما نسميه (المميز الحدتي) وإذا كنا قد بينا أن المميز الحدتي للفعل هو التجدد والمحنأ الى أن المميز الحدتي للمصدر هو (الثبوت) فإن المميز الحدتي لصيغة (فاعل) هو الثبوت على طريق صفة ، فالمصدر وبناء (فاعل) كلاهما يصدران - لوجود حدنيهما - عن الفعل ، وبدلأته عن الاسم ، الأول لأنه (مسمى الحدث) (١٢١) والثاني لأنه (وصف المسمى) بالحدث « الفاعل » - ويمكن وضع المخطط الآتي للفعل والمصدر وصفة الفاعل ، بالمميز الحدتي، على النحو الآتي :

المصدر	الفعل	صفة الفاعل
الحدث ذاته	حدث تجددى	حدث وصفي

والاعتراض الذى ينبغى أن يثار هنا هو إذا كان بإمكاننا أن نلاحظ الفروق الحديثة بين الفعل والصفة والمصدر ، فكيف يمكن أن نفسر اختلاف أشكال (الفعل) التى اطرحنأ اتجاهها الى مدلول زمنى ورأينا تطابقها فى السمة الحديثة ، أعنى التجدد الذى هو سمة الماضى والمضارع والأمر ، وليس المضارع وحده (١٢٢) ؟

إذا أبعدنا صيغة الأمر (١٢٣) تبقى لدينا صيغتان : (فعل) و (يفعل) فإذا لاحظنا أن صيغة (يفعل) حتى عند من ألصق بهما زمنا صرفيا (١٢٤) ليست لها دلالة زمنية مستقرة ، بل تدل بصورتها على زمنين : هما الحاضر والمستقبل ، وإذا أضفنا الى ذلك ما اذهينأنا اليه (١٢٥) من أن صيغتي (يفعل) و (فعل) لا تدلان دلالة مطلقة على الزمن فى المجال النحوى ، بل قد تفرغان منه ، أمكنأنا أن ندرك ضعف استعمال الزمن أداة للتفريق بين أشكال الصيغ الفعلية ، وفرض علينا ذلك ، أن نبحث ، ثاتية فيما يتميز به حدث كل صيغة فعلية :

ان صيغة (فعل) تشير الى الحدث التام ، التام الفعلية لا الزمنية، أى أن حدث (فعل) حدث متجدد ، مقطوع به ، أى حدث متحرك له

(١٢١) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٥ .

(١٢٢) ينظر ص ٧٩ عما يمدأنا من هذا الفصل .

(١٢٣) ينظر الفصل الرابع : الزمن بين أسلوبى الخبر والانشاء .

(١٢٤) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ . وينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(١٢٥) ينظر ص ٦٥ من هذا الفصل .

دلالة القطع أو التأكيد أو التثبيت . وهذا هو جوهر رأى المستشرق (بول كراوس) الذى يقول : « وأقول : (أقسمت) وأنا أريد أن أقول (أقسم) ، ولانى أريد أن أقسم قسما جازما . . ومعنى ذلك : أن صيغة *Perfect* التى نسميها الماضى لا تدل على الزمنية ولكن على شئ آخر هو أننى ألقى فى سمع السامع مع هذا الاعتقاد أن قسمى الشديد كأنه نفذ . كأنه قد انتهى . فما يسمونه (الماضى) طائفتان أنه يدل على الزمن ، وما هو بدال على الزمن ، وإنما هو مثلا يدل على انتهاء العمل ولذلك يسميه النحوى *Perfect time* ومعناه المنتهى التام الذى وصل الى تمام فعليته » (١٢٦) .

ويعنى ذلك أن صيغة (فعل) تشير الى تمام انتهاء الحدث . اذا فرغت من الزمن . وعلى تمام انتهاء الحدث فى الزمن الماضى ، اذا دلت على زمن . وهذا هو جوهر ملاحظة الأستاذ عباس العقاد : « يقول القائل : (صحبتك السلامة » و « حفظك الله » ، و « رعاك الله » . . ولا يمتنع على قائل أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء » (١٢٧) .

ان الأفعال « حفظ » و « صحب » و « رعى » أفعال مفرغة من الزمن قصد منها شعور (بقوة الأمل فى الاستجابة) (١٢٨) أما الزمن فمصدره « معنى » التراكيب الذى هو معلق « بالبداهة بالاستقبال » (١٢٩) . فاذا قصدنا الى الزمن بالصيغ قلنا « نصحبك السلامة ويحفظك الله ويرعاك » وهذا هو معنى قوله :

« ولا يمتنع على قائل أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء » .

وصيغة (يفعل) أو المضارع . تنطوى على دلالة التجدد بوصفها فعلا ، وعلى دلالة عدم القطع أو عدم التمام ، ومن دلالات هذه الصيغة التردد والاستحضار والاستمرار والتعبير عن « الحقائق والعادات » (١٣٠) والتجارب » (١٣١) ويعرض (بول كراوس لصيغة (يفعل) فى « أن الذى نسميه مضارعا ، أو مستقبلا هو بالضبط *Imperfect* أى الفعل

(١٢٦) محاضرات فى فقه اللغة / مخطوطة : ٣٤ .

(١٢٧) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤١ .

(١٢٨) المصدر السابق : ٤١ .

(١٢٩) المصدر نفسه : ٤١ .

(١٣٠) فى النحو العربى لغة وتوجيه : ١٥٧ .

(١٣١) الفعل زمانه وأينيته : ٣٢ .

الذي لا يدل على زمن بل يدل على عدم تمام وكمال ليس في الزمن بل من وجه نظر الفعلية » (١٣٢) .

ان (كراوس) يضع بإزاء زمنية الفعل المطلقة ، لا زمنيتها المطلقة وعلى عبارته « عدم زمنية الفعل العربي » (١٣٣) .

ونوجه هذا التهم ينبغي أن يكون في المستوى الصرفي ، والا فان اللازمية الفعلية في النظام النحوي واحد من اتجاهات الصيغة الفعلية وليس الانجاء الوحيد ، فالصيغة الفعلية دالة زمنية أو غير زمنية بحسب السياق الذي تشغله .

ومن هذا القبيل ، اي من قبيل الملاحظات حول « صيغة المضارع » ما يراه النافذ الأستاذ محمد مندور الذي يقول : « اننا نحس في دلالة المضارع « معنى الحالة المستمرة » المنسحبة من الماضي الى الحاضر فالمستقبل » (١٣٤) وينتهي الى القول « بان المفاضلة بين الماضي والمضارع ليست مفاضلة بين الفاظ بل بين معان وعلى الاصح بين حالات نفسية بأكملها » (١٣٥) .

وعلى الرغم من أن الأستاذ محمد مندور يتجاوز طرف المعادلة اللغوية الآخر وهو « الشكل » فانه يشير الى الاتجاه ذاته .

ولعل ذلك هو الذي يفسر تقلب الصيغ في بنية العربية ، الذي يستند الى افلات حدث الصيغ الفعلية من قيد الزمن في النظام النحوي ولا كانت الصيغ الفعلية قد فرغت من الزمن صارت :

(أ) تأخذ موقعها في التركيب بحسب ما يصدر عن مميزاتها الحديثة من دلالات متنسوعة (التجدد ، القطع ، عدمه ، الاستحضار ، الفاؤل ... الخ) .

(ب) تشارك الصيغ غير الفعلية (الأسماء ، الصفات ، المصادر) في نوع من الدرافد في الموقعية ، للافسادة ، من مميزات أحداثها .

ونشير في هذا الموضع الى آراء اللغويين في تفسير ظاهرة تقلب الصيغ ونفرد لنظرية الجرجاني فيها مبحثا خاصا :

(١٣٢) محاضرات في فقه اللغة (مخطوطة) : ٣٤ .

(١٣٣) المصدر السابق / مخطوطة : ٣٤ .

(١٣٤) النقد اللغوي عند العرب : ١٤٤ ، ١٤٥ .

(١٣٥) المصدر السابق : ١٤٤ ، ١٤٥ .

يقول سيديويه : « وقد تقع (نفع) في موضع « فَعَلْنَا » (١٣٦)
وعبارة الفراء : « ولا بأس أن ترد (فَعِلَ) على (بفعل) » (١٣٧) .

وفي موضع تعقيبه على الآية الكريمة « ان الذين كفروا ويصدون
عن سبيل الله » (١٣٨) يقول : « وان شئت قلت الصد منهم كالدائم
فاختسير لهم (يفعلون) كأنك قلت : ان الذين كفروا ومن شأنهم
الصد » (١٣٩) . ويقول الصبان : « ويقدر الماضي واقعا في الحال أي
في زمن التكلم لاستحضار صورته العجيبة » (١٤٠) وابن هشام
يقول : « نزل المستقبل منزلة الحاضر المشاهد » (١٤١) وفي هذا
الضوء يفسر النحاة وعلماء الدلالة العرب مصطلح : « حكاية الحال » .

فيعرفه الرضي بـ « حكاية المعاني الكائنة حينئذ للألفاظ » (١٤٢)

ونقل عن جابر الله قوله « معنى حكاية الحال أن يقدر أن ذلك الفعل
الماضي واقع في حال المتكلم كأنك تحضره للمخاطب وتصوره . وتقول :
« رايت الاسد فأخذ السيف فأقتله » (١٤٣) وعرض فندريس لما سمي
بـ « الحاضر التاريخي » وهو : « الماضي يمكن أن يعبر عنه بالحاضر ،
وهو استعمال شائع في الحكاية » (١٤٤) ومصطلح (المضارع التاريخي)
يطابق مصطلح (حكاية الحال) عند النحاة .

ان وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبى واحد يعنى تفريغ
صيغة ما ، دون غيرها ، من الزمن ، حيث تشير الى وجه من وجوه دلالتها
الحديثية . ومن هنا يكون من الخطأ استناد الزمن الى مثل هذه الصيغ
بوصفها (شكلا زمنيا) لأن الزمن يكتسب من قرائن السياق اللفظية
والمعنوية . ففي قوله تعالى : (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم
النار » (١٤٥) يتم تعيين اتجاه الصيغ الدلالي كما يأتى :

(١٣٦) الكتاب : ٣ : ٢٤ .

(١٣٧) معاني القرآن : ٢ : ٢٢١ .

(١٣٨) الحج : ٢٥ .

(١٣٩) معاني القرآن : ٢ : ٢٢١ .

(١٤٠) حاشية الصبان : ٣ : ٢٩٩ .

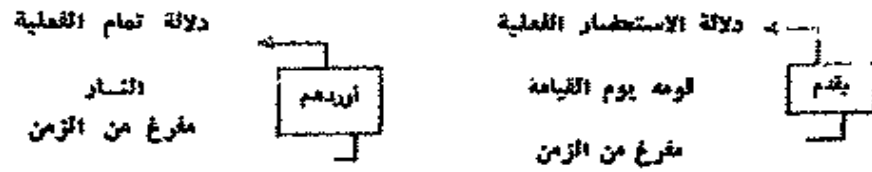
(١٤١) اللغنى : ١ : ٢٢٨ .

(١٤٢) شرح الكافية : ٢ : ٢٠١ .

(١٤٣) شرح الكافية : ٢ : ٢٠١ .

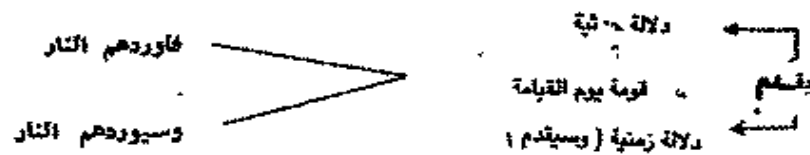
(١٤٤) اللغة : ١٣٨ .

(١٤٥) هود : ٩٨ .



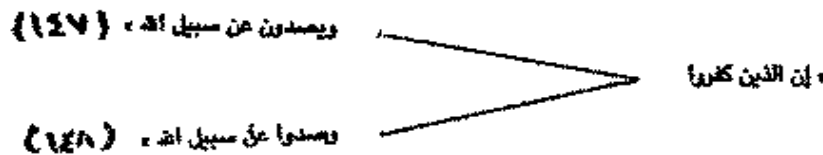
ان طرف الاستقبال (يوم القيامة) + النار (جهنم) = اشارات
 معنى ان المستقبل هو زمن الآية . أما الفعل المضارع « يقدم » فهو مفرغ
 من الزمن ، يؤدي معنى استحضار صورة حدثه ... وهو تقدم فرعون عليه
 اللعنة قومه يوم القيامة وكذا الفعل « أورد » فعل تام أى يؤدي معنى
 القطع والتأكيد بوقوع الحدث . وليس يعنى وقوعه فى سياق زمن
 مستقبل أنه يعبر عنه ، أو كما يقول صاحب « الجنى الدانى » : « الأمور
 المستقبلية لما كانت فى أخبار الله متيقنة ، مقطوعا بها ، عبر عنها بلفظ
 الماضى » (١٤٦) ولو كان الزمن مقصودا اليه من الصيغة لما احتيج الى
 شكل الماضى أو شكل الحاضر ، فاللغة غير عاجزة أن تمد التركيب بمركب
 المستقبل : « سيورد » .

ومنتهى التحليل هو :



فمن الخطأ القول ان صيغة « الماضى » أو « فعل » تعبر عن زمن
 مستقبل فى مثل هذه التراكيب اللغوية ، أو أن صيغة « الحاضر » أو
 « يفعل » تعبر بصورتها عن زمن ماضى .

ومختصر القول فى هذه النقطة يتضح فى قوله تعالى :



- (١٤٦) الجنى الدانى : ٢١٢
- (١٤٧) الحج : ٢٥
- (١٤٨) النساء : ١٦٧

وهناك فرق دقيق ينبغي أن نلاحظه : فرق بين خلو الصيغة من الزمن ودلالتها عليه بالاكتمال ، وهذا هو نفس ما أشار إليه الجرجاني تحت مصطلح « وجوه كل باب وفروقه » (١٤٩) الذي يعرض في جانب منه لاختلاف أشكال الصيغ في ضوء اختلاف طبيعة أحوالها ، وليس في اختلاف دلالتها على الزمن .

يقدم لنا عبد القاهر الجرجاني عددا من الاختيارات ، داخل نمط لغوي واحد ، ففي الخبر أو (المسند) :

« ينظر الى الوجوه التي تراها في قولك :

١ - زيد منطلق .

٢ - زيد ينطلق .

٣ - ينطلق زيد .

٤ - منطلق زيد .

٥ - زيد المنطلق .

٦ - المنطلق زيد .

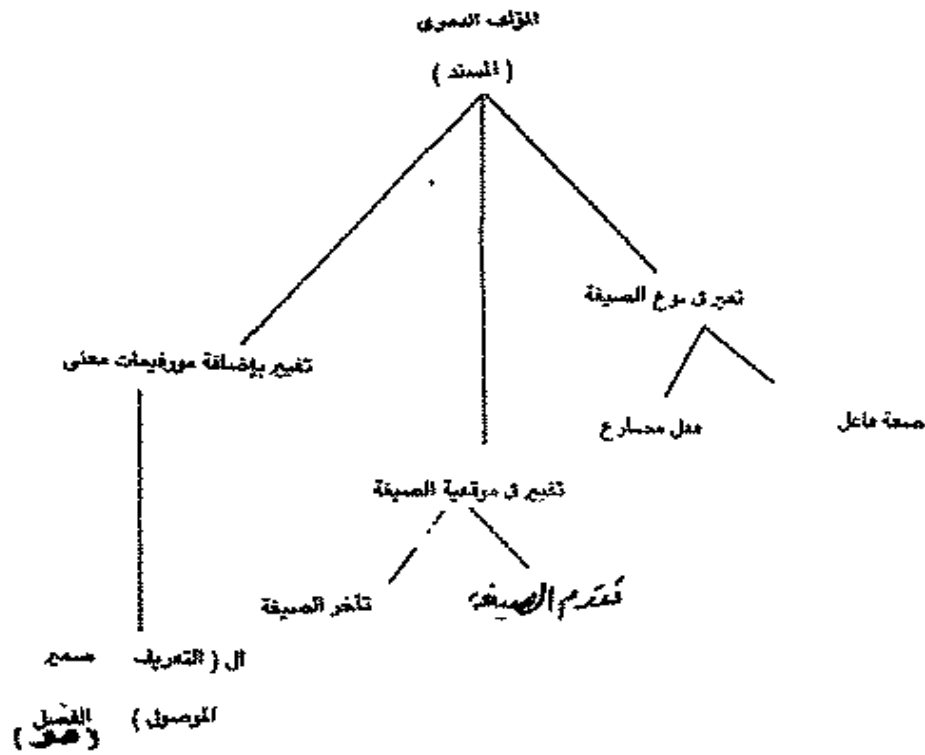
٧ - زيد هو المنطلق .

٨ - زيد هو منطلق . » (١٥٠)

تدخل الجمل الثماني السابقة في جدول التوزيع التحوي في مؤلف نحوي واحد هو المسند . غير أن لكل جملة معنى فرعيا مضافا الى معنى (الاسناد) اكتسب من التغيرات الحاصلة فيما بين هذه الجمل . وهذه التغيرات يوضحها المخطط الآتي :

(١٤٩) دلائل الإعجاز : ٦٧ .

(١٥٠) دلائل الإعجاز : ٦٧ .



والمؤلف النحوي الثاني الذي يمرض له الجرجاني هو : الحال :

يقول : « قولك :

- ١ - جاءني زيد مسرعاً
- ٢ - جاءني (زيد) يسرع
- ٣ - جاءني (زيد) وهو مسرع
- ٤ - (جاءني (زيد) هو يسرع
- ٥ - جاءني (زيد) قد أسرع
- ٦ - جاءني (زيد) وقد أسرع « (١٥١)

ويمكن أن نضيف تفريعا سائما لهذا المؤلف . قوله تعالى :

« أو جاءوكم حصرت صدورهم » (١٥٢) .

(١٥١) دلائل الإعجاز : ٦٧ .

(١٥٢) النساء : (٩٠) .

يقول الزمخشري : « حصرت مندورهم في موضع الحال بأضمار
« قد » (١٥٣) ويعنى ذلك أن (الحال) ينطوى على سبع دلالات ، تضاف
كل دلالة الى وظيفتها النحوية التى هى : « بيان هيئة الفاعل أو المفعول ،
وذلك قولك (ضربت زيدا قائما) تجعله حالا من أيهما شئت » (١٥٤)
ويعنى ذلك أن لدينا مؤلفا نحويا واحدا هو الحال وسبعة مؤلفسات
دلالية هى الأحوال السبع : وكما يأتى :

(١) بيان هيئة + صفة فاعل	
(٢) بيان هيئة + فعل مضارع	
(٣) بيان هيئة + جملة اسمية	
(٤) بيان هيئة + جملة فعلية مضارعية	
(٥) بيان هيئة + قد + فعل ماضى	
(٦) بيان هيئة + و + قد + فعل ماضى	
(٧) بيان هيئة + فعل ماضى (١٥٥)	

الحال النحوى

وما يهمنا هنا هو فروق المعنى التى تستند الى فروق نوع الصيغ
أما الزمن اللغوى فى الجمل السبع فهو واحد : الماضى أى بيان حال
زيد عند مجيئه فى الزمن الماضى . وهذا الزمن مكتسب من صيغة
(فعل) : (جاء) . أما الصيغ التى تدخل فى تكوين الحال : (فاعل ،
يفعل ، فعل) فلا دلالة فيها على الزمن : أو هى مفرغة من الزمن ، المقصد
من تنوعها : تنوع فى معانى الحال ، بما تقدمه من المميزات الحديثة
التي أشرنا اليها .

والمؤلف الثالث ، الذى يشير اليه الجرجاني ، هو مؤلف الجملة
الشرطية :

أخرج	قولك : « أن تخرج
خرجت	ان خرجت
فأنا خارج	أن تخرج
ان خرجت	أنا خارج
خارج ... » (١٥٦)	أنا ان خرجت

(١٥٣) الكشف : ١ : ٥٥٣ .

(١٥٤) القمل : ٦٦ .

(١٥٥) الإنصاف : ١ : ٢٥٢ .

(١٥٦) دلائل الإعجاز : ٦٧ .

ويهمنا أن نقف عند (التركيب الشرطي) ، ونختبر صور أنماطه -
التي تدور فيها الصيغ الفعلية والحديثية الملحق بها .

وستجد في مباحث النحاة ملحظين :

الأول : الملحظ الزمني . ويمثله سيبويه وتابعوه من النحاة والدارسين
المعاصرين .

الثاني : الملحظ الحدثي ويمثله الجرجاني وتابعوه من النحاة والدلائيين
والدارسين المعاصرين .

الملحظ الزمني :

وعبارة سيبويه فيه : « فان كنت تريد أن تقرره بأنه قد فعل
فإن الجزء لا يكون » (١٥٧) غير أن آخرين ممن اتخذوا من الاستعمال
اللفوي معيارا ، نصوا على أزمان أخرى للشرط فقد لاحظ (ابن الحاجب)
أنه : « قد يستعمل الفعل الواقع شرطا » أن « وغيرها في مطلق
الزمان (١٥٨) . مجازا نحو « وان تؤمنوا وتثقوا يؤتكم أجوركم » (١٥٩)
فيدخل الماضي والمستقبل « (١٦٠) وقد استعمل ابن الحاجب كلمة (مجازا)
لتفادي الخروج على المقرر : وهو الزمن المستقبل . وجعل المبرد « لو »
شرطا فيما مضى « (١٦١) . ولاحظ الفراء أن « كان » وهي من أهم قرائن
الزمن في العربية لا يتأتى لها دور داخل التركيب الشرطي . قال : « وكان
قد يبطل في المعنى لأن القائل يقول : « ان كنت تعطيني سالتك » ، فيكون
كقولك : « ان أعطيتني سالتك » (١٦٢) لكن نسب إلى أبي العباس
المبرد مذهبه في أن « ان » تقلب الماضي إلى المستقبل الا « كان » وحدها
لأنها كانت أصل في الأفعال الماضية ، فلم تقو « ان » على قلبها « (١٦٣)
ووردت الإشارة ذاتها عند (القيسي) : « الا » « كان » لقوة « كان »
وكثرة تصرفها « (١٦٤) . ومثل ذلك قال الرضي « كان » للشرط في

(١٥٧) الكتاب : ٣ : ٩٥ .

(١٥٨) كما لاحظنا بأن مصطلح (مطلق الزمان) يعني لغويا (الملو من الزمان) .

انظر : ص ٥٦ : من هذا الفصل .

(١٥٩) مجلد : ٣٦ .

(١٦٠) حاشية الصان : ١ : ١٦ .

(١٦١) التوطئة : ١٣٥ .

(١٦٢) ساني القرآن : ٢ : ٥ ، ٦ .

(١٦٣) التوطئة : ١٣٦ .

(١٦٤) مشكل اعراب القرآن : ١ : ٣٨٥ .

الماضي وهو مذهب المبرد وهو الحق بدليل قوله تعالى : « ان كنت قلتة (١٦٥) » ، (١٦٦) ونص في موضع آخر على أن « الشرط والجزاء اما في المستقبل أو في الماضي » (١٦٧) ونص في موضع ثالث على أن « لو » قد تكون للاستمرار كما في « اذا » . قال على (ع) « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لا يتغى اليهما ثالثا » (١٦٨) .

وهكذا فإن النحاة لا يتفقون ، بسبب من الاستعمالات اللغوية ، على « زمن » معين يخصون به التركيب الشرطي . فهم يذكرون :

١ - المستقبل ٢ - الماضي ٣ - مطلق الزمن ٤ - المستمر في الزمن .

فإذا انتقلنا الى المعاصرين : وجدنا :

١ - الرأي الذي يتابع أغلب النحاة في أن زمن الشرط « لابد أن يخلص للمستقبل المحض » (١٦٩) أو « أن الشرط : هو : كلا الحدثين لم يقع » (١٧٠) .

٢ - أن الشرط يقع في المستقبل والحاضر ، وجنسا ثانيا منه يقع في الماضي ، (١٧١) .

٣ - أن زمن الشرط مقصور على الحال والاستقبال وهو ما ذهب اليه الدكتور تمام حسان : مشعرا أن الصيغة الفعلية لا تتضمن إشارة الى زمن . . . وانما الذي يفصح عن الزمن الحال أو الاستقبال : هو الظرف . وقد عبر عن ذلك ما اتخذته الدكتور تمام من جدول زمني كما يأتي :

(١٦٥) المائدة : ١١٦ .

(١٦٦) شرح الكافية : ٢ : ٣٦٥ .

(١٦٧) المصدر السابق : ٢ : ٢٣٦ .

(١٦٨) المصدر نفسه : ٢ : ١٠٩ .

(١٦٩) النحو الوافي : ٤ : ٣٦٦ .

(١٧٠) اللغة العربية المعاصرة : ١٠٣ .

(١٧١) التطور النحوي للعربية : ١٣٥ .

نوع الجند	الزمن	الجهة	فعل	يفعل	افعل
الشرط	الحال	كل الجهات	ان زيد قام الآن	ان يتم زيد الآن	-
	الاستقبال	كل الجهات	ان زيد قام غدا	ان يتم زيد غدا	-

(١٧٢)

ولم ينر النحاة القدماء والدارسون المعاصرون في هذا الملحق قضية
تغاير الصيغ : فام يضعنا الدكتور تمام حسان أمام مقرى وجود تركيبين
في اللغة : هما : « ان يتم زيد غدا » و « ان قام زيد غدا » ؛ متطابقين
تمام التطابق في المعنى والزمن ، في حين تختلف الصيغتان شكلا . وكان
هذا الاختلاف لا يؤدي الى اختلاف في الزمن : (يتم غدا) ، (قام غدا) ،
بل ان الدكتور تمام يشعرنا بأن الزمن الشرطي ينصرف الى الحاضر
والمستقبل التزاما وليس هو من خاصية الصيغ : وكان الصيغ مفرغة من
الزمن .

وقبل الدكتور تمام لم يعن « سيبيويه » بظاهرة تغاير الصيغ داخل
التركيب الشرطي والمعنى والزمن واحد :

بل نظر اليها من زاوية (التجانس) بوصف التركيب الشرطي واقعا
على حدثين ينبغي أن يشاكل أحدهما الآخر قال : « فأحسن الكلام أن يكون
الجواب (أفعل) لأنه نظيره في الفعل . وإذا قال (فعلت) ، فأحسن الكلام
أن تقول (فعلت) لأنه مثله . » (١٧٣) . وقال : « ضعف (فعلت) مع
(أفعل) و (أفعل) مع (فعلت) » (١٧٤) .

(١٧٢) اللغة العربية متاما ومبتما : ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(١٧٣) الكتاب : ٣ : ٩١ .

(١٧٤) المصدر السابق : ٣ : ٩٢ .

الملحظ الحديث :

انصب جهد (الجرجاني) كما لاحظنا (١٧٥) في وجوه الانواب وفروقتها على ملاحظة ظاهرة تغاير الصيغ في المؤلف النحوي الواحد : وقد اتخذ هذا الملحظ خطأ عند بعض الباحثين : يقول الخطيب القزويني : بعد أن جعل دلالة أداة الشرط « ان » عدم الجزم بوقوع الشرط ، وأصل « اذا » الجزم بوقوعه « (١٧٦) : « ولذلك كان النادر (أى المضارع) موقعا لـ « ان » وغلب لفظ الماضي مع « اذا » (١٧٧) » .

ويعمل ابن جني معي « صيغ « الماضي » في الشرط بـ : « تحقيقا وتثبيتا له » (١٧٨) .

ويعنى هذا أن الصيغ تفقد دلالاتها الزمنية في الشرط على رأى ابن جني حتى « جاز أن يقع بعضها موقع بعض » (١٧٩) .

أما من المعاصرين الذين أشاروا الى دلالة الافعال الحديثة لا الزمنية فالدكتور مصطفى جواد قال : « الفعل المعبر عنه بفعل الشرط اذا كثر حدوثه استعمل الماضي ، واذا قل حدوثه استعمل المضارع ، فالماضى أولى بالكثير لأنه كالحادث ، والمضارع أولى بالقليل لأنه لم يحدث » (١٨٠) .

ومثل ذلك إشارة الدكتور المخزومي « المتكلم باستعماله صيغة الماضي يومهم السامع برجحان أحد الطرفين على الآخر » (١٨١) .

وليس من هدف هذه الدراسة التوسع في بحث دلالة الصيغ والجمل والأدوات ومفاهيم هذه الدلالة ، عدا الدلالة الزمنية .

فماذا تقدم لنا تحليلات الملحظين السابقين ؟

انها تقف عند حقيقة لغوية ، غير أنها ، لمقتضيات المنهج ومقرراته ، تسلك في تفصيل مختل ، متناقض النتائج . وهذه الحقيقة اللغوية انتهى اليها الدكتور مهدي المخزومي ؛ فقد رأى : « أن الفعل الذى يلى أدوات

(١٧٥) انظر : ٧٢ من هذا الفصل . مفسون الهامش : ١٤٨ .

(١٧٦) التلخيص : ١٠٩ .

(١٧٧) التلخيص : ١٠٩ .

(١٧٨) الخصائص : ٣ : ٣٣١ .

(١٧٩) الخصائص : ٣ : ٣٣١ .

(١٨٠) للباحث اللغوية في العراق : ٤٨ .

(١٨١) في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ٢٩٦ . وعبارته (يومهم) غير دقيقة .

فالتكلم يهدف الى الايضاح لا الايهام .

الشرط خلو من الدلالة على الزمان ، سواء أكان على (يفعل) أم على (فعل) * (١٨٢) .

ولو أن النحاة والدارسين المعاصرين تنبهوا إلى هذه الحقيقة لما وقعوا فيما سبقته الإشارة إليه من تناقض ، وكان عز عليهم أن يروا (الفعل) يتخلل عن مقومه (الزمن) ، أو أن تناقض هذه النتيجة مقدمة خلاف المثل (١٨٣) . أو ينعدم الفارق بين الأفعال والمصادر . وهذه الاعتراضات قد أجيب عنها في مواضعها من هذا الفصل . وسنستدل على رأى خلو الصيغ من الزمن بعد أدوات الشرط بما يأتي :

١ - سنورد تراكيب شرطية متطابقة العناصر .

إذا + فعل ماض

وسنحاول تعيين أزمنتها :

(أ) قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لآخوانهم إذا ضربوا في الأرض » (١٨٤) .

(معنى إذا متى . كانه قال « متى ضربوا في الأرض » . أى هذا دأبهم . كلما خرجوا ضاربين في الأرض قالوا : هذا الكلام » (١٨٥) . فزمن الآية هو ، وفق التحليل السابق ، مطلق الزمان .

(ب) قوله تعالى « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها » (١٨٦) .

(إذا) وقعت للماضي . فإن الآية نزلت بعد انفضاضهم » (١٨٧) .

(ج) قوله تعالى : « إذا وقعت الواقعة » (١٨٨) « والمراد القيامة » (١٨٩) ويتضح أن زمن الآية هو المستقبل .

إن التنوع الزمني يعنى أن الزمن لا يصدر عن الشرط بوصفه أسلوباً

(١٨٢) في النحو العربي ، نقد ونوجيه : ٢٩٦ .

(١٨٣) عبارة ابن جنى : « خولف بين مثلها » الخصائص ٣/٣٣١ أى بين أشكال صيغها .

(١٨٤) آل عمران : ١٥٦ .

(١٨٥) اعراب القرآن : ٣ : ٨٩٣ .

(١٨٦) الجمعة : ١١ .

(١٨٧) صبح الهوامع : ١ : ٢٠٦ .

(١٨٨) الواقعة : ١ .

(١٨٩) الكشاف : ٤ : ٥١ .

لغويا ، ولا عن الأفعال بوصفها صيغا زمنية ، ولا عن الأدوات بوصفها قرائن زمنية . بل عن ظرف السياق ودلالاته .

٢ - سنعرض لفروق الدلالة بين (ان) و (اذا) . اذ فرق بينهما بأن « اذا » واجبة و (ان) مشكوك في فعلها . فيجوز وقوعه ولا يجب « (١٩٠) . فكانه وفق هذه القيمة تندرج صيغ « المضارع » تحت « ان » وتندرج صيغ « الماضي » تحت « اذا » كما صرح الخطيب القزويني . (١٩١) فإذا تناولنا فعل « مات » و « يموت » ، ولاحظنا استعمالهما الشرطي في القرآن وجدنا أن صيغة « الماضي » وحدها ترد بعد « ان » و « اذا » سواء فكان مادة هذا الفعل « الموت » تشير إلى كونه حقيقة من حقائق الوجود مقطوعا بوقوعها على نحو يتخطى معه دلالة « ان » التي هي للمشكوك فيه « (١٩٢) : فهذا دليل على أن الدلالة الحدئية في التركيب الشرطي هي مدار وجود الصيغ بعد أدوات الشرط .

٣ - يستوعب أسلوب الشرط في العربية : التشريعات والأحكام والتجارب « الأمثال » وحقائق الوجود والطبيعة . الخ وكل ما يتصف بما هو عام : خال من الزمن اللغوي أو واقع في جميع أزمنة الوجود . فقد انطوت سورة (النساء) وهي في (١٧٦/آية) (ست وسبعين ومائة آية) على ١١٥/ خمس عشرة ومائة جملة شرطية . وهي سورة تعنى بالأحكام التي تعين ثابتا (خارج الزمان : لغويا ، وفي مطلق الزمان وجوديا) ، فنلاحظ في هذه السورة ثلاثة تركيبات : اسمية ، فعلية ، شرطية :

١ - « للذكر مثل حظ الأنثيين » . . . (١٩٣)

٢ - « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » . الآية (١٩٤) .

٣ - « فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد . . . » الآية (١٩٥) .

(١٩٠) اعراب القرآن : ٣ : ٨٨٦ .

(١٩١) ينظر التلخيص في علوم البلاغة : ١٠٩ .

(١٩٢) شرح المفصل : ٩ : ٤ .

(١٩٣) النساء : ١١ .

(١٩٤) النساء : ٢٣ .

(١٩٥) النساء : ١١ .

ويمكن إجراء تحويل في التركيبين الثنائي والثالث لتحويلهما إلى الاسمية (التي لا تشير إلى زمن) .

- للذكر مثل حظ الأنثيين
- الأمهات والبنات والأخوات حرام ...
- النساء فوق اثنين لهن ثلثا ما ترك
- للمرأة الواحدة الثلث

والخلاصة أن الصيغ في اللغة العربية تخلق من الدلالة على زمن في المستوى الصرفي فإذا وضعنا بإزائها (قيمة) عديدة فإن هذه القيمة هي : صفر . أما في المستوى النحوي فقد تستمر الصيغ بالقيمة الصرفية ذاتها : أي الصفر الزمني . وقد يتحرك قسم من هذه الصيغ - وهذا القسم ، على وجه الخصوص ، الصيغ الفعلية باستثناء صيغة الطلب ، كما سترى - ليبدل على زمن . فإذا دل على زمن ، أي قصد إلى الزمن من ذات الصيغة ، فإن صيغة (فعل) تدل على الماضي ، وصيغة (يفعل) تدل على الحاضر . ولا صيغة للمستقبل في اللغة العربية .

الزمن النحوى

تقسمة :

يرى كثير من الباحثين أن الزمن اللغوى فصيلة من فصائل النحو (١) ، وأنه فى العربية خاصة ، لا يمكن أن ينتسب إلا الى السياق (٢) . فإذا تجاوزنا ما اصطلاح عليه بـ « الزمن الصرفى » وقعنا على شبكة زمنية تتخذ نسيجها من الصيغ الفعلية ، وما يتولد عنها من اتجاهات نحوية جديدة ، وما يضاف اليها من صيغ حديثة غير فعلية ، وصيغ مركبة ، وقرائن ، مع ملاحظة الجمل والأساليب اللغوية التى تقبع فيها تلك الأنواع من الصيغ . كما أن كل ذلك ، أعنى إمكانات السياق الزمنية ، يرتبط ، من جهة الدلالة بـ سياق الحال (٣) . ومن هذا المنطلق وجه البحث المعاصر نقداً مريراً الى الرأى الذى يرى أن الصيغة المنعزلة وحدها ، تكون الزمن فى اللغة العربية .

بل على النقيض من ذلك ، رأى أنه لا يوجد فى العربية ما يمكن أن نسميه زمناً صرفياً . وبعبارة أخرى رفض البحث المعاصر أن تجرى مقولة الزمان (متى) على « الفعل » بلا مراعاة لاستعمالاته .

ويمكن أن نوجز اتجاهات البحث فى هذا الفصسل ، عبر محاولة الباحثين المعاصرين تنظيم فصيلة الزمن فى العربية ، على أساس نحوى ونفى الزمن الصرفى عنها ، والنظر الى التصريف الفعلى من جهة حدثه اللازمى تارة ، ومن جهة حدثه الزمنى تارة أخرى ، أقول يمكن إيجاز اتجاهات البحث بما يأتى :

١ - نقد المستشرقين .

٢ - نقد النحاة القدماء .

٣ - البحث فى مدخل نظرى الى الزمن النحوى .

٤ - نقد الجداول الزمنية .

(١) ينظر اللغة : ١٢٥ .

(٢) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .

(٣) سنعرض لما اصطلاحنا عليه بـ « الزمن الدلالى » فى فصل قادم .

نقد المستشرقين :

ان أهم ما نستخلصه من آراء المستشرقين والمعنيين بالدراسات المقارنة ، التي عنيت بدراسة الصيغة الزمنية في العربية ، في إطارها التاريخي وهو ما عرضنا له في الفصل الأول (٤) أمران :

الأول : أنها عنيت بدراسة التطور التاريخي للصيغ الزمنية ، وأقامت عليها نتائج استدللت بها على فقر العربية من ناحية الزمن ، كما فسرت ، بها ، كيف يمتد هذا الفقر الى الصيغ في أثناء الاستعمال ، أي الصيغ الزمنية في مستواها النحوي .

الثاني : أنها نظرت الى الزمن ، في اللغة العربية من خلال « الفعل » وتطور دلالة الزمنية ، والتغير الذي يصيب صيغه .

ويعني ذلك أن فكرة الزمن عند المستشرقين يعبر عنها في العربية ، الفعل سواء أكان شكلا form خارج الاستعمال ، أم شكلا ذا دلالات متباينة في أثناء الاستعمال . وبمعنى آخر فإن هؤلاء الأعلام لم يكتفوا بملاحظة أبنية الفعل الصرفية وإنما تعقبوا أوجه استعمالها في السياق ، وسنرى ذلك بتفصيل فيما نستقبل من هذا البحث ولقد انقسم الباحثون العرب المعاصرون بازاء آراء المستشرقين ، فالأغلب واجهها مواجهة منفصلة لما أحس به من أنها تعيب اللغة العربية (٥) أو الأجرومية العربية (٦) فلم يثرو بفحصها ، ولم ينظر اليها بكونها وصفا لبنية لغوية متعاقبة ، فاتسمت أحكامه بالتناقض ، بل انها ، وهذا وجه من وجوه المفارقة ، عادت وصدرت عن آراء المستشرقين أنفسهم .

قال الدكتور ابراهيم السامرائي الذي يعرض لهذه المسألة بقوله : « انه ليس صحيحا ما يقوله جماعة من الباحثين الأعاجم من أن الزمان ليس شيئا أصيلا ، وأن اقتران الفعل العربي به حديث النشأة » (٧) . وينتهي الى أن « الباحثين استفادوا الاستدلال على الزمان بصيغ عدة » (٨) يعود ،

(٤) ينظر الفصل الأول : ص ٣٤ .

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤٩ .

(٦) المصدر السابق / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤٩ .

(٧) الفصل زمانه وأبنيته : ٢٣ . وكان على الدكتور السامرائي أن يستند الى

« الإطار التاريخي » في الرد على النتائج التي انتهى اليها المستشرقون إذ أنه أفرد للفعل في العربية مؤلفا مستقلا ليقرر من زاوية علم اللغة التاريخي أن اقتران الزمان بالفعل العربي قديم النشأة .

(٨) المصدر السابق : ٢٣ .

بعد ذلك ، فيقرر ما قرره المستشرقون من قبل ، اذ يقول : « الفعل العربى لا يفصح عن الزمان بصيغه » (٩) . أما الدكتور ابراهيم أنيس فيحاج المستشرقين على النحو الآتى : « ان كل ما أخذه المستشرقون على العربية ان ثلاث صيغ أو صيغتين تعبران عن كل هذه الأزمنة . والواقع أن الأساليب العربية تعبر عن كل هذه الأزمنة جميعا » (١٠) .

والحق أن هذا خلط للأوراق كما يقال ، فالدكتور ابراهيم أنيس جعل زمن اللغة العربية مناطا بالأساليب - التى تعنى عنده طرائق التأليف اللغوى - وهو أمر يشير الى وجه من وجوه نفي الزمنية عن العربية .

واللغة الزمنية هى التى تنطوى على سلم من الأزمان المتنوعة ، على عبارة فندريس (١١) يستند الى « الصيغ » أو الى نسق من الصيغ البسيطة والمركبة .

أما اللغة التى تستند الى الأساليب فى التعبير عن الزمن فلا تنطوى على نسق ، بل على دلالات عامة تشرح عن التراكيب اللغوية . ولسنا نعنى بالحكم على أن لغة ما فقيرة زمنيا ، أو أنها لغة لا زمنية ، أن هناك لغة تخلو من الاشارة الى الزمن ، فهذا أمر يناقض منطق اللغات .

ان كل ما نعنيه أن هناك بنية لغوية ، تنطوى على نسق زمنى نسيجه « الصيغ » . وأن هناك بنية لغوية أخرى لا تنطوى على مثل هذا النسق ، بل تتوسل الى ذلك بوسائل عامة لا يمكن تحديدها . ولعل ذلك يفسر كيف أن المستشرقين لم يعرضوا لزمن الأساليب ، بل عرضوا لزمن الصيغ الفعلية . وهو العرض الذى يمكن أن يوجه اليهم النقد منه ، كما سنرى .

ان الدكتور ابراهيم أنيس الذى حاج المستشرقين ينتهى ، فى مؤلفه (من أسرار اللغة) وهو يناقش زمن العربية ، الى ما انتهى اليه المستشرقون من قبل فهو يرى « أن الربط بين الصيغ والفكرة الزمنية غير وثيق فى اللغات السامية » (١٢) وصرح فى موضع آخر بقوله « لا شك أن ربط الصيغة بزمن معين يحملنا فى العربية على الكثير من التكلف

(٩) المصدر نفسه : ٢٤ .

(١٠) الزمن فى اللغة العربية - مسهل : ٥٠ .

(١١) اللغة : ١٣٥ .

(١٢) من أسرار اللغة : ١٦٨ .

والتعسف ، (١٣) وهي آراء تتطابق مع ما صرح به المستشرقون ان لم تكن قد نقلت عنهم نقلا (١٤) .

ونتضح المسألة بصورة أدق على يد واحد من أبرز المثقفين العرب في عصرنا هذا ، وهو الأستاذ عباس محمود العقاد ؛ فهو ، بسبب من دفعه عن اللغة العربية ما تراءى له ، نقضا أريد الصاقيه بها ، يتخطى فحص بنية العربية ليقدم لنا ما يشعر به نحو تلك البنية . يقول : « من قبيل هذا النقص ما نسب الى لغتنا من نقص الدلالة على الزمن في صوره المختلفة » (١٥) .

والحق أن أيا من المستشرقين لم ينسب الى العربية نقصا في دلالتها على الزمن في صور مختلفة ، بل في صورة واحدة هي صورة صيغها . وقد جاء ذلك في سياق وصف البنى المشتركة للغات السامية ، وأجمع على أن تعبير (الفعل) عن الزمن في هذه اللغات محدود جدا . وذلك ما يشير اليه العقاد نفسه ، على الرغم من أنه يسمه مسأ سريعا . يقول : « وقد شاع بين اللغويين المختصين بدراسة تواريخ اللسان في الغرب ، أن اللغات السامية ناقصة في دلالة الزمن أي في دلالة الأفعال على الأزمنة . وفي اللغة العربية ، على تفاوت بينها وبين الفروع الأخرى من الأرومة المشهورة باسم اللسان السامي أو لسان السامية » (١٦) .

وقد فات استاذنا الكبير أن يفرق بين نقص لغة في الدلالة على الزمن ، ونقص أشكال الفعل في الدلالة ذاتها . ومع ذلك فقد رد على رأي المستشرقين السالف بقوله : (ربما ساء هذا القول عن اللغة العربية في عقول المتعجلين من مصدقيه ، لأنهم توهموا أن هذه اللغة نشأت في صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها » (١٧) . وبين في موضع ثان : « أن الزمن الماضي مهم عند أبناء البادية العربية ، في كل عهد من عهوده ، لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثرات والسوابق والذكريات » (١٨) .

واضح أن رد الأستاذ العقاد يتعلق بزمن ذى سمات وجودية وأدبية.

(١٣) من أسرار اللغة : ١٧٢ .

(١٤) ينظر مبحث (الفكرة الزمنية في اللغة) في مؤلف الدكتور إبراهيم أنيس (من أسرار اللغة : ١٦٤) .

(١٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ٤٤ .

(١٦) الزمن في اللغة العربية - مسئل : ٣٧ .

(١٧) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٣٨ .

(١٨) المصدر السابق : ١٤ : ٣٩ .

انه يعبر ، هنا ، عن الاحساس بالوقت ، ولا يحكم على الزمن بوصفه جزءا في بنية لغوية .

بل أن مسألة نقص العربية الزمنى ، وجدت مجالها في بحوث غير اللغويين فالدكتور « زكى الجابر » ، وهو من الباحثين في حقل الاعلام ، يعرض لظواهر لغوية واعلامية في خط واحد ، وفق قاعدة التلازم والتأثير المتبادل بين الظواهر الاجتماعية .

يشير الدكتور زكى الجابر قضية « الزمن والفعل » (١٩) . ومن ثم يعرض لما سماه « الأفاويل » في تفسير « عدم وضوح زمان الفعل » (٢٠) ومنها : « أن دقة التعبير وليدة المجتمع الصناعى » ، و « صورة هذا المجتمع تختلف عن صورة المجتمع الفلاحى ، حيث لا يتقيد الانسان بقيسود الدقة فى الزمن » (٢١) .

ويرد الدكتور زكى الجابر على هذا التفسير بقوله : « وليس من الانصاف تحميل التركيب العربى أوزار عدم احترام الزمن » (٢٢) الا أنه يعود فيقرر : « أن فساد الواقع العربى شمل فيما شمل الاستعمال اللغوى » (٢٣) .

ان تلمس أسباب ظاهرة لغوية يفترض أولا فحص تلك الظاهرة فى اطارها الذى توجد فيه ، أى فى لغتها التى هى فيها الآن ، وفى سياقها اللغوى التاريخى ولا يمكن تلمسها فى اطار ظاهرة اجتماعية ، وافترض تأثير تلك الظاهرة الاجتماعية فى اللغة ، للوصول الى احكام لغوية كما فعل الدكتور زكى الجابر . ومن هنا ينبغى أن نفرق بين احساس بدوى ، قديما ، أو فلاح حديثا بالزمن بوصفه حركة الوجود فى المكان ، وتعبير ذلك البدوى ، وهذا الفلاح عن الزمن بصيغه اللغوية والمخلط بينهما ، أو حتى الإشارة اليهما معا يدرس خارج منهج علم اللغة .

ان كل ما تقدم من آراء تنطلق من افتراض وجود نقص فى اللغة ، وهو منطوق غير صائب ، اذ لا يوجد أبدا نقص لغوى أو تفوق لغوى ، بل تنظيم لغوى .

(١٩) جريدة السياسة الكويتية : ١٩

(٢٠) جريدة السياسة الكويتية : ١٩

(٢١) جريدة السياسة الكويتية : ١٩

(٢٢) جريدة السياسة الكويتية : ١٩

(٢٣) جريدة السياسة الكويتية : ١٩

وعلى أية حال فقد كان هناك باحثون عرب ناقشوا ملاحظات المستشرقين في زمن اللغة العربية ، مناقشة منهجية ، متفادين الانطلاق من كون هذه الملاحظات تهماً . ونذكر هاهنا ما عرض له الدكتور مهدي المخزومي في مؤلفه « في النحو العربي نقد وتوجيه » والدكتور طاهر سليمان حمودة في مؤلفه « ابن قيم الجوزية جهوده في الدرس اللغوي » .

فصل الدكتور مهدي المخزومي آراء المستشرق (ولیم رایت التي وردت في مؤلفه « قواعد اللغة العربية » .

ان رایت يوجه نقدا الى النحاة العرب القدماء الذين كما يرى « علقوا أهمية لا ضرورة لها على فكرة الزمن في ذاتها وارتباطه بأشكال الفعل ، وذلك بتقسيمهم الزمن الى الماضي والحاضر والمستقبل ، ثم خصوا الفعل الماضي بفكرة الزمن الماضي والفعل المضارع بفكرة الزمن الحاضر والمستقبل » (٢٤) .

ويعلق الدكتور المخزومي على ذلك بقوله : « ان رایت ينظر الى تقسيم سيبويه (٢٥) وتقسيم ابن يعيش (٢٦) ثم يخلص الدكتور المخزومي الى ان رایت على حق في ملاحظته تلك . ويرى ان الحق يأتيها من جهتين :

الأولى : ان النحاة لم يعيروا دلالة الفعل على الزمن ما ينبغي ان تعار (٢٧) .

الثانية : ان الفعل العربي القديم لم يعهد فيه غير تينك الصيغتين البسيطتين صيغة (فعل) وصيغة (يفعل) . وهذا مظهر من مظاهر الفعل في مرحلته القديمة (٢٨) ولكن الدكتور المخزومي يأخذ على (رایت) انه لم يحاول التفريق بين زمن اللغة العربية كما هو وزمن اللغة العربية كما قرره النحاة : « فغاته ما فات القدماء أيضا من نظر الى تعبيرات مختلفة طواها افعال النحاة وخالطهم فيها » (٢٩) .

أما الدكتور طاهر سليمان حمودة فقد وجد أن « ما قرره فندريس صحيح من الناحية الصرفية ، ولكن فندريس غير دقيق فيما رمى به العربية واللغات السامية من افتقارها الى وسائل التمييز بين الأزمنة المختلفة ،

(٢٤) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤٦ .

(٢٥) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ .

(٢٦) ينظر شرح الفصل : ٧ : ٤ .

(٢٧) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤٦ .

(٢٨) نفسه : ١٤٨ .

(٢٩) في النحو العربي : نقد وتوجيه : ١٤٧ .

وعلى ذلك بأن الزمن النحوي وظيفته في السياق . يؤديه الفعل أو الصفة
أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى » (٣٠) .

وعزا الدكتور حمودة انجرار فنندريس إلى هذا الوهم ، إلى « قلة
عناية النحاة العرب برصد الفروق الزمنية الدقيقة » (٣١) .

والواضح أن كلا الباحثين انتهىا إلى أن المستشرقين والمعنيين
بالدراسات المقارنة لم يفحصوا بنية العربية نحويًا وهم يتقنون من زمنها ،
بل نظروا إلى صيغ الفعل العربي في نظامه الصرفي كما رأى الدكتور
حمودة أو في نظامه الصرفي (٣٢) وسياقه التاريخي كما رأى الدكتور
المخزومي ، أو أنهم درسوا قواعد النحاة وأحكامهم ولم يبحنوا العربية
كما هي ، بتأثير تلك القواعد تحت وهم افتقار العربية إلى وسائل التمييز
بين الأزمنة المختلفة ، ورأى الباحثان أن الانتقال إلى السياق وملاحظة
أوجه الاستعمال اللغوي سيرينا أن العربية غنية بالوسائل التي تميز بين
الأزمنة المختلفة .

وهكذا ينتهي الكثير من الباحثين العرب المعاصرين إلى أن أحكام
المستشرقين والنحاة العرب القدماء ، تنسم بالنظرة الجزئية ، وكان
المستشرقين والنحاة العرب كانوا ينظرون إلى الزمن في اللغة العربية بعين
واحدة هي عين الصرفي ويفلقون الأخرى وهي عين النحوي . لكن سنرى ،
فيما نعرض له من ملاحظات النحاة القدماء حول الزمن النحوي ، وما نعرض
له الآن من آراء المستشرقين أنهم أي المستشرقين لم يكونوا بأقل شأنًا من
هؤلاء الذين ينظرون ، كما يتسبون لأنفسهم ، نظرًا شاملاً . والفرق
الرئيسي يكمن في زاوية النظر التي ينظر منها كل فريق .

إن فنندريس بما يسوقه من أمثلة في اللغات السامية يكشف عن
وضع الصيغ الزمنية في أثناء الاستعمال ، ويدحض بذلك الزعم القائل
أن المعنيين بالدراسات المقارنة والمستشرقين نجحوا في تطبيق فكرتهم
الزمنية على (الفعل) خارج الاستعمال أو تحت تأثير القواعد النحوية
العربية القديمة . يقول : « والآشورية مثلا تستعمل التام (الماضي) في
معنى الحاضر والمستقبل ، وفي العربية يعبر غير التام (المضارع) عن

(٣٠) ابن قيم الجوزية : جهوده في الدرس اللغوي : ١١١ .

(٣١) ابن قيم الجوزية : جهوده في الدرس اللغوي : ١١٢ .

(٣٢) تقاضى الدكتور « مهدي المخزومي » في بحثه : « الصيغ الزمنية في العربية »
الذي غصه مؤلفه : « في النحو العربي : نقد وتوجيه » ذكر « الزمن الصرفي » ولكنه بينائه
جدوله الزمني على الاستعمال : ص ١٥٤ ، ألمح إلى أن الزمن عنده زمن النحو وليس
زمن الصرف .

معنى الحاضر والمستقبل ، وفي العبرية نرى الصيغة المسماة خطأ بصيغة الاستقبال تستعمل للتعبير عن الماضي « (٣٣) وينص بروكلمان على أن استعمالات زمن الماضي + Perfekt والمضارع + Imperfekt » تذكر بالتفصيل في علاقات الجملة Syntax « (٣٤) » .

بل إن بول كراوس يتخذ من دراسة الصيغ الفعلية في السياق مظهرا من مظاهر فقر العربية في التعبير عن الأزمنة المختلفة (٣٥) . كذلك أشار وليم رايت في ملاحظته الزمن النحوي في اللغات السامية إلى قضية ما أسماه « العلاقات الزمنية » التي تحيط بالفعل السامي ، فقد وجد « أن هذه العلاقات الزمنية نفسها هي التي تحدد المجال الزمني الذي يقع فيه الفعل التام أو غير التام في السامية » (٣٦) ويعني ذلك أن رايت ، الذي لم يكشف طبيعة تلك « العلاقات الزمنية » ، رأى أن البنية النحوية تنطوي على مظهر زمني نسيجه الأفعال وما يحيط بها من العلاقات .

وهكذا يتضح بطلان الزعم القائل أن المستشرقين والمعنيين بالدراسات المقارنة نظروا إلى الزمن في اللغات السامية خارج الاستعمال ، بل على العكس مما تصوره الباحثون العرب المعاصرون ، وجدوا في الاستعمال اللغوي ما يؤيد تصورهم عن زمن اللغات السامية .

أما الباحث فييجند أن ما يؤخذ على النتسائج التي انتهى إليها المستشرقون لا يكمن في أنهم غفلوا عن فحص البنية النحوية أو أنهم قصروا نظرهم على المراحل التاريخية القديمة لدلالة الفعل السامي الزمنية أو أنهم خضعوا لتأثير أحكام النحاة العرب القدماء ، بل يكمن في نقطتين رئيسيتين :

الأولى : أنهم درسوا الزمن في اللغات السامية في أطواره التاريخية الأولى بوصفه نتاج الفعل (٣٧) وعمموا تلك الدراسة على الأطوار التاريخية اللاحقة . لقد قصدوا أول الأمر إلى دراسة اللغات السامية دراسة « تزامنية » تقتصر على النظر إلى حالات لغوية ثابتة « (٣٨) هي حالة اللغات السامية في أطوارها التاريخية المبكرة ، ولكنهم حين عرضوا

(٣٣) اللغة : ١٣٧ .

(٣٤) لغة اللغات السامية : ١١٣ .

(٣٥) محاضرات في لغة اللغة : مخطوطة : ٧٣ .

(٣٦) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤٦ .

(٣٧) وهذا هو تمام رأى الدكتور مهدى الخرومي . انظر مضمون الهامش ٢٨ من

هذا الفصل .

(٣٨) مشكلة البنية : ٥٢ ، ٥٣ .

لغات السامية التي قطعت أشواطاً زمنية ، وأخذت كل لغة تبتعد ، بخصائص بنيتها عن الأخرى ، وفحصوا مظاهر الزمن فيها ، كشفوا عن قصد آخر هو دراسة تلك اللغات دراسة « تعاقبية » (٣٩) أى من وجهة نظر تاريخية « تخرص على وصف تطور اللغات » (٤٠) وبمعنى آخر ، جعلوا من نتائج دراسة وصفية ، نتائج دراسة تاريخية لا تستند إلى التعاقب (٤١) .

الثانية : أنهم ربطوا الزمن فى الساميات بـ « الفعل » ، بصيغتيه البسيطتين « فعمل » و « يفعل » اللتين تريان وحدهما خارج الاستعمال (٤٢) وحين فحصوا البنية النحوية للعربية لم يلتفتوا إلا إلى صيغ الأفعال البسيطة ، حين يعبر حدثها عن زمن ، وحين يتجرد من الزمن ويبقى على دلالة الفعلية (التمامية ، وغير التمامية) إذا تقاذفته أمواج الدلالة فى السياق ، ان جاز لنا أن نقول هذا . ولم يصدر عنهم (٤٣) ما ينبىء أنهم تعقبوا تلك الاشارات الزمنية التى تنبعث من البنية النحوية العربية التى تعبر عنها الأدوات وهى تأتلف مع الأفعال أو أقسام الكلم الأخرى التى تتحول إلى التعبير عن الزمن اللغوى .

نقد النحاة القدماء :

وجه اللغويون المعاصرون العرب ، فى الجانب الثانى ، نقداً شديداً إلى النحاة القدماء ومنهجهم فيما يتصل بموضوع الزمن فى اللغة العربية . ومنحاول أن تصنف هنا أسس هذا النقد وعناصره :

١ - يرى الأستاذ ريمون طحان « أن الفكر العربى يميل إلى تقسيم الزمن بشكل مواز لما يحدث للمكان . فالمفاهيم المكائنية - الزمانية المشتركة - ووجود القريب والمتوسط والبعيد سيؤدى حتماً إلى الأخذ بتقسيم زمانى مثلث أى تقسيم الزمن إلى ماض وحال واستقبال » (٤٤) ويعنى ذلك أن النحاة صدروا عن فكر من خصائصه إقامة مطابقة بين

(٣٩) مشكلة البنية : ٥٣ .

(٤٠) المصدر السابق : ٥٣ .

(٤١) حدد العالم اللغوى السويسرى (دى موسير) فى منهجه وجهتى نظر مختلفتين فى دراسة اللغات : الأولى : تمثل محورا أفقياً ، ليس للزمن فيه أى مدخل ، وهى وجهة النظر الوصفية . والثانية تمثل محورا رأسياً يقوم على أساس التغير الزمنى ، وهى وجهة النظر التاريخية / وانظر مشكلة البنية : ٥٣ .

(٤٢) عدة اشارة بروكلمان التى وردت فى الهامش ٢٧ من فصل ٣٤ من الزمن العربى ، التى أشار فيها إلى الزمنين الثالث والرابع .

(٤٣) عدة ما صدر عن المستشرق الألمانى برجستراسر الذى سيذكر لاحقاً .

(٤٤) الألفية العربية : ٣ : ١٤٨ .

المفاهيم . ومن ثم يمكن أن نستخلص أن هذا الفكر (وهو فكر يتسم بالسكونية والمطلقية ، كما توحى ملاحظة الأستاذ ريمون طحان) قد نقل المطابقة ، من مطابقة بين الزمان والمكان الى مطابقة بين الانواع الزمنية ، فوحد بين مفهوم الزمن في الوجود ومفهومه في اللغة . وشرح ذلك في النقطة الثانية الآتية :

٢ - لم يفصل النحاة بين الزمن بمفهومه الوجودي الفلسفي من جهة والزمن بمفهومه اللغوي من جهة أخرى . ويعقب الدكتور المخزومي على ملاحظات « ابن يعيش » (٤٥) في الزمن بقسوسه : « لقد وضع ابن يعيش أقسام الزمان الفلسفي أساسا لتقسيم الفعل ولكنه فشل في تطبيق ما أثبت وقرر » (٤٦) وينتهي الدكتور المخزومي في هذه النقطة ، الى حكم عام على النحاة ، فبري أنهم « لم ينجحوا في تصور أن الزمن النحوي ليس كالزمن الفلسفي الذي يدل على المضي والحضور والاستقبال ، ولكنه (أي الزمن اللغوي) صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة » (٤٧) .

٣ - ان نتائج النقطة السابقة وجهت بحوث المستشرقين وجهة خاطئة ، فبدت لهم اللغة العربية فقيرة من حيث ما تمتلك من وسائل للتعبير عن الزمن ، في حين كانت قواعد اللغة العربية التي وضعها النحاة هي المفتقر الحقيقي الى تلك الوسائل (٤٨) .

٤ - أن المنهج النحوي القديم اتسم بما يمكن تسميته : « الازدواجية الزمنية » التي نشأت بسبب من الصاق الزمن بالصيغ الفعلية خارج الاستعمال . وما يلحق تلك الصيغ من انحراف في الدلالة على الزمن في أثناء الاستعمال . الأمر الذي اضطر معه أصحاب ذلك المنهج الى أن « يتأولوا من النص الصحيح ما ليس بحاجة (٤٩) الى تأويل أو تخريج » . فإذا استعمل المضارع مكان الماضي التمسوا في هذا نكتة بلاغية هملوا لها وكبروا (٥٠) . وقد انتهى بهم كل ذلك الى مواجهة « صعوبات كثيرة في تفسير استعمالات الفعل في غير ما خصصوه به من زمان معين » (٥١) .

(٤٥) سنأتي على ذكرها في البحث الخاص بالدراسة التطبيقية .

(٤٦) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١١١ .

(٤٧) المصدر السابق : ١٤٧ .

(٤٨) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤٦ ، وينظر ابن قيم الجوزية : ١١٢ .

(٤٩) الأصح ما ليس به حاجة .

(٥٠) من أسرار اللغة : ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٥١) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١١٤ .

٥ - أن النحاة انتهوا في بحوثهم الى زمنية الفعل العربي . غير أن المستشرق كراوس توصل الى ما أسماه « هدم زمنية الفعل العربي التي قررها النحاة » (٥٢) .

٦ - أن البحث النحوي القديم يتسم بالنظرة الجزئية في فحص البنية النحوية العربية لتقرير فصيلة الزمن فيها ، وليس بانعدام تلك النظرة كليا . وهذا الرأي ، الذي يخرج على الآراء السابقة ، يتفرد به الدكتور تمام حسان . (٥٣) يرى الدكتور تمام حسان أن النحاة لم يفتلوا ملاحظة الصيغ الفعلية ودلالاتها الزمنية داخل السياق . كما نسب اليهم ذلك كثير من الباحثين المعاصرين ، ولكن ملاحظتهم لم تكن شاملة . بل تابعت جانبا من استعمال الصيغ الفعلية فقط . - وقد وجدوا . - كما يفترض الدكتور تمام ، ولا ندرى آكان ذلك محض مصادفة - أن دلالة الصيغ الزمنية داخل الاستعمال تتطابق مع ما قرر لها من دلالات خارج الاستعمال فجعلهم هذا يقررون أن صيغة (فعل) تدل على الماضي مطلقا و (يفعل) على الحاضر والمستقبل مطلقا و (افعل) على الحاضر والمستقبل مطلقا . وكان النحاة كما يرى الدكتور تمام حسان ، فحسسوا دلالة الصيغ الفعلية على الزمن في الجمل الخبرية المؤكدة والمثبتة والجمل الانشائية الاستفهامية المثبتة ، فوجدوا أن تلك الصيغ تعبر عن الزمن ذاته الذي تعبر عنه عندما تكون في خارجها ف « غرر بهم - هذا الامر - فلم يعنوا برصد الفروق الزمنية الدقيقة الا في أضيق حدوده » (٥٤) .

٧ - لم يعن المنهج النحوي القديم بالصيغ التي تعبر عن الزمن ، ولم يلاحظ فيها سوى ما يتصل منها بطبيعة ذلك المنهج . فالفعل الذي هو « كلمة الزمن » (٥٥) « لم يحظ بعناية النحاة . وكان للاسم عندهم منزلة خاصة تفوق ما لأجزاء الكلام الأخرى » .

فالنحاة يقدمون الاسم في الذكر حين يعرضون لأقسام الكلمة أما الفعل فلم يتناولوه الا فيما يتعلق بكونه يؤثر في الاسم ويعمل فيه . لأنه أقوى العوامل ولأنه الأصل في العمل » (٥٦) .

(٥٢) محاضرات في قلة اللغة ، مخطوطة : ٢٤ وقد فصلنا ذلك في فصل « إمكانات الصيغة » .

(٥٣) انظر تفصيل ذلك في بحثه الزمن والجهة : اللغة العربية معناها ومعناها ص ٢٤٠ .

(٥٤) اللغة العربية معناها ومعناها : ٢٤٨ .

(٥٥) يطلق على الفعل في الألمانية Zeitwerk أي كلمة الزمن . انظر اللغة : ١٣٥ .

(٥٦) في النحى العربي نقد وتوجيه : ١٤١ .

وقد أدى ذلك الى أن ينشغل النحاة « بمسألة العمل في الفعل ،
ومسألة الاعراب ، ولم يولوا فكرة اعراب الفعصل عن الزمان العناية
اللازمة » (٥٧) .

٨ - يتسم المنهج النحوي بنقص مصطلحاته الزمنية « كالماضى المستمر والماضى المنقطع » (٥٨) . أى أن أشكال الصيغ الزمنية فى العربية قادرة على التعبير عن كل تفرعات الزمن ، وأن ما يبدو من أن العربية لا تنطوى إلا على صيغتين زمنيتين أو ثلاث ، مرده الى « أن النحويين لم يتخذوا (لكل زمن) اصطلاحاً بعينه » (٥٩) .

تلك هي ، كما نرى ، العناصر التي انبنى عليها النقد الذي وجه
 للبحث اللغوي المعاصر ، الى النحاة القدماء في موضوع الزمن ، وهو نقد
 انقسم احيانا بطابع قاس ، من مثل أن النحاة « لم يكتثروا للناحية
 الزمنية » (٦٠) او « لم يعتوا برصد الفروق الزمنية الدقيقة » (٦١)
 بل انهم نعتوا عند آخرين بالبعد عن الادراك والخلط (٦٢) فيما يتصل
 من بحوثهم بموضوع الزمن .

ولكى نناقش عناصر النقد الأساسية التي وجهت الى النجاة القدماء ، ينبغي لنا أن نعود فنصدق النظر في مباحثهم ، ونقلب ما أثر عنهم من آراء ، ولكي نقيس مدى التطابق بين ملاحظات المعاصرين ونتائج القدماء . لكن قبل ذلك يجب علينا أن نتلمس بإيجاز طبيعة النزوع العقلي المنطقي الذي وسم البحث النحوي العربي .

لقد أخذ على النحاة أنهم صدروا في ملاحظة الكل عن الجزء ، فقرينة الاعراب وهي قرينة نحوية واحدة كانت تقود اللغة ، تحلل التراكييب أو تصنعها ، وتتضح هذه الصناعة في كتاب سيبويه . وقد جر ذلك الى البحث في العلل والمعلولات ، ومن ثم الى غلبة النزعة المنطقية . اقول اخذ على النحاة ذلك وهو اخذ صحيح في جانب منه ، واقول في جانب منه لان هذه النزعة المنطقية ، لا يمكن ، في جانب آخر ، فصلها عن اللغة فصلا حادا كما فعلت اغلب المناهج المعاصرة ، بمباراة أخرى ان اللغة

1971-72

(٥٧). الفصل زمانه وأمايته : ٢٥

(DA) مجلة مجسم اللغة العربية : مقالة الزمان في اللغة العربية : ١٤ : ٢٩١ : ٥٠٠

(٥٩) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالة الزمان في اللغة العروبة : ١٤ : (٥٩) .

(٦٠) الفعل زمانه وانتمته ١٩٠٢

(٦١) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٨ •

(٦٢) كما تشير إلى ذلك الفقرتان الأولى والثانية : من ٩٢ و ٩٣ من هذا القانون .

البشرية التي تستقل بمنطق خاص بها لا يمكن أن تنفصل عن منطق العقل البشري انفصالا كلياً .

وعلى هذا فإن الذي يؤخذ على النحاة القدماء أنهم جردوا اللغة ، في أحيان كثيرة ، من منطقها وأخضعوها لمنطق عقلي مجرد ، ويؤخذ على الباحثين العرب خاصة ، هذه النزعة التجريدية المطلقة في إقامة الحدود بين اللغوي والعقلي .

ونعرض لما للنحاة في هذه النقطة ولما عليهم في ضوء عناصر النقد السابقة ، الموجهة اليهم .

فما على النحاة أنهم تناولوا الدلالة الزمنية حين تناولوا أبنية الأفعال الثلاثة ، وجعلوا ذلك على رأس بحوثهم النحوية ، ثم دفعوا بتفريعات هذه الأبنية وما تشتمل عليه من دلالات إلى مباحثهم الصرفية . ولو أنهم لم يلصقوا بالبناء الفعلي دلالة زمنية حتى يدخل السياق لكانوا تفادوا الاضطراب المنهجي الذي وقعوا فيه وهو ما تأخذه عليهم الفقرة (٥) التي ترى أن جوهر الفعل غير زمني ، على الضد مما رأى النحاة من أن جوهر الفعل زمني . أو على عبارتهم الزمن من مقومات الفعل (٦٣) واستنادا إلى ملحظ النحاة هذا - جوهر الفعل زمني ، وطبيعة الزمن صرفية - تكون لديهم ما يمكن أن نسميه إطاراً منهجياً لموضوع الزمن ، ومقاده :

يتم البحث في الأفعال بوصفها أبنية ، مع ملاحظة ما تدل عليه - ومنها الدلالة الزمنية ، ثم يتم البحث في هذه الأفعال بوصفها أبنية مستعملة وما خالف دلالة الفعل على زمنه الصرفي يرجع إلى مبدأ يمكن أن يسمى « عارض يعرض » (٦٤) وهو مبدأ نحوي ، لأن الأبنية خارج الاستعمال لا تتعرض لعارض ما . وهذا المبدأ يستند إلى :

- ١ - ما سمي بـ « الالتفات الذهني » (٦٥) أو البعد البلاغي للصيغة ، وهو ما عرضنا له من تبادل المواقع بين الصيغ (٦٦) .
- ٢ - نوع السياق - انشاء ايقاعي ، انشاء طلبى ، خبر -
- ٣ - العامل كـ « أن » ، قلبه الماضى إلى المستقبل .

(٦٣) ينظر شرح للفصل ٧ : ٣ .

(٦٤) الترملة : ١١٤ .

(٦٥) ينظر مجلة اللسان العربي : مجلد ٨ - ج ١ : ص ١١٣ .

(٦٦) ينظر الفصل الثاني الخاص بـ « لكانات الصيغة » .

وقد كون كل ذلك ما يمكن تسميته ازدواجية زمنية وقطبا هذه الازدواجية زمان متقابلان ، وفيها ينبغي للنحوى أن يعتذر لهذا التقابل أينما وجد .

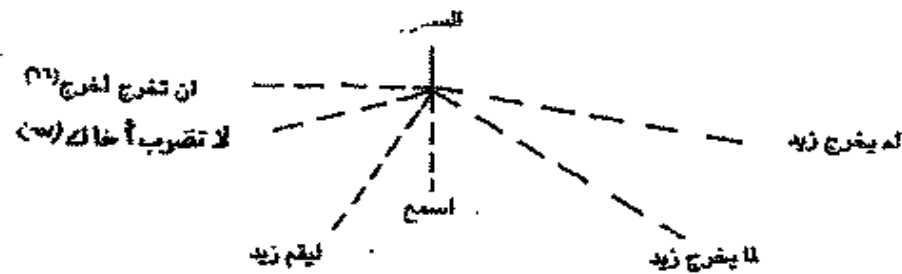
وعلى سبيل المثال وقعوا فى خطأ المزوجة بين صيغة « فعل » فى الشرط والبحث عن زمن لهذه الصيغة ، ولما كانت دلالة الشرط الزمنية ، عند النحاة ، تنصرف الى المستقبل ، باعتباره أحداثا لم تقع بعد ، أسند زمن المستقبل الى صيغة « فعل » ، واعتذر لهذا الاسناد بأن الصسق بأدوات الشرط العاملة وظيفه قلب زمن الصيغة . وكان ذلك جزءا من دورة الاعتذار للزمن الصرفى .

وأمر ثان يؤخذ على النحاة ، وهو صدورهم عن قرينة الاعراب صدورا كلياً . وقد كان لهذه النزعة صدق قوى فى موضوع الزمن فهو موضوع لم يستقل بباب نحوى بل تفرق فى ثنايا الأبواب كجزء المضارع ونصبه والنواسخ ... الخ .

فاذا أردنا على سبيل المثال أن تقع على أجزاء من الزمن اللغوى عمدنا الى باب الجزم لنجد :

باب الجزم

لجزم المقتضى فعلا أو فعلا



ان الجدول السابق يستند فى توزيع مجموعات الى الحالة الاعرابية على الرغم من انطوائه على أساليب لغوية ، وأبواب نحوية مختلفة ، كالتجربة والانشائية ، والنفى ، والأمر والطلب والنهى والشرط وهى

(٦٧) ينظر التوطئة : ١٤٥ .

(٦٨) ينظر الواضح فى علم العربية : ٤٤ الى ٥٠ .

أبواب مختلفة في علاقتها مع الزمن ، كما أن للصيغ التي تقبع فيها دلالات زمنية متنوعة ، وهو أمر يتفق مع مضمون الفقرة (٧) .

أما ما للنحاة في هذا الجانب فيمكن تبينه إذا أعدنا قراءة الفقرتين (١) و (٢) من فقرات نقد النحاة السابقة .

في هذه النقطة ، نقطة أقسام الزمن تقوى الوشائج بين ما هو عقلي وما هو لغوي ، على الضد مما رآه الأستاذان الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ريمون طحان أن أقسام زمن الوجود وهي أقسام عقلية محضة هي نفس أقسام الزمن اللغوي .

أما التفريعات الزمنية الأخرى أو المشتركة بين الأقسام ، فجهات في هذه الأقسام . يقول الدكتور تمام حسان : « الأزمنة ثلاثة والفروق فروق جهة » (٦٩) .

كما أن النحاة قدموا في ظلال منهجهم نظرات تحليلية دقيقة ، يؤدي جمعها وتنسيقها إلى تكوين جدول الزمن النحوي القديم ، كما أن سيبويه قدم لنا ملاحظات أساسية في موضوع الجهة aspect الزمنية في حدث الفعل .

وسنحاول هنا جمع شتات الآراء النحوية والاستعمالات التي عرضوا لها .

بناء « يفعل » أو الفعل المضارع :

(أ) أن يرجع فيه الحال إذا كان مجردا .

(ب) أن يتعين فيه الحال إذا اقترن بـ « الآن » وما في معناه .

(ج) أن يتعين فيه الاستقبال .

(د) أن ينصرف معناه للمضى (٧٠) .

(هـ) أن يفيد الاستمرار كما تقول « فلان يقرئ الضيف ويصنع الجميل » (٧١) .

(٦٩) ينظر اللغة العربية معناه ومبناها : ملحق الكتاب / جدول (١) .

(٧٠) ينظر جمع الأهرام : ١ : ٧ ، ٨ .

(٧١) ينظر مفتي اللبيب : ١ : ١٣٨ .

(و) أن يدل على العادة نحو « زيد يقدم في الحروب ويسسوخو
بوجوده » .

(ز) أن يدل على الاستمرار في الماضي . نحو : « كنت أراه » (٧٢).

بناء (فعل) أو الماضي :

(أ) المضى : وهو الغالب .

(ب) الحال اذا قصد به الإنشاء .

(ج) الاستقبال اذا اقتضى طلباً أو وعداً (٧٣) .

كما عرضوا لمعانى بناء (فعل) فوجدوا منها :

(أ) وقوعه .

(ب) مشارفته .

(ج) ارادته .

(د) مقاربته . (٧٤) .

وليس من مهمة هذه الرسالة أن تعيد تركيب النظرات المجتزأة
للنحاة ، بغية الكشف عن زمن اللغة العربية ، ولكننا نفيد من هذه
الإشارات إعادة تقويم نتائج البحث النحوي العربي القديم . وسنرى أن
محاولات النحاة قدمت في موضوع جهة الحدث الزمنية بعد أن انصرفت
مقدمات البحث الى توزيع الصيغ على أقسام الزمن : الماضي ، الحاضر ،
المستقبل .

إن الجهة التي هي « تخصيص لدلالة الفعل ونحوه » (٧٥) تظهر جلية
في المخطط الذي تركه لنا سيبويه . كما أن فكرة « الجهة » تتضح في
المباحث التي تلتها :

(٧٢) ينظر شرح الكافية : ٢ : ٢٥٢ .

(٧٣) ينظر مع الراجع : ١ : ٩ .

(٧٤) ينظر الأبناء والنظائر : ٩ : ٢٦٣ .

(٧٥) اللغة العربية منها ومقامها : ٢٥٧ .

قدم لنا سيبويه جدول الجهة على النحو الآتي :

الصيغة	الاثبات	النفي
فعل	فعل قد فعل لقد فعل	لم يفعل لما فعل ما فعل
يفعل	هو يفعل هو يفعل « ولم يكن الفعل واقعا » ليفعلن سوف يفعل سيفعل (كان سيفعل كان سوف يفعل	ما يفعل لا يفعل لا يفعل لن يفعل لن يفعل (٧٦) ما كان ليفعل ما كان ليفعل (٧٧)

وقد نحت المباحث التي تلت سيبويه هذا المنحى :

يرد صاحب الهمع على من قال : « ان الماضي لا يقصد به الا مطلق الماضي دون تعرض لقرب أو بعد ، فكذلك المستقبل » (٧٨) يرد بقوله : « وهو ممنوع فان الماضي فرقوا فيه » (٧٩) .

وهكذا يكون النحاة قد أعادوا النظر في توزيعات الصيغ الصرفية على الزمن الثلاثي ، فصارت هذه الصيغ تشير ، في السياق ، الى أقسام زمنية أخرى ، وإلى تفرعات زمنية في القسم الواحد ، وذلك مظهر من مظاهر التفصيلات النحوية الشاملة في إطار منهج محدود .

- (٧٦) ينظر الكتاب : ٣ : ١١٧ .
- (٧٧) ينظر الكتاب : ٣ : ٦ ، ٨ .
- (٧٨) الأشباه والنظائر : ٢ : ٧٢ .
- (٧٩) المصدر السابق : ٢ : ٧٢ .

(٣) مدخل نظري الى الزمن النحوي :

يقدم لنا المبحثان السابقان (نقد المستشرقين) و (نقد النحاة القدماء) اطارا لبحث ما يمكن أن يكون مدخلا نظريا الى الزمن النحوي . ويمكن أن نعد ملاحظات المستشرق الألماني (برجشتراسر Bergstrasse - وهذه مقارعة غريبة - أساسا لهذا المدخل .

لقد لاحظ برجشتراسر أن العربية « تتميز عن سائر اللغات السامية في تخصيص معاني أبنية الفعل وتنويعها وذلك بواسطة :

أحدهما : اقترانها بالأدوات نحو قد فعل ، وقد يفعل ، وسيفعل والآخرى : تقديم فعل « كان » على اختلاف صيغه نحو : كان قد فعل وكان يفعل ، وسيكون قد فعل ، الى آخر ذلك .

فكل هذا ينوع معاني الفعل تنوعا أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة كانت من سائر اللغات السامية قريبا من غنى الفعل اليوناني والغربي أو بالآخرى أغنى منهما في بعض الأشياء . فاللغة العربية أكمل اللغات السامية وأتمها في هذا الباب : أي باب معاني الفعل الوقتية» (٨٠)

وتبين هذه الأحكام المدى الذي عليه الخلافات التي ميزت البحث اللغوي في موضوع الزمن . ففي حين يسم أغلب المستشرقين العربية بأنها فقيرة من حيث تعبير صيغها الفعلية عن الزمن ، يرى (برجشتراسر) أنها من أغنى اللغات في هذا الباب . والواضح أن مجمل تحليلات برجشتراسر تستند ، في وجودها ، الى ما يسمى الصيغ الفعلية المركبة .

وقد صدرت البحوث اللغوية التالية عن آراء الأستاذ برجشتراسر . بل ان بعضا من اللغويين العرب ردد عبارته ونسبها الى نفسه .

فقد ورد في مؤلف الدكتور خليل يحيى نامي : (دراسات في اللغة العربية) ما نصه : « وتمتاز اللغة العربية ، عن غيرها من سائر اللغات السامية الأخرى ، بتخصيص أبنية الفعل وتنويعها . وتسلك في ذلك طريقين :

أحدهما : اقترانها بالأدوات . والطريق الثاني تقديم فعل « كان » على اختلاف صيغه نحو : كان قد فعل . فكل ينوع معاني الفعل تنوعا أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة من اللغات السامية ، وتشبه العربية في

(٨٠) التطور النحوي للغة العربية : ٥٧ ، ٥٨ .

ذلك غنى الفعل اليوناني واللغات الأوربية ، بل هي أغنى منها في بعض الجوانب ، (٨١) . وبمطابقة هذا النص مع نص برجشتراسر يتبين بوضوح ما نرعى إليه .

أما اللغويون الآخرون فقد كان منطلقهم منطلق برجشتراسر نفسه ، وإن يكونوا اتخذوا عبارات خاصة بهم .

ف : الدكتور مهدي المخزومي ينص على وجود « صيغ مركبة شاعت في الاستعمال » (٨٢) . وعبارة الدكتور إبراهيم السامرائي « الأبنية المركبة » (٨٣) التي تقوى الكلام على الأزمنة المركبة ، (٨٤) . وعبارة الأستاذ حامد عبد القادر : « صيغ خاصة » (٨٥) ونص الدكتور محمود فهمي حجازي على « قدرة العربية في التعبير عن الزمن » (٨٦) ونفى أن تكون هذه القدرة « غير متنوعة » (٨٧) ورأى أن « السبيل إلى ذلك كان نشوء الصيغ المركبة » (٨٨) .

وقد أضاف اللغويون العرب المعاصرون إلى السياق البرجشتراسري أن صح قول هذا ، مسائل ثلاثا :

الأولى : أن تلك الصيغ الخاصة أو المركبة تتحدد دلالتها الزمنية « وفق بنية الجملة » (٨٩) .

الثانية : أن بنية الجملة لا تقتصر ، من ناحية الزمن ، على الصيغ الفعلية البسيطة أو المركبة ، بل تشمل صيغا غير فعلية « من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والحوالف » (٩٠) .

الثالثة : أن زمن الصيغ (الفعلية البسيطة والمركبة ، والمنقولة إلى الفعلية) يتسم بسمات زمن صرفي أحيانا . والفرضية البسيطة

(٨١) دراسات في اللغة العربية : ١٣ .

(٨٢) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤٨ .

(٨٣) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٥ .

(٨٤) المصدر السابق : ٣٦ .

(٨٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني الماضي والحاضر في القرآن الكريم :

٦٠ : ٦٥ .

(٨٦) علم اللغة العربية : ٣٦ .

(٨٧) المصدر السابق : ٣٦ .

(٨٨) المصدر نفسه : ٣٦ .

(٨٩) نفسه : ٣٦ . وينظر أيضا الفعل زمانه وأبنيته : ٢٤ .

(٩٠) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ .

التي وضعها الدكتور تمام حسان حول هذه النقطة تتلخص بما يأتي :

لا تتأثر الدلالة الزمنية للصيغة الصرفية إذا حلت في بنية جملة خبرية ، مثبتة أو مؤكدة ، أو حلت في بنية جملة انشائية استفهامية مثبتة . وتتأثر تلك الدلالة ، إذا حلت في بنية جملة خبرية منفية ، أو في بنية جملة انشائية عدا الاستفهامية المثبتة فتتحرف نحو زمن آخر (٩١) ويمكن وضع قانون هذه الفرضية على النحو الآتي :

يتحدد الزمن النحوي بنوع الصيغة الزمنية في نوع الجملة التي تندرج فيها تلك الصيغة .

وهذه الفرضية وقانونها سنرجى مناقشتها الى أن نستكمل بحث الزمن في علاقته بالسياقين الخبري والانشائي .

ويقودنا هذا المدخل الى تحديد سمات (الزمن النحوي) بما يأتي :

١ - استمرار الصيغ الفعلية البسيطة ، فيه ، بالتعبير عن زمنها الذي تحمله من الصرف في مجالات معينة وانحرافها عن الزمن في مجالات أخرى .

٢ - التعبير عنه بالصيغ الزمنية المركبة .

٣ - التعبير عنه بصيغ غير فعلية .

٤ - نشوء ما يسمى الجهة الزمنية أو المجال الزمني في القسم الزمني (القرب ، البعد ، الاستمرار ... الخ) .

٥ - تجريد الصيغ الفعلية عن الزمن ، وتحولها الى أحداث فعلية حسب ، أو نشوء ما يسمى الفعل اللازمي .

٦ - نشوء ما يسمى الزمن الجملي أو الزمن الاسلوبي .

٧ - ويمكن أن نضيف هنا تحول الظروف من دلالتها المعجمية الى وظيفتها النحوية الزمنية (٩٢) .

(٩١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ فما بعدها .

(٩٢) ستمرض للظرف في فصل قادم .

ان كل ما تقدم يعد مدخلا نظريا الى الزمن النحوى والى جانبىه
التطبيقى ، الذى استند ، فى جوهره ، الى نشوء فكرة (الجداول
الزمنية) ، وهى الجداول التى حاولت أن تقدم فصيلة الزمن ، بوصفها
فصيلة نحوية ، من جانبها العملى .

نقد الجداول الزمنية :

ظهر ما يمكن أن نصلح عليه (الجداول الزمنية) بوصفه منحنى
نظرياً لاتجاهات البحث اللغوى المعاصر فى موضوع الزمن ، وقد
استندت تلك الجداول الى دلالة الابنية والتراكيب الزمنية فى السياق
النحوى .

وقد ألح عدد ممن أنشأوا الجداول الى أن منهج التوزيع النحوى
القديم يستند الى معيار واحد ، هو المعيار الاعرابى (٩٣) ويعنى ذلك أن
بالعربية حاجة الى قيم توزيعية جديدة ، تكون فيها (قرينة الاعراب)
قرينة من عدة قرائن شكلية بازا عدة قرائن معنوية (٩٤) .

ومن هذا المنطلق ظهرت العتوانات الآتية فى المباحث اللغوية
المعاصرة :

(الفكرة الزمنية فى اللغة) (٩٥) . (الزمن والجهة) (٩٦) (الزمن
فى اللغة العربية) (٩٧) (الصيغ الزمنية فى العربية) (٩٨) (الفعل
والزمن) (٩٩) . (جملة الماضى والحاضر والمستقبل) (١٠٠) (الزمن
والاعراب) (١٠١) (الزمن فى النحو العربى) (١٠٢) .

وقد نظر الى الزمن فى هذه المباحث بكونه حقلا مستقلا فى جداول
التوزيع ، كما نظر ، مثلا الى حقل توزيع الضمائر . وبعبارة أخرى ان
هذا الحقل الذى ينطوى على صيغ ومركبات وقرائن ينتظمه معيار دلالى
واحد هو معيار الزمن .

-
- (٩٣) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٥ .
 - (٩٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبتناها : ٢٠٧ .
 - (٩٥) من أسرار اللغة : ١٦٥ .
 - (٩٦) اللغة العربية معناها ومبتناها : ٢٤٠ .
 - (٩٧) مجلة مجبج اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٣٧ .
 - (٩٨) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤١ .
 - (٩٩) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٣ .
 - (١٠٠) مجلة كلية الشريعة / مقالة جملة الماضى والحاضر والمستقبل : ٦ : ٥ .
 - (١٠١) لغة اللغات السامية : ١١٣ .
 - (١٠٢) اللغة العربية معناها ومبتناها : ٨ .

كما أن هناك عاملا آخر سبب ، في رأى الباحث ، نشوء الجداول الزمنية وهو الرد على تحليلات المستشرقين في وصف بنية العربية بالفقر من ناحية الزمن .

وقد رأينا حين عرضنا لهذا الموضوع (١٠٣) أن قسما من الباحثين جعل هذا الفقر صرفيا ، مدلا على غنى العربية الزمنية في السياق النحوي .

والجداول الزمنية التي وقف عليها الباحث هي :

- ١ - جدول الأستاذ حامد عبد القادر (١٠٤) .
 - ٢ - جدول الدكتور مهدي المخزومي (١٠٥) .
 - ٣ - جدول الدكتور تمام حسان (١٠٦) .
 - ٤ - جدول الدكتور إبراهيم السامرائي (١٠٧) .
 - ٥ - جدول الدكتور علي جابر المنصور (١٠٨) .
 - ٦ - جداول الدكتور عبد الرسول الخفاجي .
- وهي جداول مقارنة بين العربية والانجليزية (١٠٩) .

وان أهم ما نلاحظه عليها :

(أ) أنها تغفل النتائج التي انتهى إليها النحاة ، وفي الوقت ذاته ، تستند الى كثير منها ، بل ان بعضها منها حمل أخطاء النحاة المنهجية ، من مثل أن لكل فعل زمنا .

(ب) أنها فرضت ، في خانات كثيرة ، على الشكل اللغوي محتوى زمنيا غير صحيح ، والمعلوم أن ربط شكل لغوي تاريخي بدلالة زمنية معينة ، يصبح عملية غير علمية اذا لم يستند الى استقراء شامل

-
- (١٠٣) ينظر : ص ٨٤ فما بعدها من هذا الفصل .
- (١٠٤) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٦٥ - ومقالة / معاني المضارع في القرآن الكريم : ١٣ : ١٤٩ .
- (١٠٥) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٥ .
- (١٠٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / جداول ملحق الكتاب .
- (١٠٧) ينظر الفعل زمانه وأينته : ٢٨ .
- (١٠٨) ينظر مجلة كلية الشريعة / مقالة جملة الماضي والحاضر والمستقبل : ٦ : ٥ .
- (١٠٩) ينظر Discription and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic — manuscript.

ودقيق ذلك لأن احساسنا بالفروق النحوية في العربية الفصيحة بدأ يختفى ، وبمعنى آخر ان القيم المحصلة من التراكيب اللغوية صارت تصل اليها من خلال الشروح .

ان السليقي Intuiter غير موجود في العربية الفصيحة ، وهو موجود في مجموعة اللهجات العامية ، فهو ، في هذه اللهجات يحس بفروق المعاني النحوية ، من غير أن يؤسس له ذلك ، على قاعدة ما . نحن نقول في اللهجة العراقية : « راح أروح » و « رايح » ونذكر أن الفرق بينهما يكمن في أن المركب الأول بمعنى (أنا على وشك الذهاب) . وصيغة (فاعسل) بمعنى (أنا ذاهب على وجه من القطع) أو (أنا بدأت بالذهاب) . . . ونقول في تلك اللهجة :

« شفت القلم » اذا رأيته الليلة الماضية و « شايف القلم » اذا رأيته قبل زمن طويل .

فاذا لم يكن احساسنا بالفروق النحوية دقيقا نكون قد فرضنا على الشكل اللغوي محتوى زمنيا غير صحيح ، كما حصل فيما نعرض له من خلاف الجداول الزمنية في النقطة الثالثة :

(ج) تتضمن الجداول قيما خلافية بين الشكل اللغوي ومحتواه الزمني على النحو الآتي :

الشكل	الدلالة
كان فعل	• البعيد المتقطع (١١٠) • وقوع حدث في زمن ماضٍ بعيد (١١١)
كان قد فعل	• القريب المتقطع (١١٢) • الماضي البعيد (١١٣)
قد فعل	• الماضي المنتهي بالحاضر (١١٤) • ماضٍ قريب من الحال (١١٥) • تأكيد حدوث الفعل في الماضي (١١٦)
قد فعل قبل قد فعل من قبل	— الماضي البعيد (١١٧)
كان يفعل	• الماضي على سبيل الاستمرار (١١٨) • الماضي المتجدد (١١٩)
ظل يفعل طلق يفعل	• الماضي الاستمراري (١٢٠) • حقل الماضي من ناحية شكائية (١٢١) • حقل الحاضر من ناحية دلالية - فكرة الآن (١٢٢)

- (١١٠) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١)
(١١١) في النحو العربي لقد وتوبيه : ١٥٦ •
(١١٢) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١)
(١١٣) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٩ •
(١١٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١)
(١١٥) ينظر في النحو العربي لقد وتوبيه : ١٥٥ •
(١١٦) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ١٩ •
(١١٧) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٧٠ •
(١١٨) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معاني المضارع في القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٧ •
(١١٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١)
(١٢٠) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) •
(١٢١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول رقم (١) •
(١٢٢) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٣٤ •

غير أنه ينبغي أن نوضح أن الدلالات المتناقضة التي تترشح عن قرينة زمنية واحدة ليست أمراً خاصاً بالبحث المعاصر ، بل إنه صدر عن النحاة القدماء على الرغم من أنهم لم يكونوا قد بعدوا ، بعد ، عن العربية الفصيحة ، وعلى الرغم من أن (سليقي) العربية لم يكن قد فقد ، بعد ، إمكاناته اللغوية ، أو إحساسه بالفروق النحوية مثلما هو عليه الآن . وسنرى فروق الدلالة في الشكل الواحد بتفصيل واف في دراسة الزمن التطبيقية .

(د) أن في الجداول خلطاً بين إقامة خانات للصيغة ، وخانات لزمن الصيغة ، فيجدول الدكتور مهسدي المخزومي ، يعتمد على ثلاثة حقول زمنية هي الماضي والحاضر والدائم .

بيد أن هذه الحقول انطوت على معاني الصيغ ، وليس على معناها الزمني فقط . من مثل :

- ١ - وقوع الحدث في أثناء الكلام .
- ٢ - الدعاء .
- ٣ - أن الحدث كان كانه وقع .
- ٤ - أن الحدث يعبر عن حقيقة ثابتة .
- ٥ - أنه يعبر عن عادة .
- ٦ - أنه يعبر عن تقليد (١٢٣) .

كما نلاحظ ذلك في جدول الدكتور تمام حسان الذي وضع أمام صيغة « فعل » : « الماضي البسيط » (١٢٤) وهو ترجمة للمصطلح الانكليزي Simple Past .

وهذا المصطلح ليس زمنياً ، بل أنه سمي بسيطاً لأن « مادته خالية من السوابق وكذلك اللواحق » (١٢٥) .

ووضع هذا المصطلح (الماضي البسيط) بإزاء مصطلحي (الماضي البعيد) و (الماضي القريب) اللذين وردا في جدول الدكتور تمام حسان (١٢٦) يوضح لا زمنية هذا المصطلح .

(١٢٣) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٥ إلى ١٥٨ .

(١٢٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب جدول رقم (١) .

(١٢٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم :

١٠ : ٦٥ .

(١٢٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

وفي الجداول المقارنة وصفت صيغتا (فعل) و (يفعل) بالماضي الأساسي كما يأتي :

<u>ENGLISH</u>	<u>ARABIC</u>	<u>Descriptive Label</u>
Write	Yaf, al	Basic present
Wrote	Fagal	Basic past

(١٢٧)

وهذا الوصف ينظر الى الصيغة باعتبارها الصرفي لا النحوي .

فإذا عدنا الى جدول الدكتور مهدي المخزومي وجدناه يجعل على رأس الحقل الأول الماضي (١٢٨) . ويجعل بعده صيغة (فعل) . ف (الماضي) زمن . و (فعل) صيغة ذات دلالات متعددة والزمن واحد منها . وكذا (الحاضر) (١٢٩) ف (الحاضر) زمن أما صيغة (يفعل) فحالة فعلية ، ويبدو الجمع بين الناقض واضحا في هذا الجدول . فإذا تصفحنا ، على سبيل المثال ، ما أدرج تحت زمن (الحاضر) ومنه :

١ - الماضي .

٢ - المستقبل .

٣ - عادة تعودها شخص (١٣٠) .

أدركنا أن الدكتور مهدي المخزومي لم يقدم جدولا زمنيا بل قدم جدولا بـ (معاني الصيغ الفعلية) . فضلا عن أن التقسيم الفعلي الكوفي الذي اشتمل على الماضي والمضارع والدائم ، الذي استعار منه الدكتور مهدي المخزومي مصطلح الدائم وجعله حقا زمنيا برأسه ، مردود من جهتين :

الأولى : أنه لا يعبر عن حقيقة من حقائق العربية كما عرضنا لذلك (١٣١) .

(١٢٧) ينظر Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic, Table, 105 vol. 2, p. 759.

(١٢٨) في النحو العربي لقد وتوجيه : ١٥٥ .

(١٢٩) المصدر السابق : ١٥٥ .

(١٣٠) ينظر في النحو العربي لقد وتوجيه : ١٥٧ و ١٥٨ .

(١٣١) ينظر الفصل الثاني الخاص بـ « امكانات الصيغة » .

الثانية : أنه مصطلح غير زمني فقد انطوت خاناته على المستقبل
والماضي واللازمنية (١٣٢) .

وقد اقتفى الدكتور ابراهيم السامرائي خطو الكوفيين أيضا في
تقسيم حقول الزمن ، غير أنه بدا كأنه أحس بالتناقض في التوزيع الحظي
للزمن الذي قام به الدكتور مهدي المخزومي ، فلم يجعل على رأس الحقول
مفردات زمنية (الماضي ، الحاضر ،) بل صنفها على أساس شكل الصيغ
(فعل ، يفعل ، أبنية فاعل ، مفعول) (١٣٣) أو دلالتها :
(المصدر) (١٣٤) .

وقد كان الأستاذ حامد عبد القادر قد انتبه الى هذه الحقيقة فجعل
عنوان دراسته « معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم » (١٣٥) غير
أنه ركز على دلالة الزمن باعتبارها معنى الصيغة الرئيس .

(هـ) أن بعضا من هذه الجداول ابتدع أشكالا ودلالات زمنية . فقد
انطوت الجداول التبادلية بين الانجليزية والعربية على مركبات
زمنية ملفقة ، وعلى اسناد دلالات زمنية كيفية للصيغ بغية « اقامة
معادل للترجمة » (١٣٦) كما صرح بذلك الدكتور عبد الرسول
الخفاجي وكما يصرح : « ان اهتمامنا النهائي من الدراسة الحالية
هو مشاكل التعليم للطلبة العرب الذين يتعلمون
الانكليزية » (١٣٧) .

والقاعدة التي يستند اليها هي « أن الوظائف المختلفة لاتجاه صيغ
الانكليزية نفسها بالامكان ترجمتها باتجاه صيغ مختلفة في
العربية » (١٣٨) .

غير أن المسألة لا تتعلق باتجاهات الصيغ الدلالية ، بل في الاشكال
التي يقترحها أو التي يخترع لها مقابلا دلاليا .

(١٣٢) ينظر في النحو العربي لقد وتوجيه : ١٥٨ .

(١٣٣) ينظر الفعل زمانه وأبنية : ٢٨ الى ٣٥ .

(١٣٤) المصدر السابق : ٣٥ .

(١٣٥) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم :

١٠ : ٦٥ .

(١٣٦) ينظر :

Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English
and Arabic (manuscript)

vol. 2, p. 766.

vol. 2, p. 760.

vol. 2, p. 763.

(١٣٧) المصدر السابق :

(١٣٨) المصدر نفسه :

وهكذا نجد في كثير من الأشكال ودلالاتها ما هو مفروض على
البنية الزمنية للعربية ، وهو أمر يظل غير ذي أهمية ، لأنه سيكون بلا
قيم استعمالية .

ففي جدول المقارنة الشكلية Formal Comparison الذي يحمل
الرقم ١١٤ (١٣٩) ، أودع في خانة اللغة العربية ما يأتي :
Hawa Yanunu na ? Im-Kullama ? azuruho.

هو يكون نائما كلما أزوره .

مقابلا شكليا للتركيب الانكليزي :

He is Sleeping when ever I visit him.

ان الأداة كلما في العربية لا تأتلف الا مع صيغة (فعل) وإشارة
النحاة هنا « لا يكون تاليها الا فعلا ماضيا » (١٤٠) . والاستعمال القرآني
يزيد ذلك .

فالمقابل الشكلي العربي الصحيح للتركيب الانكليزي المشار اليه
سابقا هو : (كلما زرتة وجدته نائما) .

والنال الآخر الذي أورده الدكتور عبد الرسول الخفاجي لشكل
التركيب العربي هو : « هي تكون تقرا كلما رأيناها » وهو في العربية
ينضح في قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا » (١٤١) .

(و) أن الملحظ السابق ملحظ الابتداء اللغوي نجد شيئا منه في جدول
الدكتور تمام حسان ، الذي سندقق النظر فيه ، ونتناول محتوياته
بشيء من التفصيل لما يتميز به ، في كونه أوسع جدول زمني
للعربية المعاصرة .

والذي يبدو أن هدف الدكتور تمام حسان كان بناء نظام زمني
متكامل للغة العربية في الاطار النحوي أي في اطار دلالات الأفعال
والصفات والمصادر (١٤٢) بوصفها أشكالا زمنية . وقد نجح الدكتور

(١٣٩) ينظر :

Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English
and Arabic, p. 801.

(١٤٠) مع النواع : ٢ : ٧٤ .

(١٤١) آل عمران : ٣٧ .

(١٤٢) ينظر اللغة العربية منما ومبنا : ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

تمام في ذلك ، أى في تقديم جدول زمنى شامل ، غير أنه فيما أرى ،
أخطأ أو اضطررب في عدة مسائل بينها :

١ - عد صيغتي (فعل) و (يفعل) في (الشرط) دالتين على
الحاضر والمستقبل بقرينة (١٤٣) . أما في الجدول فجعل هاتين الصيغتين
تعبيران عن المستقبل فقط (١٤٤) .

٢ - أطلق على صيغة (فاعل) في مباحثه الصرفية ، صيغة
فاعل ، (١٤٥) عاذا هذه الصيغة وصيغ الصفات الأخرى صفة المفعول ،
صفة المبالغة ، الصفة المشبهة (١٤٦) قسما من أقسام الكلم الصرفية في
العربية ، قائما برأسه ، ليس من قسم الفعل وليس من قسم الاسم (١٤٧)
غير أنه عاد فأطلق عليها في الجدول الزمنى : تسمية اسم الفاعل (١٤٨) .

وقد جرى الدكتور تمام حسان على الرأى النحوى الذى يعد هذه
الصيغة - منونة ، غير مضافة - دالة على زمن الحال والاستقبال
بقرينة وغير منونة ، مضافة ، دالة على الماضى ومطلق الوصف (١٤٩) .

غير أن ذلك لم يجد ترجمة في خانات التوزيع التى البنى عليها
جدوله : فأشار ، فيها ، الى وقوع صيغ الصفات فى جميع أقسام الزمن
بقرينة (١٥٠) .

وكان ينبغى عليه ، من منطلق الشمول ، أن يضع فى الجدول
الزمنى حقلا للمصدر الذى يؤدى - كما يشير الى ذلك الدكتور تمام
نفسه - وظيفة الزمن النحوى فى السياق ، شأنه شأن الفعل
والصفة (١٥١) .

ليس هذا فقط ، بل كان عليه ، من المنطلق نفسه ، أن يجعل
للجملة الاسمية حقلا زمنيا ، فهذه الجملة لا تأبى الدخول فى الزمن

(١٤٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٠ .

(١٤٤) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

(١٤٥) المصدر نفسه : ٩٩ .

(١٤٦) نفسه : ٩٩ .

(١٤٧) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٣ .

(١٤٨) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

(١٤٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٣ و ٢٥٤ .

(١٥٠) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

(١٥١) المصدر نفسه : ٢٤٠ .

اللغوى كما رأى الدكتور تمام حسان . وعلى عيسارته : « اذا أردنا ان نضيف عنصرا زمنيا طارئا الى معنى هذه الجملة جئنا بالأدوات المنقولة من الأفعال وهي الأفعال الناسخة » (١٥٢) .

كما ان الدكتور تمام حسان الذى جعل خائتين لاسم المفعول ، وصيغ المبالغة لم يعرض فى مبحثه (الزمن والجهة) (١٥٣) لهما .

ويبدو أنه جعل لهما خائتين فى جدولته ، جريا على رأى نحوى قديم ، مستندا الى نوع من القياس يأباه منطق الاستعمال اللغوى . وهو معنى قول ابن مالك :

وكل ما قرر لاسم فاعل يعطى اسم مفعول بلا تفاضل (١٥٤)
وكما رأينا فان نحويا كالرضى نبه الى قيم خلافة بين صيغتي (فاعل) و (مفعول) (١٥٥) .

ان الصفات والمصادر والجمل الاسمية لا يمكن أن تقع فى جدول زمنى ، لأن الأولى - الصفات والمصادر - ليست صيغا زمنية والثانية ليست صيغا أصلا حتى يمكن لها أن تتخذ موصفا فى هذا الجدول . ان الزمن يحصل لها فى السياق عن طريق قرائن حالية أو لفظية (١٥٦) ، وهى التى تدل على زمن حدث هذه الصيغ الخمسة . أما فى الجمل الاسمية فبان مرد الزمن الى أدوات الزمن (كان) وأشباهاها . على الضد من ذلك ، تدل الصيغ الفعلية على الزمن بذاتها ، وتكون وظيفة القرائن تحديد جهة فى الزمن .

٣ - ذكر الدكتور تمام حسان لصيغة (يفعل) الدلالات الزمنية الآتية :

الحال العادى ، الحال التجددى ، الحال الاستمرارى (١٥٧) ولم يوضح ما المقصود بهذه المصطلحات ؟

وجعل فى جدولته صيغتي ليفعل* وافعل* للحال العادى والتجددى

-
- (١٥٢) نفسه : ١٩٣ .
(١٥٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ .
(١٥٤) شرح ابن عقيل : ٢ : ٩٧ .
(١٥٥) ينظر شرح الكافية : ٢ : ٢٠٤ .
(١٥٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٣ .
(١٥٧) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

والاستمراري أيضا ، وللمستقبل البسيط والقريب والاستمراري .
ولم يبين كيف ذلك (١٥٨) .

كما جعل صيغة (فعل) في التحضيض ، وصيغ (فعل) ،
(يفعل) ، (افعل) في الدعاء للتعبير عن المستقبل بجهساته البسيط
والقريب والاستمراري ؟

وجعل - كما أشرنا من قبل (١٥٩) - المركب « كان قد فعل »
للدلالة على القريب المتقطع .

كما افترض الدكتور تمام حسان ان المركب الزمني « كان يفعل »
يدل على الماضي المتجدد ، والمركب « ظل يفعل » يدل على الماضي
المستمر (١٦٠) .

وجعل : صيغة (يفعل) دالة على المستقبل البسيط .

و (سيفعل) دالة على المستقبل القريب .

و (سيظل يفعل) دالة على المستقبل المستمر (١٦١) .

ولم يوضح الفرق بين الزمن البسيط والزمن القريب وبعبارة
أخرى : لم يشرح لنا معنى (المستقبل البسيط) وإزاء (المستقبل
القريب) . كما عرض الدكتور تمام حسان لتركيبات (لترجي)
فجعل تركيبى : « عسى أن يفعل » و « لعله يفعل » للحال : العادى
والتجددى والاستمراري . وللمستقبل : البسيط والقريب والبعيد
والاستمراري (١٦٢) .

ان الاضطراب الذي يسود جدول الدكتور تمام حسان متأت من
منطلق الشمول الذي ألزم به نفسه . فكأنه أراد أن يصل الى نتيجة
معدة سلفا : وهي أنه بإمكان البنية النحوية العربية أن تفرز جسدولا
زمنيا شاملا في الأقسام والجهات . وكان الدكتور تمام قد تنبه الى هذا

(١٥٨) ستعرض لصيغة (افعل) في الفصل الرابع : « الزمن بين أسلوبين الخبر
والإنشاء » .

(١٥٩) ينظر : ص ١٠٦ من هذا الفصل .

(١٦٠) ينظر اللغة العربية معناها ومعناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

(١٦١) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

(١٦٢) المصدر نفسه / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .

الزمن واللغة - ١١٣

الاضطراب فصرح : أن كل نظام مهما افترض لنفسه من الإطلاق لابد
أن يصادف من مشكلات التطبيق ما يتطلب حلولاً من نوع ما ، (١٦٣) .

ولا نريد هنا أن نقلل من محاولة الدكتور تمام حسان في بناء
نظام الزمن في العربية على هذا الوجه ، ولكننا نريد أن نبين أنه كان
يمكن أن يبنى هذا النظام على ما هو ملاحظ فعلاً لا على ما يرغب في
ملاحظته وهو ما فعله الدكتور تمام حسان ، مستنداً إلى اصطناع دلالات
زمنية للأشكال اللغوية من غير أن يناقش ذلك الاصطناع ، أو يسوو
شاهداً ما ، يقوى حججه ، كما أنه استند في عقد الصلة ، بين الشكل
اللغوي ومحتواه الزمني ، إلى نتائج البحث النعوي ، من غير أن يحص
فيها ، وكان ينبغي أن يفعل ذلك ، فقد زعم أن النحاة غرر بهم في
موضوع الزمن (١٦٤) .

وسوف نعرض للأشكال الزمنية ، أي الصيغ والمركبات حين نتج
زمناً فقط ، في دراسة الزمن التطبيقية (١٦٥) ، وستناقش ، حينئذ
ما ورد في الجداول السابقة (١٦٦) ، ما يخص هذه الناحية بتفصيل
واف .

(١٦٣) اللغة العربية معناها ومعناها : ٢٤٣ .

(١٦٤) ينظر في اللغة العربية معناها ومعناها : ٢٤٨ .

(١٦٥) ينظر الفصلان الأخيران من هذه الرسالة .

(١٦٦) يلى من الجداول الزمنية التي لم نشر إليها قط ، جدول الدكتور علي جابر
النصوري ، وسبب ذلك أن هذا الجدول يستند ، في أساسه ، إلى معطيات بحث الدكتور
مهدي الخزومي : (الصيغ الزمنية في العربية) . بل يصدر عنه صندوقاً حرفياً في بعض
الأحيان .

الزمن : بين أسلوبى : الخبر والانشاء

تفيد ملاحظة طبيعة السياق اللغوى ، من حيث كونه سياقاً انشائياً أو خبرياً ، فى تحديد ملامح الزمن فى اللغة العربية وليس من مهمة هذه الرسالة الخوض فى مفهومي الأسلوبين الانشائي والخبرى ، غير أنه بصورة عامة فرق بينهما بأن الأول « طلب أو غير طلب لا دخل للصدق والكذب (فيه) » (١) وأن الثانى : « صالح للحكم عليه بأنه صدق أو كذب » (٢) ويطلق الباحثون المعاصرون على الأسلوب الانشائى : « الأسلوب الاقصادى - التأثرى الانفعالى affective Language » (٣) ويدخلونه ضمن « لغة الارادة » (٤) . أما الأسلوب الخبرى فيدخلونه ضمن « لغة العقل والمنطق » (٥) . وقد قسمت الجملة الانشائية الى قسمين : « انشائية طلبية : وهى التى يتأخر وقوع معناها عن وجود لفظها » (٦) أو هى التى « تستلزم مطلوباً ليس حاصله وقت الطلب » (٧) وتشمل : الأمر والنهى والدعاء والاستفهام والعرض والتحضيض والنداء « (٨) وانشائية غير طلبية : وهى التى يتحقق - غالباً - مدلولها بمجرد النطق بها ، وتشمل : « جملة التعجب وجملة المسدح أو اللم وجملة القسم - نفسه - لا جوابه - ورب ، وكم الخبرية وصيغ العقود والترجى وأفعال الرجاء » (٩) واستناداً الى هذا التوزيع جعلوا الخبرية تقع فى جميع أقسام الزمن ، فنقول : « نزل المطر أمس ، أو

(١) التلخيص : ١٧٢ .

(٢) التلخيص : ١٧٢ .

(٣) اللغة العربية معناها ومعناها : ٨٨ .

(٤) للدخل الى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية : ٥٩ .

(٥) المصدر السابق : ٥٩ .

(٦) التلخيص : ١٧٢ .

(٧) الأساليب الانشائية فى النحو العربى : ١٣ .

(٨) التلخيص : ١٧٢ .

(٩) النحو الوالى : ١ : ٣٧٤ . هامش : ٢ .

حضر والذى اليوم ، أو يحضر الغائبون غدا ، (١٠) ، وجعلوا الانشائية تقع فى الحال والاستقبال .

ويعنى ذلك أنه نظر الى (الزمن اللغوى) من خلال مفهوم (الجملة) وليس من خلال شكل (الصيغة) ، وبعد ذلك وجها من وجوه التحول الى الزمن الدلالى ، وبه تم حصر دلالة الصيغ الزمنية داخل الأسلوب الانشائى غير الطلبى بالحاضر (كأفعال العقود والقسم) ، وربطت الطائفة الأخرى بالزمن المستقبل (كصيغ الأمر والنهى والدعاء) ، لتأخر وقوع معناها عن لفظها كما مر (١١) وقد استندت محاولة الدكتور تمام حسان فى (جدولة) زمن اللغة العربية الى هذا الفهم قال : « فجمال الانشاء - فيما عدا الاستفهام - قاصرة على اقادة الحال أو الاستقبال بحسب القرائن ، ولا دلالة فيهما على المضى ، فالحال والاستقبال هما معنى الأمر بالصيغة والأمر باللام والنهى والعرض والتحضيض والتمنى والترجى والدعاء والشرط » (١٢) وسنرى أن ربط الزمن بالجملة ، لا بالصيغة ، ربطا تاما خطأ وقع فيه كثير من الباحثين الذين عينوا الزمن من جهة نوع السياق اللغوى ، من غير أن يعنوا بفحص الزمن فى أمثلة من الكلام لاختبار صحة هذا النظر . كما سنرى أن ما انتهى اليه الدكتور تمام حسان غير صحيح ، لا بالحلل الذى يعتوره حسب ، بل لأنه انطلق من غير منطلقه ، أى كأنه نظر فى الزمن العقل المجرد لا فى الزمن اللغوى ، فلما الخلل الذى يعتور تحليلاته فى هذا الجانب ف :

(أ) استثنائه الاستفهام ، وهو ركن من أركان الانشاء ، وجعل زمنه خبريا ، أى واقعا فى أقسام الزمن .

(ب) قوله : إن « فعل » بعد « ليت » ربما دل على زمن ماض ، نحو : « ليتته فعل كذا » (١٣) .

أى أنه ألحق التمنى الانشائى (١٤) بزمن الخبر كما فعل فى الاستفهام .

(١٠) المصدر السابق : ١ : ٣٧٤ ، هامش : ٢ .

(١١) ينظر مضمونا الهامشين : ٦ ، ٩ من هذا الفصل .

(١٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(١٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥١ .

(١٤) قولنا التمنى الانشائى تمييزا له من التمنى الخبرى كالفعل تمنيت كذا - ودخول

« التمنى الانشائى فى الماضى كثير ، وهو من استعمالات القرآن . قال تعالى : « يا ليتنى كنت منهم فانوز فوزا عظيما » / النساء : ٧٣ .

(ج) قوله : « ان معنى المضى قد يطرأ على التحضيض بواسطة (١٥) التواسخ نحو « هلا كنت قد فعلت » (١٦) وأرى أن الدكتور تمام حسان أخطأ هنا ، فالجملة التي أشار إليها لها معنى « التوبيخ » وليس « التحضيض » ، وعلى عبارة السكاكي « التوسيم » (١٧) وعلى أية حال فقد استثنى من قصر زمن الحال والاستقبال على جمل الانشياء : الاستفهام والتمنى والتحضيض .

(د) جعله زمن صيغة المضارع (يفعل) ، وليس صيغة الماضي (فعل) - وهذا هو مدار الخلاف - يدل على زمن الحاضر والمستقبل في العرض والترجي (١٨) وكأن الزمن في العرض والترجي زمن الصيغة وليس زمن الاسلوب .

(هـ) تفاديه ذكر جمل التعجب والمدح والذم والعقود والنداء ، وهي جمل انشاء ، وتدخل وفق تحليل الدكتور تمام حسان زمن الحال والاستقبال للاطلاق الذي عليه تعريف الدكتور تمام حسان :

« فجمل الانشياء - عدا الاستفهام - قاصرة على افادة الحال والاستقبال » (١٩) وهو أمر لم يقله الدكتور تمام نفسه .

بقى ما زعم أنه مرهون بالحال والاستقبال من السياقات الانشائية : الأمر والشرط والدعاء .

وهذا هو القسم الذي انطلق فيه الدكتور تمام حسان من منطلق غير لغوي :

١ - الشرط : وقد عرضنا للشرط (٢٠) ورأيناه لا دلالة في صيغه على زمن .

٢ - الأمر : اختلف في الأمر اللغوي من حيث :

(أ) دلالته على الزمن ، وفي دلالته على الزمن اختلف في القسم الذي يشير اليه :

١ - أنه يدل على المستقبل . وهو ما يشير اليه تحليل سيبويه

(١٥) الصحيح بواسطة ، لأن مدلول كلمة واسطة ليس مدلول كلمة وساطة .

(١٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٢ .

(١٧) مفتاح العلوم رسالة دكتوراه / مخطوطة : ٤٧٠ .

(١٨) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٢ .

(١٩) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٠ .

(٢٠) ينظر الفصل الثاني من هذه الرسالة « امكانات الصيغة » / ص ٧٦ فما بعدها .

الذى جعل صيغة الأمر دالة على الذى « لم يقع ... قولك أمرا : اذهب » (٢١) ثم أشعر أن فعل الأمر ، دون المضارع ، يستغل بالدلالة على المستقبل ، فقد جعل الأمر والمضارع « لما يكون ولم يقع » (٢٢) ، و فرق بينهما من جهة الطلب والاختيار ، وجعل الحاضر فضلا عن المستقبل دلالة المضارع وعبارته : « ما لم يتقطع وهو كائن إذا أخبرت » (٢٣) ولم يقل أو أمرت . وقد تابع سيبويه جملة من النحاة ، وعدد من المدارس المعاصرين ، يقول صاحب الهمع : « وهو لازم الاستقبال » (٢٤) وعبارة الشلوبين : « مستقبل بالوضع » (٢٥) وذهب الأستاذ عباس حسن إلى أن : « زمان الأمر مستقبل فى أكثر حالاته » (٢٦) وهو رأى الدكتور ابراهيم أنيس الذى يقول : « كما أننا نلمح فيه غالبا المستقبل » (٢٧) .

٢ - أنه يدل على الحال وقد « جزم به جماعة من الأصوليين تبعاً لجمهور النحاة » (٢٨) . وقد لاحظ الدكتور ابراهيم أنيس أن المدارس : « لا يكادون يختلفون فى تخصيص زمنه بالحال » (٢٩) وقال السكاكى : « والأمر والنهى حقهما الفور والتراخي لكونهما للطلب ولكون الطلب فى استدعاء تعجيل المطلوب أظهر منه فى عسقم الاستدعاء له » (٣٠) .

٣ - أنه يدل على الحاضر والمستقبل ، وليس فيه نص على أحدهما دون الآخر : « تعليلا بكونه مأخوذا من المضارع الذى هو مشترك بين الحال والاستقبال » (٣١) وقسده رد الخطيب القزوينى على ما صرح به السكاكى من أن الأمر حقه الفور بـ « وفيه نظر » (٣٢) وشرح البرقوقى ذلك بـ : « الفور والتراخي مفوضان إلى القرينة » (٣٣) .

-
- (٢١) الكتاب : ١ : ١٢ .
 (٢٢) المصدر السابق : ١ : ١٢ .
 (٢٣) المصدر نفسه : ١ : ١٢ .
 (٢٤) همع الهمع : ١ : ٧ . ٨ .
 (٢٥) الترغمة : ١٣٣ .
 (٢٦) النحر الوافى : ١ : ٦٥ .
 (٢٧) من أسرار اللغة : ١٧٥ .
 (٢٨) البحث اللغوى عند الأصوليين : ١٥٤ .
 (٢٩) من أسرار اللغة : ١٧٥ .
 (٣٠) مفتاح العلوم : رسالة دكتوراه / مخطوطة - ٤٨٣ .
 (٣١) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٥٤ .
 (٣٢) التلخيص : ١٧٠ .
 (٣٣) التلخيص : عامتى : ١٧٠ .

وهذا هو ما ركن اليه الدكتور تمام حسان : حيث وزع صيغة الأمر على الحاضر والمستقبل : « افعل الآن » افعل غدا » (٣٤) .

(ب) خلط صيغة الأمر من الدلالة على زمن : وهو ما الملح اليه بعض النحاة اذ جعلوا صيغة الأمر تدل على طلب ، من غير أن يتيروا قضية الزمن فيها .

جاء في الكافية : « الأمر صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة » (٣٥) . والملح ذاته نجده اذا نظرنا في مادة تقسيم الفعل التي عرض لها الجرجاني في (الجمل) يقول : « المقتوح الآخر نحو ضرب وانطلق وهو للماضي خاصة . . وما دخله احدى الزوائد الأربع . . . وهو يصلح للحال والاستقبال . . . الموقوف الآخر (نحو اخرج) . . . يكون أمرا للمخاطب » (٣٦) . فلم يسند زمنا الى صيغة الموقوف الآخر وهو الأمر .

وكان تقسيم الفعل باعتبار زمنه قد جعل الكوفيين يبعدون « الأمر (ف) لم يجعلوه قسيما للماضي والمستقبل » (٣٧) وقد نسب الدكتور مصطفى جمال الدين أول تصريح بتجرد صيغة الأمر من الدلالة على الزمن ، صدر عن الأصوليين ، الى صاحب (المعالم) وهو قوله : « المتبادر من الأمر طلب ايجاد حقيقة الفعل » (٣٨) .

وقد تابع أغلب المعاصرين الرأي الذي يذهب الى خلط صيغة الأمر من الزمن وعبارة الدكتور : ريمون طحان : « اطراح الأمر من حقل الزمن » (٣٩) . وهو رأى الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى الذي ذهب الى « أن صيغة فعل الأمر التي ترد في أسلوب الاتشاء لا تدل على معنى زمني » (٤٠) وقد ركن الدكتور ابراهيم السامرائي الى رأى الكوفي ، فلم يعده قسيما للماضي والمستقبل (٤١) .

(٣٤) اللغة العربية معناها ومعناها : ٢٥١ .

(٣٥) شرح الكافية : ٢ : ٢٦٧ .

(٣٦) الجمل : ٥ .

(٣٧) الفعل زمانه وأبعيته : ٢١ .

(٣٨) البحث النحوي عند الأصوليين : ١٥٤ .

(٣٩) الألسنية العربية : ١ : ١٤٦ .

(٤٠) نحو الفعل : ٢٤ .

(٤١) الفعل زمانه وأبعيته : ٢١ .

(ج) عدم فعلية صيغة الأمر :

لم تعد الآراء السابقة أن تجعل صيغة الأمر صيغة فعلية ، فلم يعد نفى أن يكون الزمن مقوما للفعل بالتضمن أمرا مخالفا لحقيقة لغوية .
أن حدث فعل الأمر ، الذي هو « حدث كسائر الأفعال » (٤٢) يتميز بدلالته على الطلب . أي هو ، من جهة الحدئية ، قسيم الماضي الذي يتميز بحداثته الدال على التسام والمضمارع الذي يتميز بدلالته على غير التام (٤٣) .

غير أن الدكتور مهدى المخزومي نظر إلى صيغة الأمر نظرة أخرى ، فلم يكتف بتجريد الصيغة من الدلالة على الزمن ، بل جردها من الفعلية أيضا ، وعدها صيغة طلب ليس غير .

رأى الدكتور المخزومي : « أن الفعل يتميز بشيئين : أولهما أنه مقترن بالدلالة على الزمان ، وثانيهما : أنه يبنى على المسند اليه ، ويحمل عليه » (٤٤) وقد وجد أن « بناء (أفعل) خلو من هاتين الميزتين » (٤٥) فانتفى إلى أن ما يدل عليه هذا البناء هو : « طلب الفعل حسب » (٤٦) ونحن لا نركن إلى هذا التحليل ل :

١ - أننا قد انتهينا إلى أن (الزمن) ليس جزءا من مدلول صيغة الفعل ، وبعبارة أخرى : ليس الزمن معنى صيغة الفعل . ومقولة الدكتور مهدى المخزومي « الفعل مقترن بالدلالة على الزمان » ليست إلا ترديدا لقول عقلي محض لا لغوي ، وارتدادا إلى جوهر النظر النحوي الذي وجه إليه الدكتور المخزومي نفسه نقدا مريرا ، بل يمكن أن نختب بعضا من أحكامه في قضية الزمن والفعل لننتهي إلى رفض أحد الزمن سمة من سمات الفعل منها قوله : « الصيغة قد تدل على محض تمام الفعل أو عدم تمامه » (٤٧) وليس في هذه الدلالة نص على الزمان ، وإن كان الزمان من مستلزماته » (٤٨) وسنعرض لمفهوم الزمن الإلزامي في النقطة التالية في هذا المبحث . غير أنه يمكن تعميم مقولة الدكتور المخزومي السابقة على بناء (أفعل) فتكون كما يأتي :

-
- (٤٢) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٦ .
(٤٣) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٢٥ .
(٤٤) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٢٠ .
(٤٥) المصدر السابق : ١٢٠ .
(٤٦) المصدر نفسه : ١٢٠ .
(٤٧) وهو رأي المستشرقين .
(٤٨) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤٥ .

- الصيغة قد تدل على محض تمام الفعل أو عدم تمامه أو على محض طلب الفعل وليس في هذه الدلالة نص على الزمان . فما الفرق ؟
- ٢ - أن الفعل يتميز بنوع حدثه الذي يبنى على المسند اليه .
والأمر حدث على الرغم من أنه غير واقع . وهو كالحديث الواقع في حيز النفي ، « وذلك ان كلا منهما (الأمر والتفني) غير حادث » (٤٩) .
- والى هذا أشار الأستاذ فلندريس : « ف موضوع الجملة الفعلية أن تأمر بحدث أو تقرر حدثا أو أن تتخيل حدثا » (٥٠) .

الأمر والزمن الالتزامي :

أثار الدكتور مصطفى جمال الدين قضية ما يمكن تسميته الزمن الالتزامي في الأمر ، فقد جعل : « القول الحق ما قاله صاحب (المعالم) من أن التحقيق أن صيغة الأمر لا دلالة لها على الزمان وضعا أصلا وإنما يفهم منه الزمان التزاما » (٥١) .

ان مصطلح « الالتزام » يشير الى تلازم الموجودات عقلا وهو ، بذلك ، يعرض للبنيات الفكرية وليس للبنيات اللفوية ، ومثل ذلك دلالة السقف على الحائط بالالتزام فالسقف في اللغة لا يشير الى الحائط ، ولكن اذا أردنا مرحلة من مراحل تحليل مستلزمات السقف بما يشير اليه ، لا بما ينطوي عليه ، وجدنا أن السقف يشير الى حائط . وهكذا فإن (الفعل) اذا نظر اليه بكونه حدثا من أحداث الوجود لا اللغة لزم أن يكون له زمن ، أو أن يكون الزمن من مستلزماته . ف : فعل (تدور) مثلا ، في جملة « تدور الأرض حول الشمس » (٥٢) يلزم أن يكون له أي لحدث الدوران ، زمن . وهذا الزمن فلسفي ، ومقتضاه ٣٦٥ يوما . غير أنه خال من الزمن اذا نظر الى حدث الدوران بوصفه « حقيقة ثابتة » (٥٣) ، أي لا يلزم أن يكون له زمن . ومن هنا يبدو تحليل الدكتور مهدي المخزومي مضطربا : أن « الصيغة قد تدل على محض تمام الفعل . . وليس في هذه الدلالة نص على الزمان وإن كان الزمان من مستلزماته » (٥٤) فالإشارة الأولى تنبثق من بنية لغوية .

(٤٩) الفعل زمانه وأينيته : ٢٢ .

(٥٠) اللغة : ١٣٣ .

(٥١) البحث النحوي عند الأصوليين : ١٥٦ .

(٥٢) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٧ .

(٥٣) المصدر السابق : ١٥٧ .

(٥٤) المصدر نفسه : ١٤٥ .

في حين تنبثق البانية من بنية فكرية منطقية مجردة . كذلك تكشف
إشارة الدكتور تمام حسان الى حصر دلالة صيغة الأمر على الحاضر
والمستقبل ، بالطرف (٥٥) ، تكشف عن وجه من وجوه الزمن الالتزامي
لأنه يفغل خلو الأمر بصيغته من الدلالة على زمن البتة .

والملاحظ الدقيق في هذا الجانب ان فعل الأمر لا يدل بصيغته على
زمن الا اذا أريد النص به على ذلك ، وحينئذ يشير الى قسمي الحاضر
والمستقبل دون الماضي .

ويلحق الأمر بالصيغة ، الأمر بالمصدر كما في قوله تعالى : « فضرب
الرقاب » (٥٦) وبالقرينة ، كقوله تعالى : « فليمدد بسبب الى السماء
ثم ليقطع فلينتظر » (٥٧) . وكقوله : « ولا تقربوا الزنى » (٥٨) أو
بالدلالة كقوله ... سبحانه - : « عليكم أنفسكم » (٥٩) فهذه لا تنطوي
على زمن الا اذا نص عليه بقرينة .

واذا كان الفرق بين النهي والأمر يلحظ بفرق المعنى فان الفروق
التي بين وجوه باب الأمر بالصيغة والمصدر ولام الطلب واسم الفعل ،
تفسر في ضوء نظرية عبد القاهر الجرجاني : وجوه الباب (الواحد)
وفروقه التي عرضنا لها (٦٠) ويقدم الدكتور تمام حسان ملحعا من هذا
الفرق في باب الأمر . يقول : « المصدر ، في هذه الحالة ، يختلف عن
فعل الأمر من مادته بأن الأمر للطلب المحض وهذا المصدر للأفصاح ،
فحين قال الشاعر : « فندلا زريق المال ندل الثعالب » لم يكن المعنى
الذي قصده اليه مساويا تماما لمعنى « اندل » وانما أراد بذلك معنى
أفصاحيا آخر ، انفعاليا فيه من الحث والحض والخفة في محاولة الهرب
... وهي معان لا توجد في صيغة الأمر المجردة » (٦١) .

ولم يبين الدكتور تمام حسان زمن المصدر « ندلا » في قول الشاعر
السابق ، حيث كان قد نص على أن « المصدر صالح للحال أو
الاستقبال » (٦٢) ، فلا إشارة في البيت سوى إشارة طلب يحمل

(٥٥) ينظر اللغة العربية معانها ومبناها : ٢٥١ .

(٥٦) محمد : ٤ .

(٥٧) الحج : ١٥ .

(٥٨) الاسراء : ٣٢ .

(٥٩) المائدة : ١٠٥ .

(٦٠) ينظر الفصل الثاني من هذه الرسالة : إمكانات الصيغة / ص ٧٣ فما بعدها .

(٦١) اللغة العربية معانها ومبناها : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٦٢) اللغة العربية معانها ومبناها : ٢٥٤ .

سمات حدث المصدر دون الفعل . بل ان الحاج الدكتور تمام حسان على القرينة دون الصيغة بوصفها دالة زمن ، يعنى وجها من وجوه نفي دلالة صيغة (الأمر) وملحقاتها على الزمن .

وهكذا نخلص الى أن صيغة الأمر صيغة فعلية مفرغة من الزمن .

ومن أمثلة ما ورد في القرآن لصيغة الأمر بدلالاتها السلبية والايجابية على الزمن ، قوله تعالى : « ارجعوا الى أبيكم فقولوا » (٦٣) . فدلاله صيغتي « ارجعوا » و « قولوا » لا تنطويان على زمن .

بل ان الصاق الزمن بكونه زمنا التزاميا (ارجعوا من فوركم أو الآن أو بعد قليل أو غدا) ، يضعف معنى التركيب ويدخله في قصد آخر .

ومثل ذلك قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا » (٦٤) أما قوله : « فالآن ياشرورهن » (٦٥) و « أرسله معنا غدا » (٦٦) فمما نص به على زمن الصيغة ، لأن الظرف ، كما سنبين في الفصل القادم لا يشير الى زمن بل يقيس زمنا مستقلا عنه ، أعنى عن الظرف .

٣ - صيغ العقود ، الدعا ، جملة القسم :

(أ) صيغ العقود :

يمكن أن يطبق على هذه الصيغ ، التي تقع في هذه الأساليب الانشائية ، قانون حركة الصيغ في العربية وفق مميزها الحدثي الذي عرضنا له في الفصل الثاني من هذه الرسالة بعنوان « امكانيات الصيغة »

ان صيغ العقود : نحو : « بعثك » و « اشتريت » و « زوجتك » و « قبلت » .. الخ صيغ يقع حدثها في أثناء الكلام (٦٧) ولا يتم « الا بالكلام نفسه » (٦٨) ويعنى ذلك أن الزمن لا يمكن أن يلحظ أو يقصد اليه ، بل القصد القطع بتحقيق الحدث المتعاقد عليه . ولهذا اختيرت صيغة (التام) أو (الماضي) وقد وقع في وهم كثير من الباحثين

(٦٣) يوسف : ٨١ .

(٦٤) النساء : ١٧١ .

(٦٥) البقرة : ١٨٧ .

(٦٦) يوسف : ١٢ .

(٦٧) في النحو العربي لغة وتوجيه : ١٥٥ .

(٦٨) المصدر السابق : ١٥٥ .

ان الزمن الذي تدل عليه الصيغة التزاما ، هو زمن تدل عليه تضمنا ،
 أى لما كان الحدث يقع فى أثناء الكلام ، افترضى ان يكون زمنه احاضر ،
 فجعلت صيغة « فعل » فى العقود دالة على الحاضر بعد ان كانت تدل
 عند النحاة ، على الماضى فقط . وهذا وهم من حيث انه لا يمتنع استعمال
 صيغة الحاضر (يفعل) ، اذا أريد الزمن فتتحول صيغة بعث واشترى
 وزوجتك الى أبيعك واشترى ، وأزوجك . الخ .

وقد احس الدارسون بشئ من هذا . فقد ذهب الأستاذ عبد السلام
 هرون الى ان البلاغيين « لا يكادون يلقون بالا الى هذا القسم (المدح والذم
 التمجيد ، العقود) لقلة المباحث المتعلقة به ، ولان أكثره فى ارضى
 أخبار نقلت الى معنى الانشاء » (٦٩) .

ان هذا النقل ، فيما أرى ، تم داخل بنية ان فعل الماضى ، اذ فرغت
 هذه البنية من الزمن ، واستقرت فى تركيب العقود بدلالة حدثها فقط .
 فنقلت بذلك من معنى الخبر الزمنى الى معنى الانشاء اللازمنى .

أما الزمن الحاضر اذا أريد تبينه ، فهو زمن تركيب العقد ، لا زمن
 صيغته . لأن الصيغة ، لو لم تكن واقعة فى ذلك السياق لما دلت الا على
 ماض . ويمكن توضيح ذلك بما يأتى :

اشترى فى هذه اللحظة = صيغة زمنية . الحدث تم الآن / خبر
 اشترى قبل هذه اللحظة = صيغة زمنية . الحدث تم فى
 الماضى / خبر

اشترى أى وافقت على الشراء موافقة مقطوعا بها = صيغة غير
 زمنية / انشاء

ومن هنا وقع الأستاذان الدكتور مهدى المخزومي ، والدكتور تمام
 حسان فى شرك العقل لا فى شبك اللغة ، اذ صدرا عما يستلزم الصيغ
 من زمن فى مثل هذه الأساليب .

فجعله الاول زمن الصيغة والثانى زمن الأسلوب . يقول الدكتور
 مهدى المخزومي عن فعل : « له دلالات لا تقتصر على وقوع الحدث فى الزمان
 الماضى ، فقد يل فى بعض استعمالاته على وقوع الحدث حال زمن التكلم كما
 فى قول البائع والمشتري : « قبلت » (٧٠) أما الدكتور تمام حسان
 فانه وان لم يعرض لزمن صيغ العقود ، ربط الزمن بدلالة الأسلوب ، ولا

(٦٩) الأساليب الانشائية فى النحو العربى : ١٣ .

(٧٠) فى النحر العربى فقد وتوجيه : ١٢٢ .

كان مدلول الكلام الانشائي لا يتحقق في الخسارج ويتوقف على النطق به (٧١) لزم أن يكون زمنه في الحاضر .

(ب) الصيغ في الدعاء والقسم :

فاذا عرضنا للصيغ في الدعاء وجدنا الأمر أكثر قبولا لتطبيق قانون المميز المحدثي عليه .

ان تفسير وجود صيغ دالة على الماضي في سياق استقبالي يفضح الى قاعدة حركة الصيغة بحدتها لا بزمتها . يقول ابن جني « ان هذا ثابت بإذن الله ، واقع غير ذي شك ، وعلى ذلك يقول السامع ، وقع ان شاء الله . ووجب لا محالة أن يقع ويجب » (٧٢) .

فالمقصود دلالة التثنية لا دلالة الزمن . وقد كشف الأستاذ عباس محمود العقاد عن حركة الصيغة القسائية ، التي تتنازعها دلالتا الزمن والحدث في مثل هذه السياقات . قال : « فالمعنى غالب على اللفظ في أقوال الدعاء والرجاء . يقول القائل : صحبتك السلامة ، وحفظك الله . . . ومن آية القصد في اللغة ألا يحتاج الفعل ، هنا ، الى النقل من صيغة الماضي الى الحاضر . لأن المعنى بالبداهة معلق على الاستقبال . . . ولا شك أن هذا المعنى مقصود ، لم يأت عن عجز في اللغة ، ولا يمتنع على قائل أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء » (٧٣) .

فالزمن ، اذا أريد تبينه ، هو معنى السياق وليس معنى الصيغة . ومن وجهة نظر لغوية ليس الزمن هنا مقصودا .

و (البداهة) التي توصلت الى تعيين الزمن هي بداهة العقل عند تحليل مستلزمات النص . أما البداهة اللغوية فلا تلاحظ زمنا البتة . ان الصيغة ، هنا ، مفرغة من الزمن ، شأنها شأن صيغة الأمر في الدعاء . كقوله تعالى « ربنا اغفر لنا » (٧٤) وشأن الجملة الاسمية التي للدعاء كالقول :

« انت المنصور » . فاصلها الدعاء (٧٥) كذلك تحلل صيغة جملة القسم في ضوء هذا المنهج .

(٧١) الأساليب الانشائية في النحو العربي : ١٣ (٧٢) المصاحف : ٣ : ٢٢٢ .

(٧٣) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤١ .

(٧٤) آل عمران : ١٤٧ .

(٧٥) الأساليب الانشائية في النحو العربي . ١٦ .

نحو قولك : « نشدتك الله ، وعزمت عليك الا فعلت كذا » (٧٦)
وكنا قد عرضنا لرأى المستشرق الألماني (كراوس) الذى يقول : « وأقول :
« أقسمت » وأنا أريد أن أقول « أقسم » (٧٧) .

ونخلص فى هذه النقطة الى أنه وقع فى وهم المحدثين أن النحاة
أخطأوا ، حين ربطوا صيغة الماضى (فعل) بالزمن الماضى مطلقا ، وصيغة
المضارع بالحاضر أو المستقبل مطلقا ، واستدلوا على خطأ النحاة بالصيغ
الواقعة فى الأسلوب الانشائى والشرطى كصيغ الشرط والعقود والدعاء ،
والترجى ... الخ .

والحق أن المحدثين هم الذين أخطأوا فى هذه النقطة ، إذ نسبوا
زمن انسياق وقرائنه الى شكل الصيغة ، حيث تهيأ لهم أن صيغتى الماضى
والمضارع تدل كل واحدة منهما ، على زمن ماض وحاضر ومستقبل ولم
يلاحظ الا القليل منهم تفريغ الصيغة من الزمن وإبقاء حدثها ، كما لاحظ
الدكتور مهدى المخزومي ذلك على الصيغ الواقعة فى السياق الشرطى (٧٨)

أما النحاة القدماء فقد انحوا تحول الصيغ عن زمنها الذى لها بالوضع
واعترضوا لهذا التحول ، غير أنهم يسبب من منهجهم ، لم ينزعوا فى هذه
النقطة الى التفكير اللغوى فيجردوا الفعل اللغوى من الزمن .

والنتيجة التى ينتهى اليها هذا المبحث هى :

أن الصيغ ينزع فى السياق الانشائى (عند الاستفهام) الى تفريغ
بنيتها من الزمن الا اذا نص عليه بقرينة .

وهى تقابل ، بذلك ، الصيغ فى السياق الخبرى التى تنزع الى
الزمن ، الا اذا نص بقرينة على عكسه .

وهكذا يمكن وضع علاقة الصيغة بالزمن فى القانون الآتى :

تتأثر الصيغة الفعلية فى تعبيرها عن الزمن بنوع السياق الذى تحل
فيه أى : تحافظ الصيغة الفعلية - اذا أريد النص بها على الزمن - على
دلالة زمنية ثابتة .

فتدل (فعل) على الماضى و (يفعل) على الحاضر ، يستثنى من

(٧٦) فى النحو العربى فقد وتوجيه : ١٥٥ .

(٧٧) معاصرات فى قلة اللغة / مخطوطة : ٣٤ .

(٧٨) ينظر فى النحو العربى فقد وتوجيه : ٢٩٦ .

ذلك المضارع المنفى بغير « ما » ، والمضارع بعد أداة الاستفهام « هل » (٧٩)

وتفرغ الصيغة من الزمن :

إذا وقعت في السياقين : الانشائي - عدا الاستفهام والشرطي -
فتنتج إلى التعبير عن دلالات أخرى ، لكن لا يمتنع أن يقع حدث هاتين
الصيغتين في زمن - إذا أريد ذلك - بقرائن لفظية ومعنوية .

كما يمكن في ضوء نتائج هذا الفصل أن تحدد تسمية المصطلحات
الفعلية ، بوصف الفعل حدثاً مفرغاً من الزمن يمكن أن يلحق به الزمن في
مواضع معينة من السياق ، ولقد ارتبطت فكرة المصطلح الفعلي بفكرة الزمن
ارتباطاً وثيقاً أيضاً ، فأصبحت صيغة الماضي تعني الزمن الماضي وصيغة
المضارع تعني الزمن الحاضر وصيغة الأمر تعني المستقبل .

وقد كانت تسمية « المضارع » قد صدرت عن منهج العمل النحوي
للمشابهة في العمل بين المضارع و (اسم الفاعل) ، وهي فكرة لا يمكن
تقبلها لأن المادتين مختلفتان من حيث القسم الصرفي .

غير أنه صار لهذه التسمية - التي تعلل قضية لغوية خطأ - نصيب
من القاندة ، فقد جردت المصطلح الفعلي من الإشارة إلى زمن ، وأخذ
مصطلح « المضارع » بشيوع استعماله ، يتجرد من دلالاته المعجمية التي
تشير إلى علة دلالاته الاصطلاحية ، مشيراً إلى صيغة (يفعل) حسب .
وكذلك يمكن القول نفسه في مصطلح (الأمر) أو « الطلب » فيما
معنى حدث الصيغة وليس معنى زمنها .

والأمر ينطبق على مصطلح « المصدر » فهذه التسمية تذكرنا بذلك
الجدل بين الفريقين النحويين : البصري والكوفي ، ذلك الجدل الذي يمس
باباً واسعاً في البحث النحوي القديم وهو باب « التأصيل » .

فالبصريون يرون أنه سمي مصدراً لصدور الفعل عنه والكوفيون
سمي مصدراً لأنه مصدر عن الفعل (٨٠) غير أنه مع تقدم استعمال
المصطلح أبعد النظر إليه من زاوية الأصل والفرع وهي زاوية أغفلها
البحث اللغوي لتحلقها بأمور خارج منهجه . وصار المصدر يدل على قسم
من أقسام الكلام ، مستقل بدلالته . فإذا واصلنا البحث في هذا الجانب
والقينا نظرة على المصطلح الذي يشير إلى صيغة (فاعل) وجدنا تسميته

(٧٩) سنعرض لذلك بالتفصيل في الفصلين الأخيرين من هذه الرسالة .

(٨٠) الاتصال : ١ : ٢٣٦ .

يعكس خلاقات نحوية - ان سيبريه ونابعيه من النحاة يجعلون صيغة (فاعل) اسما ويسمونه : « اسم الفاعل » (٨١) ، في حين عدهم الكوفيون فعلا وسموها : « الفعل الدائم » (٨٢) وقد وجدت هذه التسميات طريقها الى المباحث اللغوية المعاصرة (٨٣) وظهرت تسميات مثل : « بناء فاعل » (٨٤) .

وجعل الدكتور تمام حسان صيغة « فاعل » قسما قائما برأسه في الصرف هو قسم « الصفة » وضم اليها صيغة المبالغة وصيغة مفعول والصفة المشبهة ، وسمها : « صفة فاعل » (٨٥) . وهي التسمية التي نجدها صحيحة لانطباق الجانبين الشكلي والدلالي عليها .

ان أهم معضلة تواجه الباحث في استقرار المصطلحات الزمنية تكمن في مصطلح « الماضي » ، فهذا المصطلح لا يكتفى بتحديد دلالاته الزمنية ، بل يعكس تلك الدلالة بالمقارنة على مصطلحي المضارع والأمر . فكان :

الماضي - المضارع - الأمر = الماضي - الحاضر - المستقبل ولكي نحل هذه المعضلة نحتاج الى نظر سريع في طبيعة المصطلحات هذه .
وسنجد ذات طبيعتين : الأولى شكلية ، كما نقول بناء (فعل) ، (يفعل) (افعل) ، (فاعل) ، (مفعول) ، (افعل) .. الخ .

الثانية دلالية : كالماضي والمضارع والأمر والمصدر وصفة فاعل أو اسم الفاعل .. الخ .

وقد اعتمد البحث النحوي القديم كلتا التسميتين . ويظهر ذلك جليا في الكتاب . (٨٦) وفي أغلب مباحث النحاة أطلق تسمية « الماضي » على الصيغة وليس على الزمن ، ولهذا جمعوا بين الماضي والمستقبل . الماضي صيغة والمستقبل زمن لهذه الصيغة . كقولهم : « ومع الماضي لفظا ومعنى » (٨٧) يريدون بالماضي معنى دلالاته الزمنية ، وبالماضي لفظا شكل صيغته أي : (فعل) .

(٨١) ينظر الكتاب : ٤ : ٣٤٨ . وشرح الكافية : ٢ : ١٩٨ .

(٨٢) ينظر الدرر النحوي في بغداد : ٣٣ .

(٨٣) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٠٨ .

(٨٤) الفعل زمانه وأبنيته : ٣٤ .

(٨٥) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٨ و ٩٩ .

(٨٦) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٥ و ٣ : ٢٣ .

(٨٧) التوطئة : ١٤٨ .

أما المعاصرون فنلاحظ على مباحثهم نوعاً من الاضطراب في اعتماد المصطلح في هذا الباب . ومرد هذا الاضطراب راجع الى محاولتهم دفع المصطلحات التي تحمل سمات خاطئة خارجاً ، من غير أن يحاولوا الاستقرار عند قسم منها . وسنعرض لجانب من هذا الاضطراب في مؤلفين لغويين معاصرين ، هما مؤلف الدكتور مهدي المخزومي ومؤلف الدكتور ابراهيم السامرائي اعتمد الدكتور ابراهيم السامرائي التسمية الشكلية للصيغ في مؤلفه « الفعل زمانه وأبنيته » غير أنه لم يستطع التخلص من التسميات الدلالية ، كما يبينه توزيع مصطلحاته في جدول الزمنى :

(فعل)

بناء يفعل أو المضارع .

بناء فاعل ومفعول والمصدر .

فعل الأمر (٨٨)

وفي مباحثه التطبيقية عاد فاعتمد مصطلح الماضي القريب (٨٩) .

أما المصطلح عند الدكتور مهدي المخزومي فمصطلح متداخل ، ينقصه التحديد . ان الدكتور مهدي المخزومي خلع على أقسام جدول (الزمنى) (٩٠)

تسميات زمنية هي « الماضي » ، « الحاضر » ، غير أنه ألحق بها تسمية « الدائم » وهي تسمية غير زمنية ، لأن قسماً من صيغ الدائم ينبغي أن تكون في الماضي كما أن جزءاً من فروع جدول الماضي ينبغي - في ضوء الزمن ، أن تنتقل الى الحاضر ، وجزء من فروع جدول الحاضر ينبغي أن تنتقل الى الماضي . الخ .

كما أن المدقق في جدول الدكتور المخزومي ينتهي الى أنه جدول صيغ ، وليس جدول صيغ زمنية فهو ينطوي على صيغ لا دلالة فيها على زمن البتة ، واشتملت عليها الفروع الثلاثة الماضي ، الحاضر ، الدائم .

ويجند الباحث أن اعتماد التسمية الدلالية هي التي تحل قضية تماثل المصطلحات وعدم استقرار دلالاتها الاصطلاحية ، مقترحاً تغيير مصطلح « الماضي » الى « التام » الذي قال به المستشرق الألماني (كراوس)

(٨٨) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : من : ٢٨ حتى ٤٨ .

(٨٩) ينظر المصدر السابق : ٢٧ .

(٩٠) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٥ الى ١٥٨ .

كما مر بنا (٩١) بأن ذلك في ضوء نتائج البحث السابق وفي ضوء نتائج الفصل الثاني من هذه الرسالة الذي عنوانه : « إمكانات الصيغة » التي هي في جوهرها أن للصيغة معاني أحدها : الزمن . وبهذا سنستقر عند مصطلحات ، « التام » ، « المضارع » ، « الأمر » ، « المصدر » ، « صفة فاعل » . . . الخ

أما اعتماد التسميات الدلالية للمصطلح ، دون التسميات الشكلية له فمرددها إلى أمور ثلاثة :

الأول : رواجها في الاستعمال .

الثاني : حايا لمعضلة الزمنية واللازمية في الصيغة .

الثالث : اشتغالها على تفريمات الصيغة . فقولنا : « التام » مثلا ، يشمل « فَعِلَ » و « فَعِيلَ » و « استَفْعِلَ » . . الخ

فاذا عرضنا قوله تعالى :

« إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس » (٩٢) يكون الفعل « رأى » في « رأيت » :

• صيغة فعل ماضٍ .

• صيغة فعل ماضٍ معناه المستقبل .

• صيغة فعل ماضٍ خالٍ من الزمن .

وهذه المزاوجة بين النقااض : ماضٍ ومستقبل وخلو من الزمن ، محيرة ، وتؤدي إلى معضلات في مجال التعليم خاصة .

فاذا قلنا :

« رأيت : فعل تام معطوف على فعل الشرط التام »

أمكننا الوصول إلى تطابق بين الشكل والدلالة .

(٩١) ينظر / ص ٤٦ من الفصل الثاني من هذه الرسالة (إمكانات الصيغة)

(٩٢) النصر : ١ - ٢ .

الزمن والاعراب

لم تظهر في مباحث النحاة العرب القدماء الا اشارات سريعة تربط بين الزمن وظاهرة الاعراب في اللغة العربية . ويمكن أن نرجع سبب تفادى النحاة الجمع بين الزمن والاعراب الى أن الزمن مظهر فعلي ، والاعراب مظهر اسمي . والزمن : علامة من علامات العامل .

- والاعراب : علامة من علامات المفعول .
- ومن هنا كانا كقطبين متناظرين في المنهج النحوي .
- لقد شطر النحاة بنية العربية ، وفق المعيار الاعرابي . شطرين :
المعرب : وجعلوا فيه الأسماء .
- المبني : وجعلوا فيه الأفعال والحروف .
- غير أن أهم ما واجههم في هذا التقسيم هو اعراب انفعال المضارع ،
أو اعراب المعرب .

اعراب الفعل المضارع :

وقف النحاة أمام ظاهرة اعراب الفعل المضارع ، وحاولوا أن يلتمسوا لها تفسيراً لا يخرجها عن إطار المنهج .
لقد صرح بأن « حق الاعراب للاسم في أصله » (١) لأن « الأسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة هذه المعاني بل كانت مشتركة، جعلت حركات الاعراب تنبئ عن المعاني » (٢) . أما (الفعل فقسده تطفل بسبب المضارعة » (٣) وكان علة بناء (الفعل) عدم اعتوار المعاني عليه : حيث يتخذ ركناً ثابتاً في الجملة وهذا الركن هو المسند (٤) . فإذا شابه الاسم أي جرت عليه المعاني أعرب لأن أهم علامات المشابهة الاعراب أما علة

(١) الفصل : ١٦ .

(٢) الأسماء والنظائر : ١ : ٧٨ .

(٣) الفصل : ١٦ .

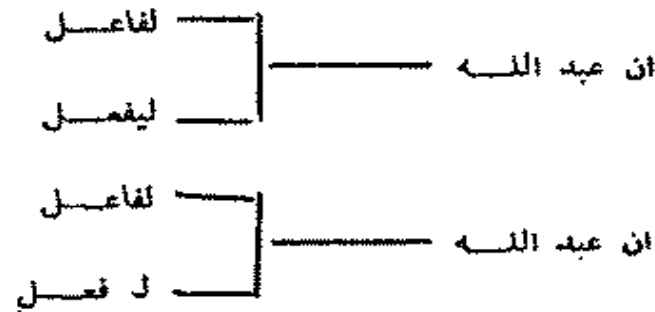
(٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٧ و ١٠٨ .

الاعراب فمرجعها العامل يقول سيبويه : « فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الاعراب ، وحروف الاعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين » (٥) .

ونلاحظ أن سيبويه جعل المضارعة بين الفعل المضارع والاسم مطلقا ، ويتضح ذلك في أمثله ، على الرغم من أنه لم يصرح إلا بمضارعة بين الفعل واسم الفاعل وهو يستند إلى طريقة (الاستبدال) لبيان تلك المضارعة ، وتميز هذه الطريقة ، منهج التوزيع اللغوي الذي اتخذته مدرسة (بلومفيلد) منهجا في التحليل (٦) .

يجري « سيبويه » استبدالين على اسم الفاعل في الجملة .

- ١ - الاستبدال الأول بالفعل المضارع والتاني بالفعل الماضي .
- من حيث قبولهما للضميمة التي يقبلها اسم الفاعل :



فالتوافق يتم بين المضارع واسم الفاعل ولا يتم بينه وبينه وبين الماضي وعبارته : « تقول » ان عبد الله ليفعل « فيوافق قولك » لفاعل « . . وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم ولا تلحق (فعل) اللام » (٧) .

- ٢ - التوافق بين المضارع واسم الفاعل من حيث قبول كل منهما الوقوع في (جدول الصاق) (٨) سوابق Prefixe خاصة بهما :

ال — الاسم

س — المضارع

وعبارته : « وتقول سيفعل ذلك ، وسوف يفعل ذلك فتلحقها هذين الحرفين لمعنى كما تلحق الألف واللام الأسماء للمعرفة » (٩) .

(٥) الكتاب : ١ : ٢١ .

(٦) نظرية النحو العربي في ضوء نتائج النظر اللغوي الحديث : ٣٢ .

(٧) الكتاب : ١ : ١٤ .

(٨) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٢ .

(٩) الكتاب : ١ : ١٤ .

ان المشابهة التي استندت الى حمل الفعل على الاسم باعتبار الفعل معمولاً ، تستند في موضع آخر عند سيبويه الى حمل الاسم على الفعل باعتبار الاسم عاملاً . يقول : « فهذا اي صيغة (فاعل) جرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى مونا » (١٠) .

وعلى الرغم من أن فكرة العمل النحوي تسيطر على نظر سيبويه في تحليل الأبنية والتراكيب اللغوية ، أو تركيبها فإنه لم يمس في تأكيد التطابق بين الفعل المضارع وصيغة « فاعل » ، بل نراه يعود الى منهجه التوزيعي ليجري استبدالاً آخر يقصد ، فيه هذه المرة ، الى التفريق بينهما .

يقول : « ويبين لك انها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الاسماء لم يجز ذلك . الا ترى أنك لو قلت « ان يضرب يأتينا » وأشياء هذا لم يكن كلاماً » (١١) .

وكأنه نيه الى أن المضارعة قاصرة على وقوع المضارع وصيغة (فاعل) في بعض خانات الجدول التوزيعي . أما الفعل المضارع واسم الفاعل فمادتان لغويتان مختلفتان . وسنرى في موضع قابل من هذا المبحث أن البلاغيين يلجئون الى معيار المعنى للتفريق بين مادتي المضارع واسم الفاعل .

وقد توسع النحاة ، بعد سيبويه ، في تحديد مفهوم المضارعة وتفسير جوانبه . لقد صرحوا بما كان سيبويه قد ألمح اليه من أن المشابهة بين الفعل المضارع و « مطلق الاسم لا خصوص اسم الفاعل » (١٢) ولجئوا الى الاستبدال بالاعراب لتفسير اعراب المضارع . فقد عرف ابن مالك المشابهة في « التسهيل » بجواز شبه ما وجب له (١٣) وشرح الأسموني ذلك بـ « قبوله (أي المضارع) بصيغة واحدة معاني مختلفة لولا الاعراب لالتبسست » (١٤) فكان ابن مالك جعل علة اعراب الاسم علة اعراب الفعل أي أن نظرية المعاني التي تعتور الاسم فتوجد الحركات الاعرابية تعتور الفعل المضارع فتوجد فيه الحركات أيضاً . وعلى عبارة الصبان : « يقاس المضارع على الاسم في الاعراب بجامع توارد المعاني التركيبية التي يميزها الاعراب » (١٥) .

(١٠) الكتاب : ١ : ١٦٤ .

(١١) الكتاب : ١ : ١٤ .

(١٢) حاشية الصبان : ١ : ٥٩ .

(١٣) شرح الأسموني : ١ : ٢٣ .

(١٤) شرح الأسموني : ١ : ٢٣ .

(١٥) حاشية الصبان : ١ : ٦٠ .

وقد مال النحاة الى تقديم أمثلة نزره للتدليل على تفسير ظاهرة الاعراب في اللغة عامة أو اعراب المضارع خاصة بحيث تبدو القرينة الاعرابية القرينة الوحيدة التي تحدد معاني التركيب . وهذا هو جوهر البحث النحوي ومن ذلك :

١ - « كون الاعراب واجبا للاسم : نحو

ما أحسن	زيد	فاعل
ما أحسن	زيده	مفعول
ما أحسن	زيد (١٦)؟	مضاف اليه

٢ - كون الاعراب جائزا للفعل :

أي معاني الاعراب الواردة عليه :

لا تأكل السمك وتشرب اللبن — النهى عن كل من الفعلين

لا تأكل السمك وتشرب اللبن — النهى عن الأول وإباحة الثاني

لا تأكل السمك وتشرب اللبن — النهى عن المصاحبة (١٧)

وقد جعل النحاة ، كما لاحظنا ، علة اعراب الاسم واجبة وعلة اعراب الفعل جائزة . أي أن معاني الاسم الاعرابية « مقصورة عليه لا تنمى الى غيره » (١٨) ومعاني المضارع الاعرابية « غير مقصورة عليه ، بل تستفاد بوضع اسم مكانه » (١٩) .

وهذه هي دورة الاعراب : يعرب الاسم لأن الاعراب أصل فيه ، ويعرب المضارع ، لأنه يحل محله اسم فيعرب لأن الاعراب أصل فيه .

وقد ركز البصريون في مفهوم المضارعة على العنصر التفسيري الذي ورد عند سيبويه ، وأضافوا اليه عنصرا شكليا آخر . كما يأتي :

١ - العنصر التفسيري : « فالفعل المضارع يكون شائعا فيتخصص

كما أن الاسم يكون شائعا فيتخصص » (٢٠) .

فكان البصريين فسروا قبولهما سوابق معنى Semantic's Prefix

التي أشار اليها سيبويه ، مستنديين الى اجراء استبدال بين (آل) الاسم و (س) الفعل ، باعتبارهما مورفيين معنى واحد ، على النحو الآتي :

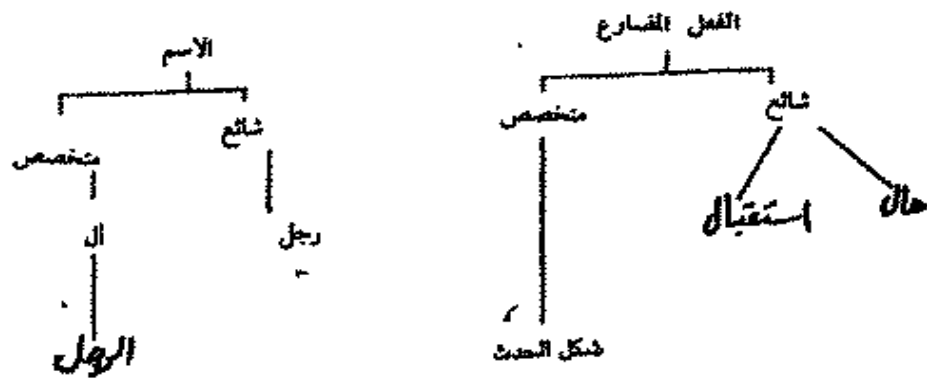
(١٦) المصدر السابق : ١ : ٦٠ .

(١٧) حاشية الصبان : ١ : ٦٠ .

(١٨) المصدر نفسه : ١ : ٦٠ .

(١٩) نفسه : ١ : ٦٠ .

(٢٠) الاضاف : ٢ : ٤٩ .



٢ - العنصر الشكلي : « فالفعل المضارع يجرى على اسم الفاعل في حركته وسكونه » ألا ترى أن قولك : « يضرب » على وزن « ضارب » في حركته وسكونه » (٢١) .

إن محاولة المطابقة بين عنصر لغوي وقسيه محاولة تضطربنا ، في كثير من الأحيان إلى نوع من التمثل والتعسف بل إن ما لاحظناه من تفسير علة اعراب المضارع يعكس خللا منهجيا ، لأنه يخضع تحليل التراكيب اللغوية إلى قرينة لفظية واحدة هي قرينة الحركة النحوية باعتبارها دالة وحيدة على المعنى اللغوي ، في حين أن العلامة الاعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى ، فلا قيمة لها بدون تضامير القرائن » (٢٢) .

وقد كان الكوفيون ، في تفسير اعراب الفعل ، أكثر اقترابا من فهم الظاهرة اللغوية ، فهم لم يأخذوا بمنطق المشاكلة بين عنصرين لغويين متقابلين في المعنى والمبنى ، بل جعلوا علة اعراب الأفعال المضارعة « لأنه دخلها المعاني المختلفة والأوقات الطويلة » (٢٣) .

وحاول الكوفيون أن يربطوا بين التغيرات الحركية النحوية التي تطرأ على آخر صيغة المضارع ، والمعاني التي تتعاقب على تلك الصيغة وزمنها . ومهما يمكن تفسير صاحب الانصاف من أن معنى الأوقات الطويلة التي دخلت المضارع أن الزمن المستقبل « أطول من الماضي » (٢٤) فإنه يعد أول ملحظ يربط ، بطريق ما ، بين الاعراب والزمن .

(٢١) الانصاف : ٢ : ٥٥٠

(٢٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٧ .

(٢٣) الانصاف : ٢ : ٥٤٩ .

(٢٤) المصدر السابق : ٢ : ٥٥٠ .

حركة المضارع والزمن :

كان سيبيويه قد فسر رفع المضارع بـ « كينونته في موضع الاسم » (٢٥) . ولما كان الاسم يرتفع بحسب موضعه في التركيب ، ولما كان المضارع يشابه الاسم ارتفع هو أيضا في مواضع : وزعها سيبيويه كما يأتي :

- ١ - في موضع اسم مبتدأ — يقول زيد ذاك .
- ٢ - اسم بنى على مبتدأ — زيد يقول ذاك .
- ٣ - اسم مرفوع غير مبتدأ ولا مبنى على مبتدأ — هذا رجل يقول ذاك .

٤ - اسم مجرور — هذا يوم آتيك .

٥ - اسم منصوب — حسبته ينطلق (٢٦) .

فاذا اعترض بـ « هلا يقول زيد ذاك » رد سيبيويه هذه الجملة الى بنيتها الاعرابية التي هي :

« يقول زيد ذاك » و « يقول » في موضع ابتداء عنده لأن « هلا لا تعمل في اسم ولا فعل فكأنك قلت (يقول زيد ذاك) » (٢٧) .

وقياسا على « هلا » يمكن تفسير تركيبات كـ « ليت زيدا يفعل » و « لعله يفعل » . ومن هنا فإن سيبيويه لا يعبا بـ مركبات زمنية تستحدث من تركيب أدوات زمن وأفعال . كـ « كان يفعل » : فهو ينظر الى هذا التركيب من خلال وجود العامل « كان » وتأثيره في الاسم ، أو تأثيره في الفعل الذي يحل محل الاسم بوصفه خبرا (٢٨) لكن الذي واجه سيبيويه هو الفعل المضارع المرفوع بعد أدوات النصب عدا « كي » و « لن » .

ان الفعل المضارع يرتفع وينتصب في تركيب واحد ، بتأثير عامل واحد ؟ كالقول :

اذن أظنه فاعلا — برقع أظن ونصبه
وحسبته شتمنى فائب عليه

(٢٥) الكتاب : ٣ : ٩ و ١٠ .

(٢٦) الكتاب : ٣ : ١٠ .

(٢٧) الكتاب : ٣ : ١٠ .

(٢٨) ينظر الكتاب : ٣ : ١١ و ١٢ .

وقوله تعالى « أفلا يرون ألا يرجع » (٢٩).

ومن هنا فإن كينونة الأفعال المضارعة في موضع الأسماء ترفعها ، كما يرفع الاسم كينونته مبتدأ (٣٠) تضطرب إلى حد كبير . وقد قدم سيبويه تفسيريْن لرفع المضارع ونصبه في تركيب واحد .

الأول ذو ملحظ زمني : يقول : وتقول إذا حدثت بالحديث : « اذن أظنه فاعلا » و « اذن أخالك كاذبا » ، وذلك لأنك تخبر أنك تلك الساعة في حال ظن وخيلة .

... ولو قلت : « اذن أظنك » تريد أن تخبره أن ظنك سيقع لتصبب ، وكذلك « اذن يضربك » إذا أخبرت أنه في حال ضرب لم ينقطع » (٣١) .

ويبدو أن سيبويه يربط بين حركة الأعراب في الفعل وزمن هذا الفعل فالضمة هنا علامة على أن زمن الصيغة هو الحاضر ، والفتحة علامة على أن زمنها هو المستقبل .

لكن تحليل سيبويه هذا لا يعد خروجاً على ربط وجود الحركة بوجود العامل ، ولا يجعل لها سمة دلالية خارج إطار هذا الفهم ، فقد انتهى إلى أن الضمة أنها لحقت هذه الأفعال لأنها « خرجت من باب أن وكى لأن الفعل بعدها غير واقع » (٣٢) .

فكان سيبويه يعتمد إلى نوع من القياس على أدوات تنصب ويكون الفعل بعدها غير واقع ، فإذا كان الفعل واقعاً فإنه مشير إلى أن هذه الأدوات ملغاة فيرفع الفعل حينذاك .

إن زاوية العمل هي الزاوية الرئيسية التي ينظر منها سيبويه إلى هذا التركيب .

الثاني ذو ملحظ دلالي : وهو ارتفاع المضارع وانتصابه في تركيب واحد بتأثير عامل واحد . فالمضارع يرتفع إذا كان تحققه في المستقبل على وجه مقطوع به : وكأنه يتحقق الآن ففي قوله تعالى :

« علم أن سيكون منكم مرضى » (٣٣) .

(٢٩) طه : ٨٩ .

(٣٠) ينظر الكتاب : ٣ : ١٠ .

(٣١) الكتاب : ٣ : ١٦ .

(٣٢) الكتاب : ٣ : ١٦ .

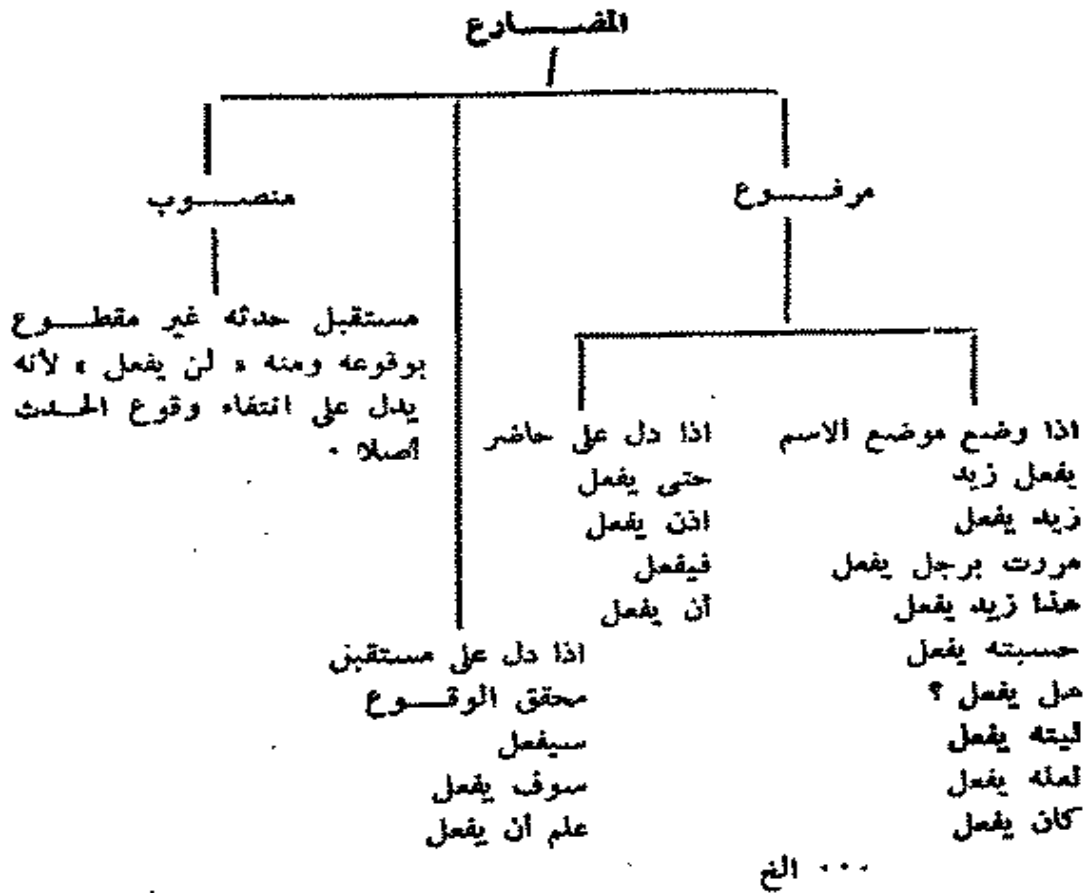
(٣٣) الزمل : ٢٠ .

قال : « لأن ذا موضع يفين وإيجاب » (٣٤) .

فكان القطع بتحقيق الحدث في المستقبل وعدم القطع بتحقيق الحدث في المستقبل هو مدار حركة الفعل فتقول : « ما علمت إلا أن تقوم » إذا لم ترد أن تخبر أنك علمت شيئاً كأننا البتة ولكنك تكلمت له على وجه الإشارة كما تقول : أرى من الرأي أن تقوم ، فأنت لا تخبر أن قياماً قد ثبت كأننا أو يكون فيما يستقبل » (٣٥) .

وهذا هو مدار الفرق بين « أن » الناصبة و « أن » المخففة في البحث النحوي . « الناصبة تدخل على ما ليس بمسنفر والمخففة تقتضي تأكيد الشيء وثبوته واستقراره » (٣٦) .

ويمكن أن نضع المخطط الآتي لتحليلات سيبويه في هذا الباب :



(٣٤) الكتاب : ٣ : ١٦ .

(٣٥) الكتاب : ٣ : ١٦٨ .

(٣٦) حاشية البيان : ٣ : ٢٨٣ .

أما الكوفيون فقد صدروا في تفسير تعاقب حركتي الرفع والنصب على آخر المضارع ، عن ملحظهم في إبعاد المضارعة بين الفعل المضارع والاسم : فقد فسروا رفع المضارع بعامل عديم ، فذهبوا إلى أنه رفع « لتعريه عن العوامل الناصبة والجازمة » (٣٧) .

أما الكسائي فقد ذهب إلى أنه « يرتفع بالزائد في أوله » (٣٨) فكان الكوفيون والكسائي ربطا بين العامل والحركة مطلقا ، الكوفيون بعامل عديم والكسائي بعامل من بنية الفعل مغفلين تغيرات الحركة وما يطرأ على التراكيب من تغيرات في الدلالة والزمن .

أما جزم المضارع فلم يعقد سيبويه بين حركته (السكون) والزمن . فلم تنطو علامة السكون على إمكانات زمنية ، ولم تنثر أمامه ما أثارته حركتا الرفع والنصب من دلالات مختلفة . ولهذا اكتفى بجعل علة جزم المضارع الواحد أو المضارعين في الشرط بتأثير العوامل (٣٩) وانصبت المباحث بعد سيبويه على تعليل ظاهرة الجزم في المضارع (٤٠) ، وربطت بعض المباحث بين حالة سكون الفعل المضارع وأصله في « ظاهرة الاعراب » أي بنائه ، فرأت « أن سكون الفعلين سكون بناء لا اعراب » (٤١) .

أما المباحث المعاصرة فقد تابع أغلبها المباحث القديمة ، وصدر رأى عن الدكتور صفاء خلوصي يربط فيه بين حركة الاعراب في مضارع الشرط ، وحالة أسلوب الشرط ذاته .

افترض الدكتور صفاء خلوصي « أن حالة الشرط على درجة من الذاتية بحيث لا يسمح المجال لتشكيل أواخر الكلمات . والسكون بحكم رسمه (٥) = صفر) يشير إلى انعدام الحركة ، ولهذا تطابق مع الذاتية التي عليها حالة الشرط (٤٢) » .

وكان ينبغي للدكتور صفاء أن يعود إلى علم الأصوات ليزن الحركات . ثم إن الذاتية الشرطية ضرب من ضروب الصفة الأدبية لا اللغوية .

٢٧) الانصاف : ٢ : ٥٥١ .

٢٨) الانصاف : ٢ : ٥٥١ .

٢٩) ينظر الكتاب : ٣ : ٨ .

٤٠) داهم مظهر لهذا التعليل نجده في كتاب أسرار المربيسسة : ١٢٢ . وشرح

الكافية : ٢ : ٢٥٤ .

٤١) المرتجل : ٢٦٦ .

٤٢) مجلة الأستاذ / مقالة في النحو المنطقي : ١٣ : ٩ .

غير أن ما يهمنا في هذا المجال أن نعرض للمباحث المعاصرة التي
فسرت الحركة في المضارع تفسيراً زمنياً .

لقد ظهرت أول إشارة تربط بين الزمن والاعراب في مؤلف
بروكلمان : (فقه اللغات السامية) وقد جعل عنوان مبحثه هذا « الأزمنة
وحالات الاعراب » (٤٣) غير أنه لم يكن يعنى بالاعراب إلا الحركات في
أواخر الأفعال سواء أكانت حركات اعراب أم حركات بناء . فقد توخى
في الأساس دراسة أواخر الصيغ الفعلية أى النهايات أو الاعجاز دراسة
تاريخية وقد تعقب نهايات الصيغ في العربية والعبرية والحبشية والآرامية
الغربية والتحويلات التي تطرأ عليها ووجد أنه « في البابلية والآشورية
ينتهى الفعل بالفتحة (٥) التي ترمز غالباً إلى مواصلة سرد القصص » (٤٤)
وانتهى بحثه في نهايات الصيغ الزمنية في اللغات السامية إلى أن « هذه
النهايات قد اختلط استعمالها في وقت مبكر ، وأصبحت فيما بعد
عديمة القاعدة كلياً » (٤٥) .

وقد أشار بروكلمان في مبحثه المقتضب هذا إلى نهايات المضارع .
مربحاً أنه « وجدت في السامية الأولى ، امكانية التفرقة بالنهايات بين
بعض العلاقات الاعرابية في المضارع » (٤٦) .

وهكذا يمدنا بروكلمان بملاحظة مهمة في هذا المجال : فلما كانت
صيغة المضارع أقدم صيغة فعلية في السامية الأولى أى أنها كانت الشكل
الزمنى الوحيد ، ولما كان الاعراب ، وهو ظاهرة سامية ، قد لوحظ في
تلك الصيغة ، أمكن افتراض علاقة تاريخية بين التغيرات الاعرابية
والتغيرات الزمنية .

لكن بروكلمان من جهة ثانية لا يمدنا بما يساعدنا في ملاحظة
القاعدة التي تحكم علاقة العلامة الاعرابية بالزمن .

ومن المدهش أن نجد باحثاً عربياً معاصراً ، من غير اللغويين ،
يتصدى للعلاقة بين الزمن والاعراب وهو الأستاذ عباس محمود العقاد
إذ وجد علاقة ما بين معنى « النفى » والزمن : أو بين حركة هذا المعنى
والزمن قسم العقاد النفى في العربية من حيث معناه إلى أربعة أقسام .
على النحو الآتى :

(٤٣) فقه اللغات السامية : ١١٣ .

(٤٤) فقه اللغات السامية : ١١٥ .

(٤٥) المصدر السابق : ١١٥ .

(٤٦) المصدر نفسه : ١١٤ .

نفي الحدث	نفي الانبشاء	نفي المرتقب	نفي المنسح
لم (لم يحدث)	ما يحدث هذا (لا ينبغي أن يحدث)	لما (لما يحدث هنا) وهو يترقب أن يحدث بعد قليل أو كثير	لسن (لسن تشرق الشمس من الغرب) فهو يقرر امتناع ذلك لسبب عند المتكلم ، قاطع يمنعه

(٤٧)

ويعنى ذلك أن هناك أنواعا من النفي ، لكل نوع معناه المستقل به ، ولكل نفي زمن مستقل به ، كما أن لكل نفي حركة اعرابية مستقل بها ، وقد انتهى الأستاذ العقاد إلى أن الفعل « يتأثر بموقعه من الأداة النافية ومعناها ، فليس هو منقطعا عن العلاقة الزمنية ، بل هو متأثر بها في لفظه ومعناه » . فـ « لم يفعل » غير « لن يفعل » وغير « ما يفعل » . وهو اختلاف يدل على ارتباط العلاقة الزمنية بعلاقة الاعراب » (٤٨) غير أن الأستاذ العقاد يجد أنه يتعذر « تحليله (الزمن) من ناحية الاعراب » (٤٩) .

والفرق بين هذه النظرة ونظرة النحاة ، أن الثانية درست (الأدوات) بوصفها عوامل فجعلت لها نسقا باعتبار الحركة اعرابية فلم تدقق في حركة الزمن في هذه البنى اللغوية ، وبعبارة أخرى لم يجد النحاة ما انتهوا إليه من نتائج ، علاقة ما بين ظاهرتي الزمن والاعراب في اللغة العربية وقد آمن ذلك منطلقهم الذي أشرنا إليه في مفتتح هذا المبحث

لقد نظروا إلى :

حركات اعرابية واحدة + أزمان مختلفة

وحركات اعرابية مختلفة + أزمان واحدة

(٤٧) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية /مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤١ .

(٤٨) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤١ .

(٤٩) المصدر السابق : ١٤ : ٤١ .

كما فيما يأتى :

لا يذهب — نفى + رفع + مستقبل

ما يذهب — نفى + رفع + حاضر

لم يذهب — مجزوم — ماضى

ان يذهب — مجزوم — مستقبل

لن يذهب — منصوب — مستقبل

لا تذهب — مجزوم — مستقبل

أما العقاد فقد وضع ما يشبه المعادلة الآتية :

الجملة — المعنى — العلامة الاعرابية — الزمن ..

وفى هذه المعادلة يفترض أن أى تغيير فى أى ركن ينبغى أن يصحبه .

تغيير فى الأركان الأخرى . كما فى المخطط الآتى :

الجملة — المعنى — العلامة الاعرابية — الزمن

لم يفعل — نفى الحدث — السكون — الماضى

لما يفعل — نفى الحدث المرتقب — السكون — الماضى (المعتد

الى الحاضر) .

ما يفعل — نفى الاتباء — الرفع — الحاضر

لن يفعل — نفى المنسح — النصب — المستقبل

ولم يحاول العقاد أن يلاحظ فرضيته هذه فى بنية المضارع المنبئ ..

لكن ينبغى أن يقال انه كان يتلمس منطلقات بحث فى زمن اللغة العربية .

وهو أول باحث غير متخصص يثير مسألة العلاقة بين الزمن والاعراب .

ويطبقها على موضوع (النفى) .

وقد عرض باحثون لغويون لهذه العلاقة ، وقد أشار عدد منهم اليها .

اشارات عابرة ، فكأنه لم يجد فيها منفذا يسلكه لاكتناهاها . فصاحب

(الألسنية العربية) الدكتور ريمون طحان يرى أن « الاختلاف فى الحركة

بين صيغتي (٥٠) « لم يفعل » و « لن يفعل » لا يؤدى الى وظيفة نحوية .

بل يكشف المعنى المراد من النفى فى كلا الحالتين » (٥١) .

أما الدكتور محمد كامل حسن فقد ذهب مذهبا تحليليا ، فقرر أن

الفعل لا يتغير اذا كان ماضيا ، لأن ، الأحداث الماضية لا تتغير .

(٥٠) الاسم تركيبى .

(٥١) الألسنية العربية : ٢ : ٩ .

ويرفع اذا دل على تقرير حقيقة .

ويجزم اذا دل على حدث معلق على حدث آخر ، كما في فعل الأمر .
• وجواب الشرط •

أو لم يتم كما في المضارع المنفي بـ « لم » .
• وينصب فيما عدا ذلك (٥٢) •

وهذه المحاولة لتفسير حركتي الاعراب والبناء خضعت لتأثير فكرة تبسيط العربية المعاصرة التي دعا اليها الدكتور محمد كامل ، غير أنه في تعليقاته واستنباطه أحكاما تستند الى الملاحظة الشكلية الساذجة لم يعرّض التبسيط ولم ينج من الخطأ فاذا كان المبنى لا تتغير حركته لأن الأحداث الماضية لا تتغير ، فلم تتغير حركة الماضي في مواقع الاسناد الى الضمائر ؟ هنا ينبغي أن يؤمن اجابة تنطوي على عناصر صوتية ، وكيف تفسر - في ضوء قاعدته - بناء المضارع ؟ والاعراب في الاسماء وهي ليست أحداثا يصيبها التغيير ؟

واذا كان المضارع يرفع اذا دل على تقرير حقيقة فانه في التحضيض والعرض والتمني والترجي يكون مرفوعا داخل أساليب انشائية وهي ليست أساليب تقريرية ... الى آخر الاعتراضات التي لا يمكن معها أن تستقيم تلك المحاولة •

وقد كرر الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى الشيء ذاته ، فقد صدر عن النظر التحليلي النحوي وضم اليه شتاتا من الآراء المعاصرة محاولا الوصول الى (نظرية) في تفسير حركة الاعراب والبناء في الفعل قال :
« فاذا أطلق الفعل من القيد الذاتي بنى على أخف الحركات وهو الفتح وذلك هو الفعل الماضي •

فاذا أطلق « المضارع » من القيد الذاتي أو اللفظي عاد الى ما يتحقق من الرفع •

فاذا قيد مدلوله بالقيد اللفظي نزل من الرفع الى النصب تارة ،
والى الجزء الذي يقطع عنه حركات الاعراب تارة أخرى (٥٣) •

وهذا تلخيص لنظرية (العامل) النحوية بمصطلحات المناطق فكان (القيد) و (الذاتي) و (أطلق) و (نزل من مرتبة) ، الفاظ استهوت الدكتور الجوارى وأوهيته بعدم محاكاة القدماء •

(٥٢) ينظر اللغة العربية المعاصرة : ١٠٣ و ١٠٤ •

(٥٣) نحو الفعل : ٢٦ •

ومما صدر عنه في هذه المسألة قوله « ان الرفع مرتبة الفعل عموما لأن الفعل دائما في موقع المسند » (٥٤) . وهذا هو رأى سيبويه الذي عرضنا له (٥٥) « كينونته في موضح الاسم » (٥٦) :

لكن الفرق بين سيبويه والجواري أن الأول لم يقل بأن للفعل مرتبات في الحركة بل حاول أن يفسر ظاهرة اعراب المضارع حين يكون مرفوعا ، وهو منحى لغوي ، وليس منحى عقليا مجردا .

ان أهم محاولة وأوسعها ، بحثت علاقة الاعراب بالزمن هي محاولة الدكتور مهدى المخزومي .

أبعد الدكتور المخزومي بحث العلاقة بين علامة البناء والزمن ، ولذا نظر الى الحركة المتغيرة ودلالة هذا التغير على الزمن ، ولم ينظر الى الحركة الثابتة .

وتلك أهم مقومات النظر ، في المنهج الوصفي ، أي :

الحركة الأولى = زمن ١

والحركة الثانية = زمن ٢

والحركة الثالثة = زمن ٣

أما علامة البناء فتدرس في إطار المنهج التاريخي لظاهرة الاعراب .

وجد الدكتور المخزومي « أن حركات آخره (المضارع) تتعاقب لتعاقب الدلالات المختلفة » (٥٧) فكان الدلالة الزمنية في المضارع تطلب حركة خاصة بها ، كما أن المعنى الوظيفي للاسم (الاسناد ، الإضافة) يطلب حركة خاصة به . فصارت الحركة علامة زمن في الفعل ، بعد أن كانت علامة معنى وظيفي في الاسم . ويجري الدكتور المخزومي التوزيع الآتي :

أما أن تدل على الحاضر فيرفع

أو أن تدل على المستقبل فينصب

فإذا دلت على غير الحاضر والمستقبل لم يكن لها غير الجزم (٥٨) .

(٥٤) المصدر السابق : ٢٨ .

(٥٥) ينظر ص ١٣٦ من هذا الفصل .

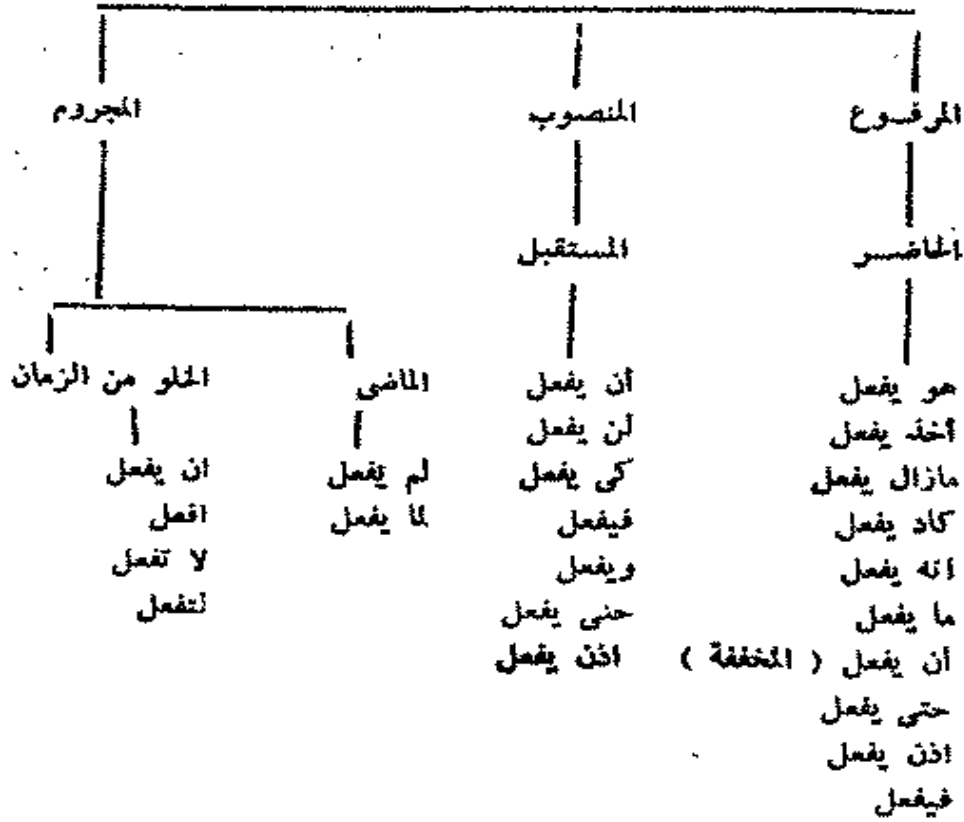
(٥٦) الكتاب : ٣ : ٩ .

(٥٧) في النحو العربي لقد وتوجيه : ٣٠٠ .

(٥٨) في النحو العربي : لقد وتوجيه : ٣٠٠ .

وأهم ما في تحليل الدكتور المخزومي أو ما أضافه أنه جعل عدم دلالة الصيغة على الزمن بإزاء دلالتها على الزمن ، فنشأ بذلك ما يمكن أن يكون نسقا system يحكم العلاقة بين الزمن والاعراب . ويمكن وضع المخطط الآتي لتوضيح رأى الدكتور المخزومي هذا :

المضمارح



غير أن جملة من الاعتراضات تواجه هذا التصور :

الأول : أن (يفعل) يرفع بعد « السين » و « سوف » وزمنه المستقبل على خلاف ما قرر الدكتور المخزومي .

الثاني : أن (يفعل) في العرض والتحضيض والترجي والتمني يرفع كـ : « ملا تفعل » و « ألا تفعل » و « ليتك تفعل » و « لعلك تفعل » والصيغة هنا واقعة في سياق الانشاء الطلبي ، أي لا ينص فيها على زمن ، فكان حقها وفق رأى الدكتور المخزومي أن تكون ساكنة .

الثالث : أن هذا النسق يفعل المركب المكون من « كاد + يفعل » :
الذى يدل على الماضي المقاربي ، وصيغة « يفعل » فيه مرفوعة ولم تدل على
الحاضر .

الرابع : أن « يفعل » يرفع بعد كان ويدل مركبهما على جهة من
جهات الماضي ، وهو الماضي المستمر . ولم يشر إلى الحاضر ، كما يفترضه
النسق السابق .

الخامس : يلغى الربط بين الزمن والاعراب وفق هذا التصور ، فروق
الجهة في الزمن ، كالفرق بين «أخذ» ، «كاد» ، «مازال» في الحاضر .
و « لم » و « لما » في الماضي ، و « السين » و « سوف » في المستقبل
مما تتوفر على دراسته في المباحث التي نعقدتها على دراسة الزمن تطبيقيا .

وإذا كان توجيه الاعتراض الأول ممكنا بالرجوع إلى تحليل
سببويه (٥٩) أي النظر إلى المستقبل « سوف » و « السين » بكونه محقق
الوقوع ، أو مقطوعا بوقوعه فكانه محقق ، كانه حاضر ، فإن الاعتراضات
الأربعة لا يمكن ردها .

وهكذا نخلص من هذا المبحث إلى أن محاولة تكوين « قاعدة » ما
للعلاقة بين الزمن والاعراب ستنتهي إلى وضع « استثناءات » غير محدودة
في جانبها .

الاعراب والزمن في صيغة (فاعل) :

جعل سببويه المشابهة بين (اسم الفاعل) و (الفعل المضارع)
من حيث المعنى والعمل . قال : « فإذا أردت فيه (اسم الفاعل) ما أردت
من (يفعل) كان نكرة منونا : فإذا حدثت عن فعل في حين وقوعه غير
متقطع كان كذلك وتقول : « هذا ضارب عبد الله الساعة » ، فمعناه وعمله
مثل : « هذا يضرب زيدا الساعة » (٦٠) فالمعنى هو زمن المضارع : الحال
والاستقبال . والعمل هو أحداث النصب في المفعول .

أي أن (اسم) الفاعل يعمل كـ (الفعل) المضارع إذا :

١ - كان نكرة .

٢ - كان منونا أي نكرة مقطوعة من الإضافة .

(٥٩) ينظر : ص ١٢٧ من هذا الفصل .

(٦٠) الكتاب : ١ : ٦٦ .

٣ ... فإذا عمل اكتسب الزمن الصرفى لصيغة المضارع وهو اما الحاضر واما المستقبل .

ان الشرطين الأول والثاني يبعدانه عن الاسمية ويصنفانه فى الفعلية مطلقاً . أما النقطة الثالثة فتقربه من المضارع دون فعلى الماضى والأمر .
و (العمل) عند سيبويه الملاحظ الرئيس فى هذه المطابقة ،
والتركيبات التى ينشئها تستند إليه .

والمج سيبويه الى ذلك بقوله : « لانه انما شبهه بمضارعه من الفعل » (٦١) أى المضارع ، حيث تتخذ هذه المضارعة سمات صرفية (زمن المضارع) وسمات نحوية (عمل الفعل) وأبعد ، من ثم ، المضارعة بين اسم الفاعل والفعل الماضى وعبارته : « فلما أراد سوى ذلك المعنى (أى معنى الحاضر والمستقبل) جرى مجرى الأسماء التى من غير ذلك الفعل » (٦٢) وذلك فى قوله : « هذا ضارب عبد الله وأخيه » وجه الكلام وحده الجر : لانه ليس موضعاً للتثنية . وكذلك قوله : « هذا قاتل عمرو أمس وعبد الله ... » (٦٣) .

فكان سيبويه دفع ما سماه (اسم الفاعل) نحو الاسمية بعد أن جعله معرفة بالاضافة ومن ثم لم تعد له صفة (الفعل) . وقد لفق تركيبات يعرض فيها لوجوه الاعراب قال : « ولو قلت هذا ضارب عبد الله (باضافة ضارب) وزيدا » جاز على اضممار فعل أى « وضرب زيدا » لأن معنى الحديث فى قولك : « هذا ضارب زيد » : « هذا ضرب زيدا » وان كان لا يعمل عمله » (٦٤) .

والواضح أن (الزمن) ملحوظ ثانوى نتج عن العمل عرضاً . ويعنى ذلك أن الفعلية والاسمية تتنازع بنية (فاعل) : ففى بنيتها حدث واصف واسم موصوف . وهى : أى صيغة (فاعل) ، فى الاستعمال تنزع اما نحو الفعل واما نحو الاسم فاذا تكررت ونونت أو اقترنت بـ (آل) الموصولة نزعت نحو الفعل فعملت ، فاذا لم توصل بشئ أو أضيفت نزعت نحو الاسم ، أى تحولت الى (وصف) اسمى فقط .

غير أن النحاة لم يجيبوا ، وفق تسلسل المضارعة عن السؤال الآتى :

(٦١) الكتاب : ١ : ١٧١ .

(٦٢) المصدر السابق : ١ : ١٧١ .

(٦٣) المصدر نفسه : ١ : ١٧١ .

(٦٤) نفسه : ١٧١ ، ١٧٢ .

ما الذى يجعل (الاسم) يدل على الزمن الماضى ؟ أو بعبارة أخرى ، اذا تحول (اسم) الفاعل عن الفعلية فلم يدل على ماضى ؟ ويبدو أن النجاة أرادوا التفريق بين (اسم الفاعل) المضاف - وإضافته من قبيل الإضافة اللفظية - و (اسم) الفاعل المقطوع عن الإضافة ، أى المتون - فكان بناء (فاعل) يحتفظ بسمته الفعلية ، أضيف ، أم لم يضيف ، تون أم اقترن ب (ال) .

وعلى أية حال فإن التحليل كان يهدف ، فى الأساس ، الى التفريق بين صيغة تعمل وصيغة لا تعمل .

وأما الزمن فلم يكن الا ملحظا ثانويا . وهذا هو الذى يفسر عمل بناء (فاعل) اذا « ولى ما يقربه من الفعلية بأن ولى استفهاما به نحو : « أضراب زيد عمرا » (٦٥) . أو « وقع صلة للألف واللام عمل ماضيا ومستقبلا وحالا » (٦٦) . فلم تحل الألف واللام بينه وبين الفعلية ، ولم يعد شرط الزمن قائما . كما أن ذلك هو الذى يفسر أن بعض النجاة تغل عن شرط الزمن حين رأى أسماء فاعلين تكرات متونات ، تعمل مع دلالتها على الزمن الماضى كما ستعرض لذلك فى موضوع آخر من هذا المبحث . وقد قفزت صيغة « فاعل » فى الحقل الصرفى عند الكوفيين لتكون ، باعتبار الزمن ، قسيم الماضى والمستقبل « المضارع » . وأطلق عليها الدائم (٦٧) .

وقد نحا الدكتور المخزومي منحى الكوفيين فجعل جدول الزمنى ذا شعب ثلاث : « الماضى ، الحاضر ، الدائم » (٦٨) ويعنى ذلك أن المنهج النحوى الذى استند فى اختبار التراكيب اللفوية الى المعيار الاعرابى أنتج صيغتين زمنيتين هما : (فاعل) متونة تشير الى الحاضر والمستقبل ، و (فاعل) ، بلا تنوين ، تشير الى الماضى .

ولنا بعد كل ما تقدم أن نعرض على دلالة صيغة « فاعل » بذاتها على الزمن بما يأتى :

ان التدليل على أن صيغة (فاعل) متونة تشير الى الزمن اتخذ سبيلين :

الأول : الحمل على المضارع .

- (٦٥) شرح الأشموني : ٢ : ٣٣٩ .
- (٦٦) شرح ابن عقيل : ٢ : ٨٩ .
- (٦٧) ينظر الدرس النحوى فى بغداد : ٣٣ .
- (٦٨) فى النحر العربى لقد وتوجيه : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ .

الثاني : ملاحظة وجوه الاستعمال .

أما الحمل فهو مردود هنا ، لأنه يطابق بين مادتين لغويتين مختلفتين ،
ونذكر بأن سيبويه الذي استعمل مصطلح المضارعة نبه الى هذا
الاختلاف (٦٩) .

وفي ملاحظة وجوه الاستعمال اضرب البحث النحوى . فقد عرض
سيبويه للآيات :

١ - « كل نفس ذائقة الموت » (٧٠)

٢ - « انا مرسلو الناقة » (٧١)

٣ - « ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم » (٧٢)

٤ - « غير محلى الصيد » (٧٣)

فحمل معناها الزمنى على معنى الآية : « ولا آمين البيت الحرام » (٧٤) ،

وجعل حذف التنوين من أسماء الفاعلين فى الآيات من (١ الى ٤)
على الاستخفاف (٧٥) .

فكان سطوح الآيات تشير الى بنائها العميقة على النحو الآتى :

١ - كل نفس ذائقة الموت .

٢ - انا مرسلو الناقة

سنرسل الناقة

ستذوق الموت

٣ - ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم

سينكسون رؤوسهم

٤ - غير محلى الصيد

محلى الصيد

وهذا هو معنى قوله : « وليس يغير كلف التنوين اذا حذفته ،

مستخفا ، شيئا من المعنى ولا يجعله معرفة » (٧٦) .

(٦٩) ينظر الكتاب : ١ : ١٤ .

(٧٠) آل عمران : ١٨٥ .

(٧١) القمر : ٢٧ .

(٧٢) السجدة : ١٢ .

(٧٣) المائدة : ١ .

(٧٤) المائدة : ٢ .

(٧٥) ينظر الكتاب : ١ : ١٦٦ .

(٧٦) الكتاب : ١ : ١٦٦ .

وقد انعقد الباب السابع من (اعراب القرآن) المنسوب للزجاج،
على أسماء الفاعلين مضافة الى ما بعدها بمعنى الحال والاستقبال .

وقد اشتملت عليها الآيات الآتية :

- ١ - « مالك يوم الدين » (٧٧)
- ٢ - « هديا بالغ الكعبة » (٧٨)
- ٣ - « ثاني عطفه » (٧٩)
- ٤ - « ولا الليل سابق النهار » (٨٠)
- ٥ - « انكم لذائقو العذاب الاليم » (٨١)
- ٦ - « هل هن كاشفات ضره » (٨٢)
- ٧ - « هل هن ممسكات رحمته » (٨٣)
- ٨ - « فلما رأوه عارضا مستقبل او ديتهم » (٨٤)
- ٩ - « منلر من يخشاها » (٨٥)

ويقرر الزجاج أن « هذه (أسماء الفاعلين) اذا أضيفت خالفت
إضافتها اضافة الماضي » (٨٦) .

وقد عرض ، أيضا ، لأسماء الفاعلين المضافة الى مضمرة وهي تعنى
الحال والاستقبال . وذلك فى :

- ١٠ - « عارض ممطرنا » (٨٧)
- ١١ - « انكم ملاقوه » (٨٨)
- ١٢ - « هم بالقوه » (٨٩)

(٧٧) الفاتحة : ٤ .

(٧٨) المائدة : ٩٥ .

(٧٩) الحج : ٦ .

(٨٠) يس : ٤٠ .

(٨١) الصافات : ٣٨ .

(٨٢) الزمر : ٣٨ .

(٨٣) الزمر : ٣٨ .

(٨٤) الأحقاف : ٢٤ .

(٨٥) النازعات : ٤٥ .

(٨٦) اعراب القرآن : ١ : ١٦٣ .

(٨٧) الأحقاف : ٢٤ .

(٨٨) البقرة : ٢٢٣ .

(٨٩) الأعراف : ١٣٥ .

١٣ - « هم ناسكوه » (٩٠)

١٤ - « لم تكونوا بالفيه » (٩١)

١٥ - « ما هم ببالفيه » (٩٢)

١٦ - « انا منجوك وأهلك » (٩٣)

• قالها والكاف عنده سيبويه في موضع الجر بالاضافة لكف النون،
وعنده الأخفش في موضع النصب بدليل قوله تعالى « وأهلك » (٩٤)
وسيبويه يحمل قوله « وأهلك » على اضممار فعل « (٩٥) » .

ولم يحتكم الزجاج الى الزمن لتقرير أن أسماء الفاعلين هنا ليست
مضافة وإنما منونة ، بل احتكم الى العلاقة بين أجزاء التركيب النحوي
لتقرير ذلك .

ففي قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » رأى « أن » ذائقة ، ليست
مضافة الى « الموت لأنها اذا أضيفت عرفت ، فإذا عرفت « لم تجر خبرا
على « كل » لأنه لا يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة » (٩٦) وهذا حق .
غير أن « المعرفة » هنا مفترضة لأن اضافة اسم الفاعل من « باب الاضافة
غير المحضة (التي) لا تفيد الاسم تخصيصا ولا تعريفا » (٩٧) .

والزمخشري يذهب الى أن اضافة (مهلكو) في قوله تعالى : « انا
مهلكو أهل هذه القرية » (٩٨) : « اضافة تخفيف لا تعريف » (٩٩) أما
دلالة الآية « كل نفس ذائقة الموت » (١٠٠) فتشير الى حقيقة من حقائق
الوجود ، أكثر مما تشير الى أمر يحدث في زمن ، أي زمن . كما أن قوله
تعالى : « غير محلي الصيد » (١٠١) جاء في سياق « عقود الله التي عقدها

(٩٠) الحج : ٦٧ .

(٩١) النحل : ٧ .

(٩٢) غافر : ٥٦ .

(٩٣) العنكبوت : ٣٣ .

(٩٤) العنكبوت : ٣٣ .

(٩٥) اعراب القرآن للنسوب للزجاج : ١ : ١٦٢ .

(٩٦) اعراب القرآن للنسوب للزجاج : ١٦٠ .

(٩٧) شرح ابن عقيل : ٢ : ٣٦ .

(٩٨) العنكبوت : ٣١ .

(٩٩) الكشف : ٣ : ٢٠٥ .

(١٠٠) آل عمران : ١٨٥ .

(١٠١) المائدة : ١ .

على عباده وألزمها إياهم » (١٠٢) . وهي قوله : « أحلت : لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم : غير محلى الصيد » (١٠٣) فهذا حكم عام خال من الزمن اللغوي *

وفي قوله تعالى « أنا منجوك وأهلك » زمن الآية المستقبل . وهو معنى السياق لا معنى صيغة « منجوك » أما الصيغة فاستفيد منها في تبوت تحقق حدث التنجية ولا يستفاد ذلك إذا حلت محلها صيغة المستقبل (س) ننجيك وتكرر صيغة « فاعل » في هذا السياق لتكون نسقا دلاليا : « أنا مهلكو أهل هذه القرية » « أنا منجوك وأهلك » « أنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا » (١٠٤) فلم تنون صيغة « فاعل » لقصد المستقبل ، بل للفصل بينها وبين ما أضيفت إليه . وكان الافتراض النحوي يكون :

« أنا منجوك وأهلك ومنزلو رجز على أهل هذه القرية » .
ولقد عرض النحاة والداليون العرب للآية :
« وكلبهم بأسط ذراعيه بالوصيد » (١٠٥)
وانتهى نظرهم فيها إلى أربعة آراء :

١ - أن صيغة « فاعل » عاملة في الزمن الماضي ، فضلا عن عملها في الحاضر والمستقبل . ومن هنا فإن اشتراط الزمن بوصفه معنى صيغة « فاعل » العاملة قد نحي ، وعد أصحاب هذا الرأي من المخالفين أي ممن خالفوا رأي سيبويه والقراء في اشتراط زمن الحاضر والمستقبل لاسم الفاعل المنكر العاقل . قال ابن هشام : « خالف في ذلك الكسائي وهشام وابن مضاء ، فأجازوا أعماله أن كان بمعنى الماضي ، واستدلوا بقوله تعالى « وكلبهم بأسط ذراعيه » (١٠٦) .

٢ - أن هنا حكاية حال ماضية « لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي » (١٠٧) ف « المعنى ييسط ذراعيه » (١٠٨) .

٣ - ورأى آخرون ألا « حاجة لتكلف الحكاية لأن حال أهل الكهف مستمر إلى الآن ، فيجوز أن يلاحظ في (بأسط) الحال فيكون عاملا » (١٠٩)

-
- (١٠٢) الكشاف : ١ : ٥٩١ .
(١٠٣) القائمة : ١ .
(١٠٤) المنكروت : ٣٤ .
(١٠٥) الكهف : ١٨ .
(١٠٦) شرح قطر الندى : ٢٧١ .
(١٠٧) الكشاف : ٢ : ٤٧٥ .
(١٠٨) شرح الأشعراني : ٢ : ٣٤٠ .
(١٠٩) حاشية الصبان : ٢ : ٢٩٣ .

٤ - أما الرأي الرابع فهو رأى الباحثين الدالين الذين لم يستندوا الى طريقة الاستبدال الشكلية للتفريق بين « المضارع » و « فاعل » التي أجراها سيبويه (١١٠) بل استندوا الى معيار المعنى في اجراء ذلك التفريق قال الجرجاني : « وان شئت أن تحس الفرق بينهما ، من حيث يلفظ فتأمل هذا البيت :

لا يالف الدرهم المضروب صرنا لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ولو قلت بالفعل لم يحسن » (١١١) وأهم شيء في هذا التحليل أن المعيار الاعرابي لم يعد يختبر التراكيب اللفوية ولم يعد العامل والمعمول جوهر النظر التحوي بل المدار هنا « المعنى » الذي تكون العلامات الاعرابية إحدى قرائنه .

ان الجرجاني هنا ينحو بفكرته النظرية « وجوه الأبواب وفروقاتها » (١١٢) منحى تطبيقيا . وهو يعرض لتحليل الآية : « وكلهم باسط ذراعيه » فيقول : « ان أحدا لا يشك في امتناع الفعل ها هنا وان قولنا كلهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض » (١١٣) .

يلجأ الجرجاني بعد ذلك الى طريقة الاستبدال بالمعنى وليس بالمبنى كما فعل سيبويه ، فيضع المعادلة الآتية :

كلهم باسط = كلهم واحد

وكان الجرجاني يريد أن يصـفر (حدث) صيغة (فاعل) حتى يعده تماما فيتحول الى اسم جامد :

باسط = واحد .

ان صيغة « باسط » كما يقول : « اقتضت ثبوت الصفة (أي) : لا تجعل الكلب يفعل شيئا ، بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب » (١١٤) .

أما (النحاة) فقد كان نزوعهم نحو (عمل) صيغة (فاعل) يضطرم

(١١٠) انظر ا ص ١٤٦ من هذا الفصل .

(١١١) دلائل الاعجاز : ١٢٢ .

(١١٢) ينظر دلائل الاعجاز : ٦٧ .

(١١٣) دلائل الاعجاز : ١٢٢ .

(١١٤) دلائل الاعجاز : ١٢٢ .

الى تكبير حدثها حتى يعلموا « الموصوف » فكان الغرض عندهم حركة الكلب وليس هيئته .

ان البحث في جو الآيات القرآنية يشير الى ان صيغة « فاعل » تعبر عن هيئة ، وليس عن حركة ، على الرغم من أنها تتميز عن الاسم الجامد بانطوائها على حركة ما .

وهي بذلك ، ليست شكلا زهنيا سواء أكانت في قسم الصرف ، أم في قسم النحو ، وهذا ما يجعلها تتميز عن الفعل من ملحق ثان .

لكن اعتراضا على هذا التحليل يأتي من جهتين :

(أ) الاستعمال القرآني :

قوله تعالى : « ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا » (١١٥) .

ان وظيفة الظرف ، كما سنرى ذلك في موضعه (١١٦) هي قياس زمن الحدث ، وصيغة « فاعل » كما ألمحنا تنطوي على « حدث ما » . ولهذا فان تلك الصيغة في الآية السابقة تشير الى ثبوت عدم تحقق الحدث أو ثبوت عدم الفعل ، وسياق الآية السابقة تشير الى نهى عام تأبى في مطلق زمن المستقبل ، ولهذا صلحت معه صيغة « فاعل » ولم تصلح معه صيغة « أفعل » أو « سأفعل » . و « غدا » في الآية تعنى قيما يستقبل من الزمان ، ولم يرد (بها) الغد خاصة (١١٧) ان صيغة (فاعل) لا تدل بذاتها على زمن نحوي ، ولهذا احتجج هنا الى الحاق ظرف بها لكي يعين زمن حدثها الخامد من هذه الناحية ، بعكس حدث الفعل الذي يدل على الزمن بدون ظرف . أما صيغة « فاعل » بدون ظرف ، أي :

« ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك » فتندرج في سياق نهى في كل زمن وهذا أمر يتعارض وما يفعله الانسان في أمسه وآتيه ، غير أن النهى هنا « لأجل شيء تمزم عليه » (١١٨) .

ومثل ذلك ، مما جاء بصيغة « فاعل » مضافة ، ملحق بها ظرف المستقبل ، قوله تعالى :

« يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا » .

(١١٥) الكهف : ٢٣ .

(١١٦) ينظر الفصل السادس من هذه الرسالة للمعتمد على دراسة « الظرف » .

(١١٧) الكشاف : ٢ : ٤٧٩ .

(١١٨) الكشاف : ٢ : ٤٧٩ .

وجادل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » (١١٩) أى زمنا
ممتدا الى هذا الوقت ، الى يوم القيامة .

(ب) ما أثر من الاستعمال عن العرب :

تتناقل كتب اللغة ما يمكن أن يبنى على صيغة « فاعل » متونة
ومضافة ، من أحكام تشريعية من نحو ما ورد من أنه : لو أن قائلا قال :
« هذا قاتل أخى » - بالتثنية - وقال آخر : « هذا قاتل أخى »
- بالاضافة - لدل بالتثنية على أنه لم يقتله ، ويحذف التثنية على أنه
قتله » (١٢٠) .

ومن نحو ما وقع للكسائي والقاضي أبى يوسف عند هرون الرشيد :
قال : سأل الكسائي أبى يوسف : ما تقول فى رجل قال لرجل : « أنا
قاتل غلامك » وقال آخر : « أنا قاتل غلامك » ، أيهما كنت تأخذ به ؟
قال : أخذ بهما جميعا . فقال له هرون أخطأت ، وكان له علم بالعربية
فاستحى وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى
قال : « أنا قاتل غلامك » - بالاضافة - لأنه فعل ماض ، فأما الذى
قال : (أنا قاتل غلامك) بلا اضافة فانه لا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن
بعده » (١٢١) .

ففى هذه القصة من أدب المجالس أكثر مما فيها من علم اللغة . ثم
كيف نوفق بين رأى الكسائي هنا ورأيه الذى يجمع النحاة عليه من أن
(اسم) الفاعل يعمل فى الماضى (١٢٢) « كما يعمل بمعنى الحال
والاستقبال » ؟ (١٢٣) فكان « أنا قاتل غلامك » يجوز على رأى الكسائي
نفسه أن تكون للماضى وغير الماضى ، والقرينة السياقية لا الصيغة ، هى
التي تحدد الزمن . أى أن أبى يوسف القاضي كان على حق فى رده أنه
يأخذ بهما جميعا اذ عندهما من أدلة الاعتراف .

نخلص من كل ما تقدم الى أن صيغة « فاعل » تنزع فى اللغة
العربية ، فى المستوى النحوى ، الى الاضافة لتحقيق نشاطا اسميا فى
بنيتها يطابق ما تدل عليه من ثبوت صفة الفاعل . وهذا هو الذى يفسر
مجيئها فى الأغلب الأعم مضافة فى القرآن (١٢٤) بغض النظر عن قسم
الزمن الذى يشير اليه سياقها .

(١١٩) آل عمران : ٥٥ .

(١٢٠) مولد اللغة : ٧٦ .

(١٢١) الأضواء والنظائر : ٣ : ٢٤٤ .

(١٢٢) انظر شرح ابن عثيم : ٢ : ٨٦ وشرح لفظ الذى : ٢٧١ .

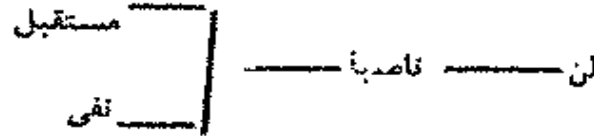
(١٢٣) شرح الكافية : ٢ : ٢٠٠ .

(١٢٤) نحو القرآن : ٧٨ .

الأدوات بين الزمن والاعراب :

(أ) مباحث النحاة :

لم ينظر النحاة ، فيما صدر عنهم من مباحث ، الى قرائن زمنية محضة ، بل قدموها بوصفها أدوات تؤدي وظائف متنوعة . وقد ركز البحث النحوي على الوظيفة الاعرابية لهذه الأدوات ، وذكرت وظيفة الزمن عرضاً . ومن هنا كانت النتائج التي انتهى اليها النحاة ، في هذا المجال ، مضطربة ، وإن احتوت على نظرات تحليلية دقيقة . فإذا عرضنا لأداة مثل (لن) وجدنا أنها مصنفة في مجموعة « الحروف التي تعمل في الأفعال المضارعة للأسماء فتتصبها » (١٢٥) وهي : « في حروف النصب بمنزلة (لم) في حروف الجزم » (١٢٦) . أما معناها « فتفي المستقبل » (١٢٧) . ويمكن وفقاً لهذا أن نضع المخطط الآتي :



إن ما سبق يمكن أن يكون قاعدة نحوية يستثنى فيها أداتا الزمن « سوف » و « لسن » .

وقد برز الخلل المنهجي في موضوع الزمن بصورة واضحة فيما اصطلح عليه النواسخ .

ففي العربية يتكون من ائتلاف النواسخ مع الصيغ ، ما يمكن أن نصطلح عليه بالمركبات الزمنية . التي تشير الى أشكال الحدث الزمنية وجهاته (١٢٨) .

غير أن ما شغل النحاة هو وظيفة « كان » منفردة ولم يشغلهم ائتلافها مع الصيغ الفعلية ، على الرغم من أنهم جعلوا وظيفة « كان » في العربية وظيفة زمنية . وعبارة سيبويه « أدخلت (كان) لتجعل ذلك فيما مضى » (١٢٩) .

وقد أجرى سيبويه استبدالات متعددة بين (النواسخ) و (الأفعال) قال : « تقول : « كناهم » كما تقول : « ضربناهم » ، وتقول : « إذا لم

(١٢٥) الكتاب : ٣ : ٥٥ .

(١٢٦) الكتاب : ٣ : ٥٥ .

(١٢٧) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٢ .

(١٢٨) ينظر العربية ولهجاتها : ٧٩ .

(١٢٩) الكتاب : ١ : ٤٥ .

تكمهم فمن ذا يكونهم ؟ ، كما تقول : « اذا لم تضربهم فمن يضربهم ؟ »
.. فهو كائن ومكون ، كما تقول : « ضارب ومضروب » (١٣٠) .

وتؤدى هذه الاستبدالات الى وجود تطابق في التوزيعات الشكلية
بين الناسخ والفعل . ويبدو ان سيبيويه كان يهدف من اجراء هذه
الاستبدالات الى التخلص من عد « كان » أداة زمن ، وتقرير أنها فعل ،
من أجل ان يسوغ (عمله) . يقول سيبيويه : « كما أنك حين قلت :
ليس هنا عمرا » و « كان هذا بشرا » عملتا عملين : رفعتا ونصبتا
كما قلت : « ضرب هذا زيدا » . (١٣١)

وقد جر ذلك الى نوع من الاضطراب في التحليل النحوي القديم ،
فقد : نظر الى « النواسخ » بوصفها أدوات من حيث الوظيفة ، وبوصفها
أفعالا من حيث الشكل يقول الأنباري : « على أنا لا نقول ان « كان » بمنزلة
« ضرب » فان « ضرب » فعل حقيقي يدل على حدث وزمان .
وأما « كان » فليس فعلا حقيقيا ، بل يدل على الزمان المجرد من
الحدث » (١٣٢) .

ومن هنا « كان » قياس هذه الأفعال ألا تعمل شيئا ، لأنها ليست
بأفعال صحيحة ، إذ دخلت للدلالة على تغير الخبر بالزمان الذي يثبت
فيه ، وإنما عملت تشبيها بما يطلب من الأفعال » (١٣٣)

وقد اتخذ التفاضل بين المنحى الشكلى للنواسخ والمنحى الوظيفي
لها ثلاثة اتجاهات :

الأول : اتجاها يجمع بين المنحيين . كالقول : ان (عسى) : « لفظها
لفظ الماضي ومعناها المستقبل .. قصارت كـ « ليس » في أنها
بلفظ الماضي وينفى بها الحال » (١٣٤)

ويتردد في هذا الاتجاه مصطلحا اللفظ والمعنى (١٣٥) كالقول
أنها أفعال في اللفظ ، وليس بأفعال حقيقية وإنما تمثل على الزمان
فقط » (١٣٦) أو « أفعال تجري مجرى الأدوات » (١٣٧) وكان

(١٣٠) الكتاب : ١ : ٤٦ .

(١٣١) الكتاب : ٢ : ١٤٨ .

(١٣٢) الأصناف : ٢ : ٨٢٦ .

(١٣٣) مع الهوامع : ١ : ١١١ .

(١٣٤) شرح الفصل : ٧ : ١١٦ .

(١٣٥) المصدر السابق : ٧ : ١١٥ .

(١٣٦) الأصول : ٢ : ٨٢ .

(١٣٧) الجمل : ١٢ .

ابن سينا في (الشفاء) قد أطلق على (كان) وأخواتها :
« الكلمات الزمانية » (١٣٨) أى الأفعال الزمنية .

الثاني : الذى جرى في توزيعها على أنها أفعال فقط . فقد نص الرضى
على أنه « في كلها (كان وأخواتها) معنى الكون مع قيد آخر هو
الزمن ، فمعنى : « أصبح زيد قائما » : لزيد قيام له حصول
في الزمن الماضي وقت الصبح » (١٣٩) .

وقد انعكس ذلك في بعض المباحث المعاصرة ف قيل : « كان »
تدل على الكينونة في الماضي » (١٤٠) .

الثالث : الذى جعلها أدوات فقط . وهو مذهب الزجاجي ، الذى عد
« مذهباً غريباً في (كان) وأخواتها » حيث رأى أن (كان)
وأخواتها حروف » (١٤١) .

ان تصنيف (كان) وأخواتها ، في الفعلية ، جر الى السؤال
الاتي : اذا كانت « كان فعلاً ماضياً فكيف يفسر دخولها على
فعل ماض ؟

لقد لاحظ النحاة استعمالات كثيرة تأتلف فيها (كان) مع الصيغ
الفعلية . غير أن تفسير ذلك ارتد الى جوهر النظر النحوي : الاعراب ،
فقد عدت « أصبح » و « أمسى » في تراكيب « ما أصبح أبردها » و « ما أمسى
أدفاها » زائدة شاذة . « (١٤٢) ومن هنا قيل في : « ليس خلق الله
مثله » : « ففى » ليس « ضمير منوى مستكن ، لأن (ليس) و (خلق)
فعلان والفعل لا يعمل في الفعل » (١٤٣) .

لقد اقترب النحاة من المركبات الزمنية اقتراباً حذراً . وقد أنكر
بعضهم ذلك أصلاً ، على الرغم من وقوعه في الاستعمال « لأن الفعل لا يدخل
على الفعل عقلاً ونقلاً » (١٤٤) .

وقد جعل الكوفيون وقوع هذه المركبات مقيداً بشروط : وهو
« اقترانه (الفعل الماضي) بـ « قد » ظاهرة ، أو مقدرة . وحجتهم أن « كان »

(١٣٨) الشفاء : ١٤ .

(١٣٩) شرح الكافية : ٢ : ٢٩٨ .

(١٤٠) اللغة العربية المعاصرة : ١١٠ .

(١٤١) شرح قطر الندى : ٣٦٣ .

(١٤٢) القرب : ١ : ١٢ .

(١٤٣) شرح المفصل : ٣ : ١٣٦ .

(١٤٤) تفسير الرازي : ٢ : ٩٤ .

وأخواتها إنما دخلت على الجمل لتدل على الزمان ، فإذا كان الخبر يعطى الزمان لم يحتج إليها . ألا ترى أن المفهوم من « زيد قام » ومن « كان زيد قائما » شيء واحد . واشترط « قد » لأنها تقرب الماضي من الحال » (١٤٥) .

أما البصريون فجوزوا دخول بقية أفعال الباب على ما خبره ماض تجوزا مطلقا « لكثرت في كلامهم نظما ونثرا كثرة توجب القياس » قال تعالى :

« ان كان قميصه قد... » (١٤٦)

« ان كنت قلته... » (١٤٧)

« ان كنتم خرجتم... » (١٤٨)

« او لم تكونوا اقسمتم... » (١٤٩)

قال الشاعر : ثم أضجروا لعب الدهر بهم ...

وقال : ... وقد كانوا فامسى الحى ساروا .

وحكى الكسائي : أصبحت نظرت الى ذات التناير » (١٥٠)

ونقل السيوطي « صلاحية وقوع أخوات « كان » أخبارا لها ، كقولك : « كان زيد أصبح منطلقا » (١٥١) وقد انعكست تلك المفهومات على اعراب (المسند) في سياق « كان » .

فقد ذهب الكوفيون الى أن خبر (كان) نصب على الحال ، لأن (كان) فعل غير واقع - أى غير متعد (١٥٢) .

أما البصريون فذهبوا الى أنه نصب نصب المفعول (١٥٣) ، مستنديين الى التوافق الشكلي (التصريفى) بين (كان) والفعل ، الذى أشار اليه

(١٤٥) مع الهوامع : ١ : ١١٣ .

(١٤٦) يوسف : ٢٦ .

(١٤٧) المائدة : ١١٦ .

(١٤٨) المتحة : ١ .

(١٤٩) ابراهيم : ٤٤ .

(١٥٠) مع الهوامع : ١ : ١١٣ .

(١٥١) الأشياء والنظائر : ٢ : ٥٥ .

(١٥٢) ينظر الانصاف : ٢ : ٨٢١ .

(١٥٣) ينظر الانصاف : ٣ : ٨٢١ .

سيبويه بقوله : وتقول « كناههم » كما تقول « ضربناهم » وتقول : « إذا لم تكنهم فمن ذا يكونهم ؟ » (١٥٤)

ويعنى ذلك أن الكوفيين جعلوا (كان) أقرب إلى أداة تؤدي وظيفة نحوية ، أى تؤدي وظيفة زمنية في التركيب ، لكنهم لم يلغوا العملية فيها ، فعندوها من قبيل الأفعال اللازمة أو غير الواقعة على مصطلحهم (١٥٥) . وهذا هو الذى يفسر عندهم الخبر فى سياقها حالا .

أما البصريون فقد جعلوا « كان » أقرب إلى الفعل ، على الرغم من خلوه من الحدثية ، بسبب السمات الشكلية التى تجمع بينهما .

(ب) المباحث المعاصرة :

أما المباحث المعاصرة فقد انعكست فيها تحليلات النحاة القدماء ونتائجها فى هذا الباب . ويمكن إيجازها فى ملحظين :
الملحظ الأول : فى تصنيف « كان » :

نشير ، هنا ، إلى تحليل الدكتور عبد الرحمن أيوب الذى يستند إلى نوع من الاستبدال مطابق تماما للاستبدال الذى أجراه سيبويه (١٥٦) مقدم وكأنه يصدر عن منهج النظر اللغوى الحديث . يقول الدكتور عبد الرحمن أيوب : « يتساءل الكثيرون عما إذا كان ثمة مبرر لاعتبار المثال : « كان محمد قائما » يختلف من وجهة النظر التركيبية عن المثال (ضرب محمد عليا) ؟ والدافع لهذا التساؤل أن كلا من المثالين مركب من كلمة (كان) التى لها كل المميزات الشكلية التى للفعل ، وبعدها فى الترتيب تأتي كلمة مرفوعة وفيها كل مميزات الأسماء ، وكلمة منصوبة فيها كل مميزات الأسماء كذلك » (١٥٧) .

ويخلص إلى أن « دلالة المادة فى كان » قد انعدمت ، وتخصص هذا اللفظ بالتالى لدلالة الوزن » (١٥٨) غير أنه يرى « برغم انعدام الدلالة على الحدث فلا تزال «كان» فى الأفعال ، حيث أن جميع الصفات الشكلية لاتزال من مميزات » (١٥٩) .

وقد عرض الدكتور ريمون طحان للمشكلة التصنيفية ذاتها فى

(١٥٤) الكتاب : ١ : ٤٦ .

(١٥٥) ينظر الإصناف : ٢ : ٨٢١ .

(١٥٦) ينظر الكتاب : ١ : ٤٦ .

(١٥٧) العربية ولهجاتها : ٧٩ .

(١٥٨) المصدر السابق : ٨١ .

(١٥٩) المصدر نفسه : ٨١ .

(كان) والنواسخ الآخر (١٦٠) فوجد أن « معظمها يعتبر أفعالا لأنه يدخل في جدول تصريفي » (١٦١) .

لكنه رأى « أنه من الوجهة النحوية ينبغي أن تصنف بوصفها أدوات » (١٦٢) وصنف صاحب (الوجيز في فقه اللغة) (كان وأخواتها) في خانة « أدوات أو مورفيمات تدخل الجمل لتدخل على معان نحوية » (١٦٣) وقد رفض أن تعد أفعالا ، مفسرا ذلك بأن « الذي حمل النحاة القدماء على عددها أفعالا أنهم رأوها تتصرف كما تتصرف الأفعال (١٦٤) وقد رأى أن التصرف لا يعنينا ، الذي يعنينا فقط هو الوظيفة التي يقوم بها اللفظ في العبارة . وإذا كانت الأفعال الناقصة لا تعبر عن مقولات نحوية ، فهي إذن مورفيمات كسائر المورفيمات الأخرى » (١٦٥) وهذه التسليطات أجريت بصورة تامة في المنهج النحوي القديم . بل إن بعض النحاة وجد أن (كان) ذات ثنائية توزيعية ، فالشلوبين يتساءل : « هل « كان » دالة على الحدث مع الزمان أو مجردة للدلالة على الزمان ؟ » (١٦٦) ويجيب : « الأظهر أنها مجردة » (١٦٧) .

ومن وجوه تطبيق المنحى الخلاف في توزيع « كان » بين فعل الفعل وحقل الأداة : اعراب الخبر في سياق « كان » . فالذي رأى أن (كان) تدخل على الفعل المتعدي ، كما رأى البصريون ، جعل لها خبرا منصوبا ، كما جعلوا للفعل المتعدي مفعولا منصوبا أما الذي رأى في « كان » فعلا لازما - وهو رأى الكوفيين (١٦٨) فقد جعله حسالا (١٦٩) وقد

(١٦٠) ان الجمع بين (كان) و (أخواتها) في المباحث المعاصرة ، من وجهة نظر زمنية ، أمر غير صحيح البتة ، لأن ما سمي بـ (أخوات كان) تشير بصيغها إلى قسم زمني (أصبح ، يصبح ، سيصبح) وبموادها إلى وقت معين (الصبح ، الفصح ، الظهر ... الخ) . أما كان فقد اندثرت مادتها ، وصارت أهم فريضة زمنية في العربية تعبر بتركيبها مع الأحداث عن جهات وأقسام زمنية وتفسر ظاهرة غنى العربية بالمركيبات الزمنية . والواضح أن تصنيف (كان وأخواتها) في جدول زمني واحد ، ورت عن المنهج النحوي القديم الذي صنف كان وأخواتها في جدول اعرابي واحد . وسبقونا في الاشتباه بين (كان) وما سمي أفعال الوقت إلى دراسة تلك الأفعال في مبحث المسألة المعجمية والزمن ، في الفصل الذي نطهه على دراسة (الزمن الدلالي) .

(١٦١) الألسنية العربية : ٢ : ٢٠ .

(١٦٢) المصدر السابق : ٢ : ٢٠ .

(١٦٣) الوجيز في فقه اللغة : ٢٩٦ .

(١٦٤) الوجيز في فقه اللغة : ٢٩٦ .

(١٦٥) المصدر السابق : ٢٩٦ .

(١٦٦) التوطئة : ٢١٠ .

(١٦٧) المصدر السابق : ٢١٠ .

(١٦٨) انظر النحو الواسع : ١ : ٥٤٣ .

(١٦٩) ينظر المباحث اللغوية في العراق : ١٢ .

حاول بعض المعاصرين تقديم وجهة النظر الكوفية في اعراب الاسم المنصوب في سياق « كان » بتبسيطها على النحو الآتي :

« كان » تدل على الكينونة في الماضي وفي غير الماضي ، فلا يكون هناك ما يدعو الى البحث عن اسم كان وخبرها . اسمها مرفوع بالطبع لانه متحدث عنه وخبرها منصوب بالطبع لانه تكملة « (١٧٠) وهو تبسيط يقلل الوظيفة في « كان » ويركز على المنحى الشكلي أى الفعل كما سنفصل ذلك في هذا المبحث .

ولما كانت « كان » والنواسخ أدوات تؤدي وظائف نحوية ، فإن ظاهرة نصب الخبر في سياقها ظاهرة محيرة وجهها البصريون على أساس حمل الخبر على المفعول ، والكوفيون على جعل كان فعلا لازما معناه الوجود .

ولما كانت « كان » أداة زمن ، وهو رأى أغلب الباحثين قسما ومعاصرين ، حاول باحثون معاصرون أن يلتمسوا تعليلا آخر لنصب الخبر في سياق « كان » يتجاوز تعليل البصريين والكوفيين .

فقد جعل الدكتور ريمون طمحان عدم العامل علة في نصب المسند في سياق « كان » فجعله منصوبا نصبا اعتباطيا ، لكنه عاد فعزا ذلك الى ما أطلق عليه قوة الفعالية في هذه الأدوات . قال .

« حين يدخل هذا النوع من الأدوات على الجملة الاسنادية الشامة يتحلى المسند بالفتحة عوضا عن الضمة ولذا نعتبر هذه الأدوات قوية الفعالية تدخل ما يسمى اسمها وخبرها في تنظيم خاص واعتباطي » (١٧١)

وهذا التحليل فيه من التعسف شيء كثير - فنحن نفترض وفقنا له أن أدوات النصب « ان » وأشباهاها في النصب ، ينصبن المسند اليه بقوة الفعالية ذاتها ، غير أنه ينبغي أن نفسر تحول الحركة الاعرابية من الضمة الى الفتحة في المسند اليه مرة وفي المسند أخرى في سياق « ان » و « كان » .

وخلاصة ما نورد هنا أنه لا يمكن النظر الى « كان » بوصفها أداة أى بوصفها مورفيمًا ذا وظيفة نحوية ، شأنه شأن المورفيمات النحوية الأخرى ، كـ « ما » مثلا ، بل ننظر الى « كان » بوصفها مورفيمًا نحويًا ذا بعد صرفي ، أى أنه قابل للدخول في جدول تصريفي وآخر اسنادي كالفعل تماما . فد كان ، تحمل هاتين السمتين الصرفية والنحوية ، أى : الفعلية والزمنية .

(١٧٠) اللغة العربية المعاصرة : ١١٠ .

(١٧١) اللستية العربية : ٢ : ٢٠ .

غير أنه في تركيبات معينة لا يمكن النظر إليها إلا بكونها فعلا لازما محضاً وعلى عبارة سيبويه : (يقتصر على الفاعل فيه ، تقول : (قد كان عبدالله) أي : (قد خلق عبدالله) ، و (قد كان الأمر) : أي : (وقع الأمر) (١٧٢) ومنه قوله تعالى (وإن كان ذو عسرة) (١٧٣) « معناها وجد » (١٧٤)

لقد حاول الكوفيون ، كما عرضنا لذلك في هذا المبحث (١٧٥) جعل الخبر في سياق « كان » (الناقصة) مقيساً على « كان » (التامة) هذه فجعلوها فعلاً غير واقع وجعلوا المنصوب في سياقها حالا (١٧٦) . وقد وافق الدكتور مهدي المخزومي الكوفيين « في تسميته « حالا » لا « خبرا » لأنه إنما بين هيئة خاصة للموجود المتحدث عنه ، (١٧٧) فكان « كان » لا تصنف إلا في خانة الفعل اللازم سواء أكانت تامة أم ناقصة . غير أن الدكتور المخزومي لم يهدنا إلى سبب تصنيف « كان » إلى تامة وناقصة على الرغم من أن الناقصة على عبارته (تدل على وجود) (١٧٨) والتامة بمعنى وجد ، (١٧٩)

وفي ضوء ذلك يمكن أن نستبدل تركيبى :

كان عبد الله (تامة)

وكان عبد الله عظيماً (ناقصة)

بتركيبى :

جاء عبد الله

وجاء عبد الله مسرعاً .

وفي هذه الحالة لا يمكن أن نصنف الفعل « جاء » في المثالين الأول والثاني ، باعتبار الأول فعلاً تاماً ، والثاني ناقصاً .

(١٧٢) الكتاب : ١ : ٤٦ .

(١٧٣) البقرة : ٢٨٠ .

(١٧٤) في النحو العربي : قد وتوجيه : ١٨٢ .

(١٧٥) انظر : ص ١٥٩ وما بعدها من هذا الفصل .

(١٧٦) الايضاح : ٢ : ٨٢٦ .

(١٧٧) في النحو العربي : قد وتوجيه : ١٨٢ .

(١٧٨) المصدر السابق : ١٨٢ .

(١٧٩) المصدر نفسه : ١٨٢ .

بل هو فعل لازم في كلا المثالين . وقد لحق الثاني ما يبين جهة من جهات حدثه وهو هيئته .

ان هذا الاضطراب الذي يسود التحليل الكوفي في تمامية « كان » ونقصاتها وفي توزيعها بين حقل الأداة والفعل يجعلنا ننزع نحو التحليل البصري أى الأخذ بملاحظة سيبويه التي تحاول أن تقدم ، من خلال حمل شيء على شيء نسقا توزيعيا يشتمل على وظائف « كان » ودلالاتها بما فيها تلك التي أطلق عليها « كان » الزائدة . أو على عبارة سيبويه « الغاء كان » قال الخليل : « ان من أفضلهم كان زيدا » (١٨٠) ، فان الزمن الذي لا تدل الا عليه حينئذ (١٨١) يستمد من شكلها الفعلي .

وبعبارة أخرى ان « كان » الملقاة من حيث العمل تؤدي وظيفة زمنية، تتحدد دلالتها من خلال شكل صيغتها الفعلية « كان ، يكون ، سيكون » والمخطط الآتي يوجز الأشكال والوظائف التي عاينها (كان) في اللغة العربية :

الناسخ	نوعه	المعادل	الدلالة الزمنية	الاعراب
كان	التمام	فعل لازم	بحسب الصيغة	يحتاج الى مرفوع
كان	الناقص	فعل متعد	بحسب الصيغة	مرفوع + منصوب
كان	الزائد	أداة زمن	بحسب الصيغة	—
كان	المركب	أداة زمن	بحسب المركب	—

والملاحظ الآتي سنفصل فيه (الناسخ) الذي يكون المركبات الزمنية **الملحظ الثاني :**

ان أهم ملحظ للباحثين المعاصرين في موضوع أدوات الزمن هو المركبات الزمنية . فما لا حظناه من اقتراب حذر للنحاة من المركبات الزمنية (١٨٢) طور في المباحث المعاصرة الى درجة تصنيف هذه المركبات وفق دلالاتها

(١٨٠) الكتاب : ٢ : ١٥٣ .

(١٨١) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٨٣ .

(١٨٢) ينظر : ص ١٥٨ من هذا الفصل .

إن أهم ما نستخلصه من التحليل السابق ، هو تعدد وظائف الأداة الزمنية ، وتحدد الظرف بوظيفة زمنية واحدة . وفيما يأتي وظائف أداة الزمن في اللغة العربية :

١ - الحاق صيغة « يفعل » بقسم من قسمي الزمن « الماضي » ك « كان يفعل » و « المستقبل » ك : « سأتفعل » و « لن أتفعل » .

٢ - التعبير عن جهة من جهات أقسام الحدث الزمنية فالفرق بين « السين » و « سوف » فرق في جهة المستقبل . والفرق بين « ذهب » و « كان ذهب » فرق في جهة الماضي كما سنعرض لذلك بتفصيل في الدراسة التطبيقية .

٣ - إيقاع الجمل اللاحدية الاسنادية وغير الاسنادية في الزمن ، وعلى عبارة الزمخشري : « كان » : « تقرر مضنون الجملة بالأوقات الخاصة » (١٨٦) . ومن ذلك قوله تعالى : « كان الناس أمة واحدة » (١٨٧) ، وقولك « ما كان أحسن زيدا » لتدل أنه فيما مضى » (١٨٨) .

وقد ألمح برجستراسر الى أن « ادخال الفعل « كان » على اختلاف صيغه ، على الجمل الاسمية ، مظهر من مظاهر اللغات السامية سببه الاحتياج الى تنويعها (الجمل الاسمية) على الأوقات وغيرها ، فاني ، ان استندت (كبير) الى (بيتي) في جملة اسمية محضة ، لم يمكنني ان أفرق بين (بيتي قد كان كبيرا) و (بيتي سيكون كبيرا) و (ليكن بيتي كبيرا) » (١٨٩) .

ويحدد الجدول الآتي وظيفة أو وظائف أداة الزمن والظرف :

البنى الزمنية	الوظيفة
الأداة	• توجيه صيغة (يفعل) نحو قسم زمني . • التعبير عن جهة من جهات الحدث في الأقسام الزمنية الثلاثة . • إيقاع الجمل اللاحدية في الزمن .
الظرف	قياسي زمن الحدث

(١٨٦) الفصل : ٢٢٦ .

(١٨٧) البقرة : ٢٢٣ .

(١٨٨) الكتاب : ١ : ٧٣ .

(١٨٩) التطور النحوي للغة العربية : ٥٤ .

الزمن الدلالي

نظرة عامة :

لم تشغل قضية (المعنى) الذهن اللغوي قديما وحديثا حسب . بل شغل في بحث جوانبها « فلاسفة ومناطقة وأصوليون عرب » (١) ولا تزال تتلبس المناهج اللغوية وتنتقل من مفهوم الى مفهوم .

فاذ تستبعد مدرسة بلومفيلد Bloomfield التي « انتظمها ظل المدرسة السلوكية في علم النفس ، عنصر المعنى عند التحليل » (٢) حيث رأيت في المعاني « وحدات عقلية أشبه بالأغاز » (٣) يتقدم « البحث الدلالي في إطار علم اللغة الحديث من الناحية المنهجية في نظرية الدلالة ، ومن الناحية العملية في اعداد المعاجم » (٤) ويعني ذلك : النظر الى التركيب اللغوي من زاوية (المعنى) بعد أن نظر اليه النحاة القدماء من زاوية (المبنى) (٥) وهو نفس ما تسعى اليه النظريات الجديدة في علم اللغة ، التي تحاول أن تستدرك على جومسكي Noam Chomsky

ونظريته التوليدية التحويلية ، ومن أهمها النظرية التي أتى بها العالم اللغوي فلمور Charles Fillmore التي تضع المعاني في الدرجة الأولى من الأفضلية (في التحليل اللغوي) ثم تتحول بوساطة قواعد نحوية وصرفية وتحويلية وصوتية الى الشكل الخارجي الظاهر للجمل (٦) .

وليس من هدف هذه الرسالة التوسيع في بحث مفهومات علم الدلالة وأصولها التاريخية ، ولكنه يحاول أن يتلمس العلاقة بين الزمن

(١) المدخل الى علم اللغة : ٨٤ .

(٢) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : ٣٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣٢ .

(٤) المدخل الى علم اللغة : ٨٤ .

(٥) ليس هذا حكما مطلقا ، ولكنه حكم عام . فالمنهج النحوي القديم انطوى على معانيات عدة مناهج . لكنه تركز في بحث الاشكال ووظائفها وتوزيعاتها . النظر : نظرية النحو العربي : ٣١ ، ٣٢ .

(٦) ينظر : أخوان على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

اللغوى والملحظ الدلالى للغة . ولا كان للزمن ملحظ نحوى ، لزم أن نشير اشارة سريعة الى العلاقة بين المكون الدلالى والمكون النحوى لفهم تأثير تلك العلاقة فى الزمن .

لقد كان « النحويون العرب يعولون على المعنى معولا كبيرا ... وكانوا يفزعون اليه ، ويصدرون عنه فى التفسير النحوى » (٧) ويقدم الدكتور نهاد موسى نموذجا من تفسير النحويين التغيرات السطحي بين الصور الانية فى نمط الاستثناء :

قوله تعالى :

١ - « وما محمد الا رسول » (٨) .

٢ - « ولا تقولوا على الله الا الحق » (٩) .

٣ - « فهل يهلك الا القوم الفاسقون » (١٠) .

٤ - « ويأبى الله الا أن يتم نوره » (١١) .

ان الآيات الثلاث الأولى ينتظمها على الترتيب : النفى والنهى والاستفهام الانتكاري ، وهى معان ، المحل بينها قريب ف : « فهل يهلك الا القوم الفاسقون » = لا يهلك الا القوم الفاسقون (١٢) .

أما الآية الرابعة : فىرى الدكتور نهاد موسى أن « المعنى أسعف (النجاة) فى أن يسلكوا « يأبى » وما أشبهها فى (اطار الاستثناء) فقد وجدوا أن « يأبى » بمعنى : « لا يريد » (١٣) .

ويلاحظ على منهج سيبويه ، الذى هو منهج شكلى فى جوهره ، يستند الى مبدأ التوزيع « مزاجته الصريحة بين الملحظ الدلالى والملحظ النحوى » (١٤)

ان سيبويه يختبر أمثلة مستقيمة من حيث التنظيم النحوى ، وهى :

(٧) نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث : ٦٥ ، ٦٧ .

(٨) آل عمران : ١٤٤ .

(٩) النساء : ١٧١ .

(١٠) الأحقاف : ٣٥ .

(١١) التوبة : ٣٢ .

(١٢) ينظر نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث : ٦٧ .

(١٣) المصدر السابق : ٦٧ .

(١٤) المصدر نفسه : ١٠٢ .

— حملت الجبل .

(و) — شربت ماء البحر . (١٥)

فالجملتان صحيحتان من حيث كونهما مؤلفين نحويين :

مسند + مسند اليه + مفعول

غير أنهما ، بالمعيار الدلالي ، غير مقبولتين ، فينتج عن ذلك ما يسميه
سيبويه : « المستقيم الكذب » (١٦) .

ان المكون الدلالي هنا يقطع المكون النحوي ، حيث تصبح عملية
إنتاج المعنى عرضة للتصدع .

فإذا نقلنا مقام جملة سيبويه السابقتين ، من النطاق البشري الى
النطاق الاسطوري مثلا ، أمكن عندهما صحيحتين نحويا وداليا .

وهكذا يبدو العنصر الدلالي ، في اللغة ، بعيد المنال دائما . اذا
عدنا الى جملة « شربت ماء البحر » وأدخلنا خلالها ما في أحد عناصرها
النحوية ، نتج عندها :

خلل نحوي + خلل دلالي ، وهو يساوي عند سيبويه : « المحال
الكذب » (١٧) .

والثال الذي يسوقه سيبويه هو : « سوف أشرب ماء البحر
أمس » (١٨) ففي الملحق النحوي نجد أن «سوف» (وهذا يطابق تحليل
(بيرلنج Burling) جملة He went tomorrow (١٩) ذهب غدا)
قرينة تحدد صيغة المضارع بالمستقبل . و « أمس » ظرف زمن ماض ،
وفي الملحق النحوي للعربية لا تواقع قرينة المستقبل «سوف» الظروف
الماضية ، على أساس توزيعية . وفي الملحق الدلالي لا يمكن للانسان
« في اختبارنا التجريبي خارج نطاق اللغة » (٢٠) أن يشرب ماء البحر .

غير أن أخطر ما قدمه الفكر اللغوي العربي في علم الدلالة ، كان
قد تمثل بنظرية عبده القاهر الجرجاني في (النظم) التي دارت حول الدلالة

(١٥) الكتاب : ١ : ٢٦ .

(١٦) الكتاب : ١ : ٢٦ .

(١٧) المصدر السابق : ١ : ٢٦ .

(١٨) الكتاب : ١ : ٢٦ .

(١٩) ينظر نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : ١٠٢ .

(٢٠) المصدر السابق : ١٠٢ .

النحوية أو « السيماتيك النحوي Syntactic Semantics » (٢١) ، ونجد أصلاً في المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحليلية « الذي يلتزم تحليل البنى التركيبية » من الناحية الدلالية ، أي بكلام آخر يستند معنى أو أكثر إلى البنى التي يولدها المكون التركيبي » (٢٢) اشتملت (الدلالة) اللغوية عند الجرجاني على خطين :

الأول : (الدلالة النحوية التركيبية) وهي التي تعرض للإمكانات التعبيرية في البنى النحوية ذات التأليف الواحد وجعل ذلك كما فصلنا فيه (٢٣) تحت عنوان « وجود كل باب وفروقه » (٢٤) .

الثاني : (الدلالة الافرادية) : وهي الدلالة التي ترتبط بالاستعمال الذي يحيلها إلى المعجم أو إلى السياق - وجعل العلامة الجرجاني ذلك تحت عنوان : « المعنى ومعنى المعنى » تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، الذي تصل إليه بغير واسطة ، وبـ (معنى المعنى) أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفرض بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ، (٢٥) .

وهكذا يتاح لنا ، من كل ما تقدم ، أن نبحث العلاقة بين الزمن والدلالة بوصف الأول فصيلة نحوية ، وبوصف الثانية (وسط) تلك الفصيلة ، وهو وسط يستند عناصره من :

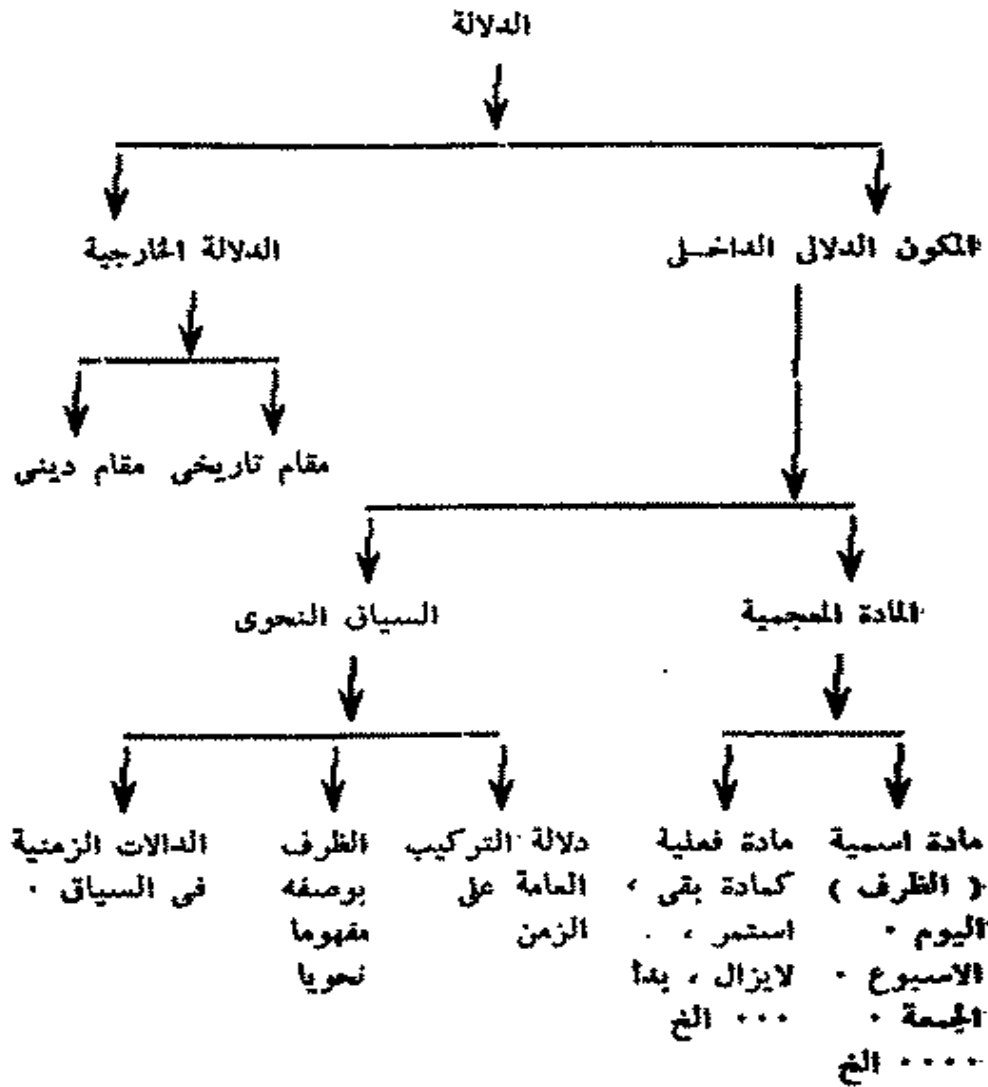
(أ) المكونات اللغوية (الصوتية ، المعجمية ، الصرفية والنحوية) Speech أو (المقال) (٢٦) في تعبير البلاغيين العرب و (اللغويات الداخلية) في تعبير دي سوسير De Saussure (٢٧) .

(ب) ما يحيط بتلك المكونات : أي الطرف اللغوي : Context Situation أو (المقام) (٢٨) في تعبير البلاغيين العرب ، و (اللغويات الخارجية) في تعبير دي سوسير (٢٩) .

ويمكن رسم المخطط الآتي لتوضيح ذلك :

-
- (٢١) ابن قيم الجوزية / جهوده في الدرس النحوي : ١٦٤ .
 - (٢٢) مجلة الفكر العربي المعاصر / مقالة للمكون الدلالي : ١٥ .
 - (٢٣) ينظر الفصل الثاني من الباب الأول : (إمكانات الصيغة) : ٤٦ لما سبق .
 - (٢٤) دلائل الإعجاز : ٦٧ .
 - (٢٥) دلائل الإعجاز : ١٧٥ .
 - (٢٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبينها : ٣٣٧ .
 - (٢٧) ينظر مشكلة البنية : ٥١ .
 - (٢٨) ينظر اللغة العربية معناها ومبينها : ٣٣٧ .
 - (٢٩) ينظر مشكلة البنية : ٥١ .

جدول بالعلاقة بين الدلالة والزمن



الزمن والمادة المعجمية :

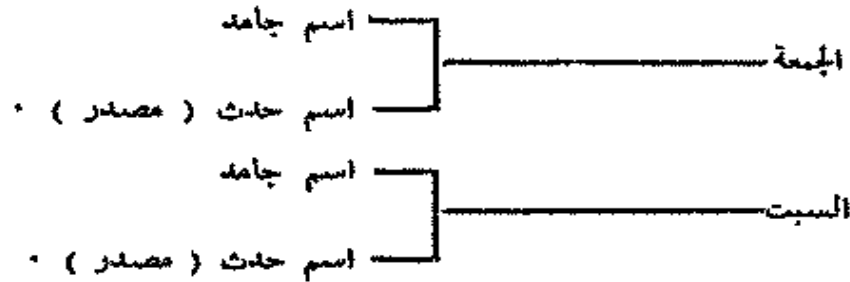
لم يجر النظر في المادة المعجمية وملاحظة دلالاتها وآثارها في الأبنية والتركيب اللغوية على نطاق واسع في المباحث اللغوية ، وسنشير هنا بإيجاز إلى العلاقة بين مدلول (المادة) والتركيب النحوي عامة ، وبين هذا المدلول والزمن بوصفه إحدى فصائل هذا التركيب خاصة .

يقدم سيبويه وجها من وجوه تعدد عناصر الجملة بالنظر إلى مدلول المادة :

ففي ملاحظته مواد أيام الأسبوع يعتمد سيبويه الى تصنيف تلك المواد الى صنفين • كما يمثل الجدول الآتي :

الصنف الاول	الصنف الثاني
الجمعة •	الأحد • الاثنين • الثلاثاء • الأربعاء
السبت •	الخميس

فقد رأى أن مدلولي مادة الجمعة والسبت يشيران الى معنيين :



أما مواد الأحد ، الاثنين الى الخميس فلا تشير الا الى اسم جامد وفي ضوء ذلك قدم سيبويه مؤلفين لجملة واحدة :

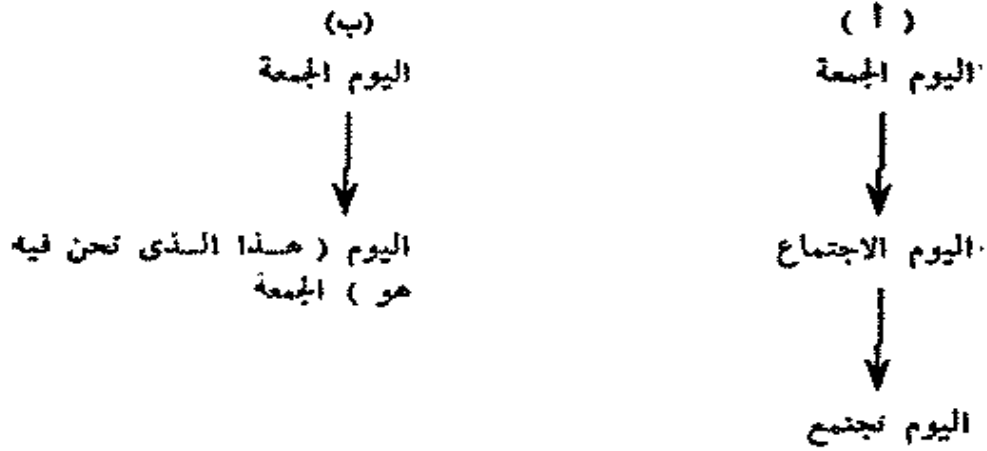
وستشرح ذلك بشيء من التفصيل :

يقول : « ان قلت « الليلة الهلال » « واليوم القتال » نصبت ، وان شئت رفعت • وكذلك « اليوم الجمعة » و « اليوم السبت » • وان شئت رفعت • فأما « اليوم الأحد » و « اليوم الاثنين » فإنه لا يكون الا رفعا ، وكذلك الى الخميس ، لانه ليس بعمل فيه كأنك أردت أن تقول : « اليوم الخامس والرابع »

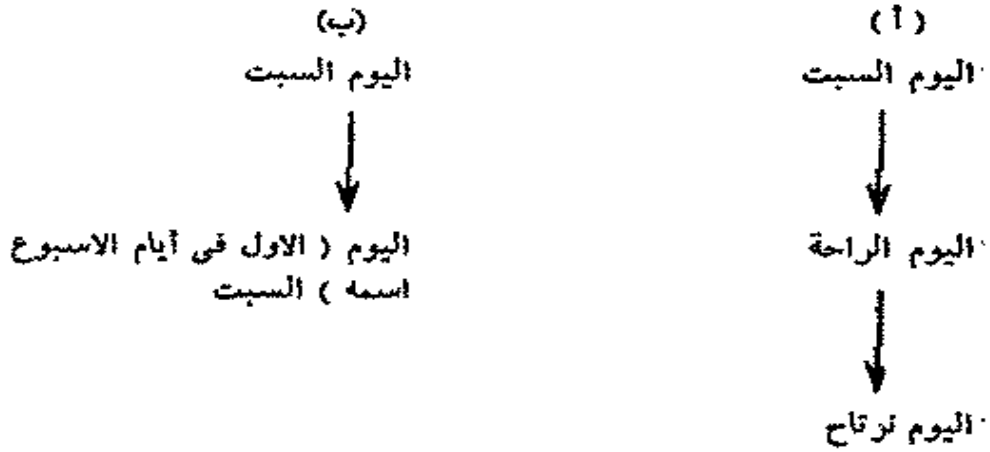
السيرافي : « ولم يجز في الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس الا الرفع ، وانما ذلك لأن الجمعة بمعنى الاجتماع • والسبت : بمعنى الراحة فهما مصدران يقعان في اليوم ، بمنزلة قوله : « اليوم القتال » (٣٠)

ويمكن وضع مخطط التحليل السابق بإجراء استبدال :

١ - بين مسمى الشيء وحدثه ، على النحو الآتى :



٢ - وبين مسمى الشيء وحدث معناه :



أما بقية أيام الاسبوع ، فلا تتضمن موادها الا دلالة واحدة . هي
مسمى اليوم بعينه فلا يمكن إحالتها الا الى جدول (ب) .

ويعنى ما تقدم أن مواد بعض الكلمات قابلية فى تعيين فروق
صرفية ، كما أن بعض هذه المواد ذو قابلية فى تحديد قول الجملة أو
رفضها تحويها ، كما عرضنا لذلك فى توطئة هذا الباب (٣١) . ويمكن

(٣١) ينظر : ص ١٦٨ فما بعدها .

أن نمثل لذلك بإسناد الفعل « مشى » إلى مسنده إليه ، يناقض عملية المشي (التي تحتاج إلى قدم) كما لو قلنا : « مشى الراديو » أو كما يقوله جارلس فلمور « أن هناك أفعالا لا تستعمل إلا مع أسماء للدلولات حية وإنسية مثل شرب وكتب » (٣٢)

وإذا نقلنا البحث إلى تأثير (المادة) في (الزمن) وجدنا أن للمادة قابلية في تعيين فروق نحوية في ضوء زمني ، ويتم ذلك بملاحظة الجملتين الآتيتين :

• زيد قادم

• وزيد عاقل

أن الفرق بينهما لا يمكن أن يلحظ إلا من خلال مادتيهما فكلمات الصيغتين (صفتا فاعل) يؤديان وظيفة (الخبر) ، غير أن الصيغة الأولى تشعر بزمن ، في حين تشعر الثانية بالوصف ، أي الحلو من الزمن .

ويمكن إجراء التحوير النحوي الآتي على الجملتين الآتيتين :

• ما هو ذا زيد ...

فينتج عن ذلك مؤلفان نحويان مختلفان ، هما (الحال) و (الصفة) :

• ما هو ذا زيد قادما حال

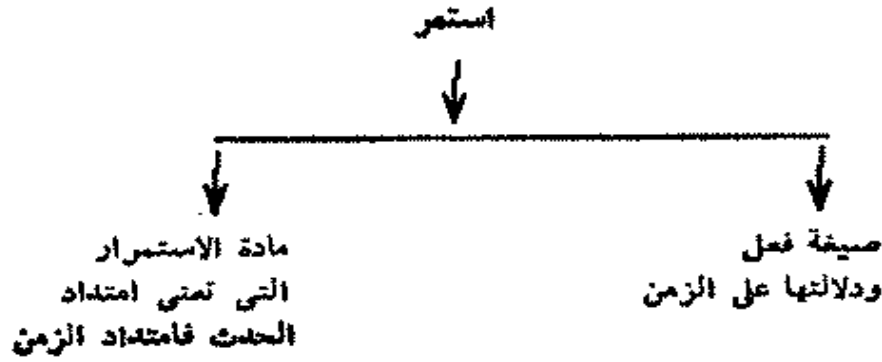
• ما هو ذا زيد العاقل صفة

فالصيغة الأولى لا تكون إلا مؤلف (الحال) ، ولا تكون الثانية إلا مؤلف (الصفة) . وكان (المادة) تعلن عن نفسها في ضروب كثيرة من الأبنية الصرفية والتراكيب النحوية ، وكان المؤلفات النحوية ، على هذه الجهة ، تخضع إلى المعنى لا المبني .

أن بعض الصيغ الفعلية والصيغ الملحقة بها (كالمصادر وأسماء الفاعلين) تشير إلى معنى زمني من جهة مادتها :

أن الفعل (استمر) ، مثلا ، تكمن في بنيته إشارتان زمنيتان ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

(٣٢) مجلة دراسات/مقالة النظرية التحليلية واللغة العربية : ٢٠١ -



ان تناول فعل آخر كـ « ذهب » أو : « انصرف » يوضح انقطاع
المادة عن الاتجاه الى الزمن فـ « ذهب » لا يدل على الزمن الا من جهة
صيفته . لنختبر الفعل « استمر » في المثالين الآتيين :

١ - استمر في الكتابة أمس .

٢ - استمر في العمل عاما واحدا .

سنلاحظ ان حدث الفعل « استمر » وقع في زمن ماضٍ مستمر
منقطع أي غير ممتد ويعني ذلك أن : (صيغة فعل + المادة = كان يفعل)
ويمكن اجراء الاستبدال الآتي مع المثال السابق

استمر في الكتابة أمس . حيث يكون :

كان يكتب أمس

فكان « استمر » ليس الا فعلا مساعدا . اذ لم يخرج شكل صيفته
عن الماضي . أما الاستمرار فانه يعبر عن (جهة) Aspect وليس عن
قسم زمني . وهكذا تحافظ صيغة الفعل « استمر » على مستواها الصرفي :
استمر في عمله أمس / يستمر في عمله الآن / سيستمر في عمله غدا .

فاذا تناولنا فعلا ثانيا هو « بقي » وجدناه يعبر بصيفته ومادته
عن زمن ممتد حتى الحاضر : (منذ سنتين ، مثلا حتى الوقت الحاضر) :

ك : بقي الأمر على ما هو عليه :

اذ تنطوي هذه الجملة على اشارة زمنية كما يأتي :

على ما هو عليه
في الماضي

بقي الأمر
الى الآن

فهذه الصيغ :

استمر ، يستمر ، سيستمر

بقى ، يبقى ، سيبقى

التي تندرج بوصفها شكلا Form في قسم زمني تتحول بموادها الى جهات في القسم الذي تدخل فيه . ويمكن ملاحظة ذلك بشيء من الوضوح في تحليل المركب : « سيبقى » ، فهذا المركب لا يعادل من حيث دلالة الزمنية : « سيفعل » بل يعادل : « سيظل يفعل » .

كما أن تناول مادة « فعل » كـ « خلا » يشير بوضوح أكبر في العربية الى اتجاه « المادة » نحو (الزمن) .

ان مادة الفعل (خلا) تدل في معنى من معانيها ، على المضي و « خلا الشيء خلوا : مضى » (٣٣)

غير أن مادة هذه الصيغة تشعر بجهة في الزمن الماضي : وهذه الجهة هي « الماضي البعيد » ويعكس الاستعمال القرآني هذا الأمر بصورة دقيقة ونستثنى منه (التراكيب الشرطية) التي جاء الفعل (خلا) في سياقها لأن (التراكيب الشرطية) يستقل في الأغلب بدلالة أجزائه .

تردد استعمال الفعل خلا في القرآن احدى وعشرين مرة وقد لحق حدثه الظرف « من قبل » خمس عشرة مرة .

كقوله تعالى « قد خلت من قبلكم سنن » (٣٤)

وقوله : « سنة الله في الذين خلوا من قبل » (٣٥) وقوله : « ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم » (٣٦) أما الاستعمالات الستة الباقية فإشارة البعد فيها واضحة ، تعكسها قرائن سياقية آخر . كقوله تعالى : « تلك أمة قد خلت » (٣٧) « إشارة الى الأمة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون » (٣٨) وقوله : « وقد خلت سنة الأولين » (٣٩) « طريقتهم ... حين كذبوا برسلهم ... وهو وعيد لاهل مكة » (٤٠)

(٣٣) لسان العرب : ١٤ : ٢٤١ .

(٣٤) آل عمران : ١٣٧ .

(٣٥) الأحزاب : ٣٨ .

(٣٦) البقرة : ٢١٤ .

(٣٧) البقرة : ١٢٤ .

(٣٨) الكشاف : ١ : ٣١٤ .

(٣٩) الحجر : ١٤ .

(٤٠) الكشاف : ٢ : ٢٨٨ .

بل ان الاستاذ حامد عبد القادر كما لاحظنا ذلك في الفصل الثالث /
مبحث « نقد الجداول الزمنية » (٤١) ، جعل :

قد + صيغة فعل + قبل أو من قبل = قد فعل قبل ، أو من قبل .
مركبا زمنيا ذا دلالة على « الماضي البعيد » (٤٢) فالآيات القرآنية في سياق اشارة الى ماضى بعيد جرت فيه أحداث يعيدها الله ليعتبر بها الناس حيث يعكس الفاصل الزمني ، أو النظر الى الأحداث المنقطعة دلالة نفسية معينة . ان البعد يتحصل على جهة اللغة من : قرينة سياقية (كالاشارة الى أمة غابرة) + مادة الفعل (خلا) + الظرف (من قبل) .
فاذا انتقلنا الى استعمال الفعل «مضى» ، الذي يرادف (خلا) في المعنى المعجمي ، في القرآن وجدنا أنه لم يرد في هذا المنحى قط .

استعملت مادة « المضي » في القرآن خمس مرات ، وردت بثلاث صيغ مفارقة لصيغة الماضي وهي : (أمضى (٤٣) ، أمضوا (٤٤) ، مضيا (٤٥))
أما الاستعمال الرابع فورد في الفعل الماضي في سياق شرطي وهو قوله تعالى : « ان يعودوا فقد مضت سنة الاولين » (٤٦) وفي هذا السياق ايضا يكون الخطاب موجها الى « الاولين » من كفار قريش وليس الاولين من الأمم الحالية . ويعرفهم الزمنخشي بـ « الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر » (٤٧)

أما الاستعمال الأخير فقولہ : « ومضى مثل الاولين » (٤٨) فإن « مضى » فيه ليس ذا دلالة على ماضى بعيد بل معناه : « سلف » في القرآن في غير موضع منه ، ذكر قصتهم (٤٩) وهكذا نجد بنية الفعل « خلا » تنطوي على اشارة الى الزمن ، اشارة بصيغته ، و اشارة بمادته ، فكان « خلا » لا يعنى « مضى » بل يعنى : « كان مضى » وتلمح التلميح ذاته في الصيغ الفعلية والمتحقة بها التي تنطوي موادها على معنى زمنى .

فيبدو أن المادة في العربية اذا تضمنت حدثا ممتدا ، أو حدثا ثابتا

(٤١) انظر : ص ١٠٦ من الفصل الثالث .

(٤٢) مجلة مجمع اللغة العربية/مقالة : معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم :

١٠ : ٦٩ .

(٤٣) الكهف : ٦٠ .

(٤٤) الحجر : ٦٥ .

(٤٥) يس : ٦٧ .

(٤٦) الأنفال : ٣٨ .

(٤٧) الكشاف : ٢ : ١٥٧ .

(٤٨) الزخرف : ٨ .

(٤٩) الكشاف : ٣ : ٤٧٨ .

كحدث الصفات في الأفعال اللازمة ومنه « حسن زيد » أي صار ذا حسن ، يبدو أنها تفيد في الجهة الزمنية ، وليس في القسم الزمني . وكذا الأمر إذا قلنا البحث إلى ما يصطلح عليه عند النحاة بـ « الأفعال الناقصة » كـ « مازال وظل وأصبح وأضحى » : وهي ما يمكن أن يصطلح عليها بـ (قرائن الزمن) : وهي القرائن التي تستقل كل واحدة منها بالدلالة على وقت بحسب مادتها . فـ « ظل » مثلا : تفيد الاستمرار في وقت معين وهو النهار (٥٠) . وكذا قرائن المعنى أو أفعال المقاربة كـ « كاد » وأفعال الرجاء كـ « عسى » وأفعال الشروع كـ « أنشأ » ... الخ .

ونلاحظ على مواد « مازال » وأخواتها : « مافتى » ، « ما برح » ، « ما انفك » ، « مادام » أن دلالة موادها على الزمن تسلب (التغاير) بين أشكال صيغها دلالة على الفروق الزمنية ، فإذا وضعنا بإزاء الصيغتين اللتين يسوقهما ابن عقيل (٥١) صيغتين مضارعتين على النحو الآتي :

مازال زيد ضاحكا — لا يزال زيد ضاحكا

مازال عمرو أزرق العينين — لا يزال عمرو أزرق العينين

لم نجد فرقا ما في الأقسام الزمنية ، وتعبر الصيغتان « مازال » و « لا يزال » عن امتداد الزمن من الماضي حتى الحاضر (٥٢) .

لكن التغاير بين أشكال الصيغ يحافظ على دلالة الفروق الزمنية فيما عدا ذلك ويمكن أن يتضح ذلك في الأنساق القرآنية التي تنتظم : « كاد » و « يكاد » حيث تدل الأولى على اقتراب وقوع الحدث في الماضي ولم يقع ، أما الصيغة الثانية « يكاد » فتدل على اقتراب وقوع الحدث في الحاضر (٥٣) .

فكان هناك انسجاما بين مدلول المادة ودلالة الصيغة في التعبير عن الزمن ، فالصيغة تعبر عن قسم من أقسام الزمن (الماضي ، الحاضر ، المستقبل) والمادة تعبر عن جهة في هذا القسم .

لكن الدكتور مصطفى جمال الدين نقل ملاحظة الأصوليين في

(٥٠) ينظر شرح ابن عقيل : ١ : ٢٢٢ وسنرى للمركبات الزمنية التي تنشأ من تركيب هذه المواد مع الصيغ الفعلية في الدراسة التطبيقية للزمن .

(٥١) ينظر شرح ابن عقيل على الألفية : ١ : ٢٢٢ .

(٥٢) سنرى في الدراسة التطبيقية للزمن ما إذا كان تغاير أشكال الصيغ ما هنا يعبر عن وجود دلالتها الزمنية أم أن الغريبة تنوحي من وراء استعمال هذا التغاير ضربا آخر من الفروق الزمنية .

(٥٣) سنعرض في الدراسة التطبيقية لـ « كاد » و « يكاد » بتفصيل واف .

التنازع بين « المادة » و « الصيغة » في انجاههما الدلالي على الزمن .
 اذ عرضوا لصيغ الأفعال الماضية ذوات الزمنية فرأوا أن « مثل
 هذا الزمن المنقضى المتصرم لا يتناسب مع وضع كثير من مواد الأفعال ،
 فيقع التناقض حتما بين مدلول الصيغة ومدلول المادة ، مع أنها يكونان
 المعنى المركب للفعل كما هو المفروض . خذ مثلا لذلك الافعال الآتية :
 « حسن زيد » و « قبح عمرو » و « علم الله » و « بقي الأمر كما ترى »
 و « استمر الحال وظل ودام وما انفك » . وما زال وما برح وأمثالها .
 فإذا كانت صيغها دالة على الانقضاء والانصرام ، وموادها دالة على البقاء
 والاستمرار وقع التناقض بين مدلولي الكلمة الواحدة ، ولا مخرج منه الا
 بتجريد (الصيغة) من الانقضاء ، أو تجريد (المادة) من الاستمرار ،
 وكلاهما غير معقول ، بل المعقول هو أن الصيغة لا تدل على أكثر من
 تحقق الحدث » (٥٤) .

ويتضح من التحليل السابق أن الأصوليين صدروا في هذه النقطة
 عن المنطق العقلي المجرد . ولقد أوضحنا أن دلالة الاستمرار ، دلالة جهة ،
 وليست « دلالة قسم » ، وأن هسله الجهة واقعة في دلالة صيغتها فلا
 تناقض بينهما كما زعم . أما قول الدكتور مصطفى جمال الدين « أن
 الصيغة لا تدل على أكثر من تحقق الحدث » فمشعر بأمرين :

١ - أن تحقق الحدث يعني الانصرام فالمنفى ، كما افترض بعض
 الأصوليين .

٢ - أن تحقق الحدث يعني « تمام الفعلية » أي تمام فعلية صيغة
 (فعل) في أي زمان كانت ، وهو رأي المستشرق بول كراوس المتقدم .
 وهذه النقطة لم يوضحها الدكتور مصطفى جمال الدين ، ولكنها تحل
 معضلة التناقض بين « المادة » و « الصيغة » . فالحكم على صيغة « فعل »
 بأنها تدل على ماض مطلقا ليس دقيقا ونرى ذلك في كثير من الاستعمالات .
 كقوله تعالى :

« الآن حصحص الحق » (٥٥) وقوله « اليوم أكملت لكم دينكم »
 فمادتنا « حصحص » و « أكمل » لا تدلان على استمرار ، ومع ذلك وقعتا
 على طرفي زمن دالين على الحاضر ، وهما هنا لا يمكن أن نفترض وجود تنازع
 بين دلالة الصيغة ودلالة مادتها .

(٥٤) البحث النحوي عند الأصوليين : ١٧٠ .

(٥٥) ينظر : يوسف : ٥١ .

الدلالة العامة للتركيب والزمن :

يقدم الأستاذ حامد عبد القادر مثالا على ما يمكن أن نستخدمه على تسميته : (الزمن التركيبي) ، وهو : « حينما تصل الى الدار فيكون أخوك قد خرج منها » (٥٦) حيث ينتج عن ذلك زمن يصطلح هو على تسميته : « الماضي الاستقبالي » (٥٧) .

ان الزمن في التركيب السابق ينحصر من :

(١) تضافر الصيغ :

تصل + يكون + قد خرج

(ب) وقوعها في إطار تعليق زمني . أي ارتباط حدثين أو أكثر زمنيا :

تصل أنت الى الدار + يكون أخوك قد خرج منها بواسطة أداة التعليق الزمنية حينما وأداة الربط الفاء . ويعني ذلك أن زمن الماضي الاستقبالي استخلص من مجموع إمكانات السياق أي لم يعد لشكل الصيغة في المستوى الصرفي أو لحركتها في المستوى النحوي دور في تحديد الزمن اللغوي . وتوضح المناظرة (٥٨) التي جرت بين الأستاذ عباس محمود العقاد وبعض الأساتذة الذين أفادوا من الاتجاهات الحديثة في البحث اللغوي المعاصر ، مفهوم الزمن الذي يترشح عن الدلالات العامة في السياق .

لقد خلط الأستاذ (العقاد) ، فيما يبدو ، بين (الزمن) بوصفه صيغا ومركبات زمنية و « الزمن » بوصفه إحساسا ووقتا . وقد تمثل هذا الخلط في جعله « المفردات » الدالة على الزمن ، دالة على غنى العربية في التعبير عن الزمن بمفهومه اللغوي . فقد رأى أن العربية قد وجدت فيها كلمات « البكرة » ، والضحى ، والغداة ، والظهيرة ، والقائلة » (٥٩) . الخ ، وعد ذلك ميزة في اللغة العربية بسبب من أن « هذا التقسيم يكاد ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الأوقات في كثير من

(٥٦) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٦٦ .

(٥٧) المصدر السابق : ٩٠ : ٦٦ .

(٥٨) وقد أعقبت هذه المناظرة معاضرة الأستاذ عباس محمود العقاد : « الزمن في اللغة العربية التي ألقاها في دار الجمعية الجغرافية المصرية عام ١٩٥٧ » ونشرت في مجلة مجمع اللغة العربية ، في عددها الرابع عشر .

(٥٩) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٣٨ .

اللغات الأخرى إلا بالجمل والتراكيب « (٦٠) ، وتلك ميزة حقا ، ولكن من ملاحظ ثان : هو : ثروة مفردات لغة ، دون لغة أخرى ، في التعبير عن أدق الأجزاء في الشيء الواحد . بحيث يكون للمدلول ، الذي يمكن تجزئته ، الكثير من الدالات ، ولكن ذلك لا ينحصر في « الزمن » وحده ، بل يشمل موضوعات كثيرة : كأعضاء الحيوان ، والمرضى ، والمشي ، والطعام ... الخ . ويمكن ملاحظة ذلك ، بوضوح ، في (معجم المعاني) (٦١) .

يكون المعجم الزمني جزءا من الزمن اللغوي إذا تحولت المفردات الزمنية في السياق عن مسارها المعجمي لتؤدي وظيفة ما اصطلاح عليه بالظروف الزمنية ، والظروف الزمنية ، كما سنلاحظ ذلك في الفصل القادم جزء من نظام الزمن الدلالي ، إذ هو توقيت في الزمن اللغوي . أما الزمن اللغوي ذاته فما يعبر عنه الأستاذ العقاد نفسه بقوله : « ارتقاء اللغة يظهر من علامات الزمن في أفعالها » (٦٢) ، وعلى الرغم من أن موضوع (الارتقاء) يدرس خارج المناهج اللغوية بوصفه عملا فكريا في بنية لغوية ، أي كانت تلك البنية ، فإننا نفيد من مقولة (العقاد) في ارتباط الزمن اللغوي ، في جوهره ، بالصيغ ، وليس بالاحساس أو المفردات كما عبر هو عنه .

ولقد حاول مناقشوه تأمين منطلق منهجي لموضوع الزمن اللغوي ، فقد أشار الأستاذان كمال بشر ونظام حسان إلى أن الدراسة اللغوية الحديثة تنجس إلى التفريق بين الزمن المنطقي (الفلسفي) و (اللغوي) ودعوا إلى وجوب التفرقة بينهما (٦٣) غير أنهما لم يتوسعا في تحديد سمات (الزمن اللغوي) .

أما الدكتور إبراهيم أنيس فقد عاد ليؤكد لا نمطية العربية زمنيا ، حيث تجاوز ، متابعا (العقاد) ربط الزمن بالصيغة في مجالها الصرفي والنحوي ، وهكذا نجد أنه يسم نظام الزمن في اللغة العربية بأنه (نظام دلالي) .

يرى الدكتور إبراهيم أنيس : « أن الأساليب العربية تعبر عن

(٦٠) المصدر السابق : ١٤ : ٢٨ .

(٦١) كالخصص لابن سيده . ولفه اللغة للمعالي .

وانظر : المعجمات العربية : ٥٩ .

(٦٢) مجلة اللغة العربية : مجلة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٣٧ .

(٦٣) مجلة مجمع اللغة العربية : مجلة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤٥ . ٤٧ .

كل الأزمنة بطريقة تتفق مع طبيعة العربية نفسها ، وذلك برود :
فعل بعد فعل ، لا برود لفظ أو أداة تلحق بالفعل » (٦٤) .

وكما هو واضح في النص السابق ، يبعد الدكتور أنيس (اللفظ)
أي (الشكل) ، والأداة تلحق الفعل أي (المركب الزمني) ، بوصفهما
معبرين زمنيين ، ومن ثم يجعل الزمن متوطاً بالأساليب حيث يقدم
مثاله عن زمن الأساليب وهو تركيب : « عفا الله عما سلف » (٦٥)
يقول : « عندنا فعلاً كلاهما ماضٍ - زمن الأول بعد زمن الثاني - لأن
العفو جاء بعد الذي سلف - ف « سلف » هذا عبر عنه بـ « ما قبل
الماضي » (٦٦) وهذا المثال يطابق مثال الماضي الاستقبالي الذي عرضنا
له (٦٧) . كما يعرض الدكتور أنيس للآية : « قد مكر الذين من قبلهم
فأتى الله بنيانهم من القواعد » (٦٨) على الوجه نفسه : « حيث أن زمن
« أتى » هو ما سمي بـ « ما بعد الماضي » (٦٩) . فهذه المصطلحات :
« قبل الماضي » ، « بعد الماضي » ، (الماضي الاستقبالي) ، قد وصفت
بها بنية العربية الزمنية وصفاً مجازياً لأن هذه البنية لا تنطوي على
« صيغ » هذه المصطلحات بل على ما يترشح عن الدلالات العامة في
السياق ، أو ما يصدر عن بعض التراكيب التي نشأت حديثاً من زمن .

وإن منطلق هذه التسميات واحد وهو إقامة مطابقة بين العربية
ولغات أخرى : فالأستاذ حامد عبد القادر قارن ، في هذا الجانب ، بين
العربية والفارسية (٧٠) .

والدكتور إبراهيم أنيس حاول تثبيت ما سسمي بـ (التقسيم
الزمني السباعي) « قبل الماضي - الماضي - بعد الماضي - الحاضر - قبل
المستقبل - المستقبل - بعد المستقبل » . على غرار ما هو موجود في
كثير من فروع الفصيلة الهندية - الأوربية (٧١) .

ويبذل الدارسون المعاصرون في حقول اللغات المختلفة جهداً شاقاً
في تليق Invention مصطلحات زمنية تستند إلى ما يترشح

(٦٤) المصدر السابق : ١٤ : ٥١ .

(٦٥) المائدة / ٩٥ .

(٦٦) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٥١ .

(٦٧) انظر مفسون الهامشي (١) من هذا المبحث .

(٦٨) التحل : ٢٦ .

(٦٩) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٥١ وانظر

من أسرار اللغة : ١٦٧ .

(٧٠) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٠ : ٦٦ .

(٧١) ينظر من أسرار اللغة : ١٦٧ .

عن تركيبات نحوية ملفقة أيضا من دلالات زمنية متنوعة ، كما فعل
الدكتور عبد الرسول الحفاجي في مؤلفه :
Description and contrastive Analysis of Tenses and Time in English
• (٧٢) and Arabic.

كما أن بعض الدراسات وضعت ، من هذا المنطلق الخاطئ ،
الصيغ الزمنية العربية في ظلال الصيغ الزمنية الانجليزية : حيث نصت
على أنه « يخضع زمن الفعل في العربية لتقسيمات ثلاثة : مضارع ،
ماضي ، أمر » (٧٣) وهذه المصطلحات ، كما بينا في هذا المبحث وكما
كنا بينا في الفصل الثاني من هذه الرسالة ، مصطلحات تصريفية
ودلالية ، وليست مصطلحات زمنية .

إن ربط زمن اللغة العربية بالدلالات المحصورة من السياق يعد
وجها من وجوه نفى الزمن في العربية ، أو الحكم على عدم وجود (نمط
زمني) في العربية ، ومن ثم عدم وجود صور لهذا النمط - صيغ ،
مركبات - أو على وجه أدق أن لهذه الصيغ وتلك المركبات أثرا ضعيفا
في توجيه حركة الزمن في العربية .

الدالات الزمنية في السياق :

عرضنا في المبحث السابق لدلالة التراكييب العامة على الزمن . أما
في هذا المبحث فنعرض للدالات الزمنية في السياق : ونقصد بها : كل
ما عين زمنا لغويا أو كل ما كان مصدرا لتعيين الزمن اللغوي في السياق
تجاوزا لمداول أشكال الصيغ عليه (فعل ، يفعل) والمركبات الزمنية
« سوف أفعل ، كان فعل » والتركيبات الجملية « عفا الله عما سلف »
ويعنى ذلك أننا سنتناول دالات زمنية لفظية ، ودالات زمنية معنوية أي
أمثلة مما يعرف بـ « الدلالة الخارجية » أو الظرف المحيط بالسياق
اللغوي .

فمن الدالات اللفظية والمعنوية : « ما في الخبر في حديث عبد الله
بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي ، حصنه . قال : فأنتهيت
إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أنى هو من البيت . فقلت : أبا
رافع ، فقال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا
دهش » (٧٤) .

(٧٢) مخطوطة باللغة الانكليزية .

(٧٣) بنية الكلمة بين العربية والانجليزية : ١٣ .

(٧٤) دلائل الإعجاز : ١٤١ .

فكما نلاحظه في هذا النص أن الفعل المضارع « أضرب » دل بالمعنى العام لسياقه على زمن ماض ، كما دل عليه أيضا بدالات لفظية - كوجود صيغة الفعل الماضي « أهويت » و « عطفه بانفاء على ماض لأنه في المعنى ماض » (٧٥) « لاشتراط اتحاد الزمان بالفعلين المتعاطفين » (٧٦) .

وهكذا « لا يشك في أن المعنى في الخبر « فاهويت فضربت » (٧٧) ومن أمثلة الدالات الزمنية اللفظية في السياق التي ينسب فيها (الزمن) الى الصيغ تجاوزا ما يصطلح عليه الأستاذ حامد عبد القادر بـ « أسلوب الاستفهام » ويشمل : السؤال والاستفتاء والاستنباء » (٧٨) ويمثل ذلك بقوله تعالى : « يسألك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس » (٧٩) وقوله : « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم » (٨٠) وقوله - سبحانه - : « ويستنبئونك أحق هو ؟ : أي وربي » (٨١) .

ويرى أن المضارع في أسلوب الاستفهام هذا يدل على وقوع الحدث في الزمن الماضي » (٨٢) .

ونحن نختلف معه فيما لح من إشارة الى الماضي في السياقات القرآنية السابقة ، لأن النص على أن هناك إشارة زمنية صادرة عن الصيغ المضارعية لا يحقق المعنى المتوخى من البنى اللغوية تلك ، ويمكن أن نفترض ما يأتي لتحقيق وقوع أحداث : السؤال ، الاستفتاء ، الاستنباء ، في الماضي :

وقد سألك عن الأهلة ، واستفتوك في النساء ... الخ فهل هذه هي دلالة صيغة (يفعل) في تلك الأنساب التركيبية ؟ المكونة - كما يلاحظ الأستاذ حامد عبد القادر - في الأمثلة الآتية :

السؤال (الدال على الاستفهام) + الأمر المستفهم عنه + الجواب

-
- (٧٥) المصدر السابق : ١٤١ .
 (٧٦) صبح الهوامع : ١ : ٨ .
 (٧٧) دلائل الإعجاز : ١٤١ .
 (٧٨) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني المضارع في القرآن الكريم : ١٣ : ١٥١ .
 (٧٩) البقرة : ١٨٩ .
 (٨٠) النساء : ١٢٧ .
 (٨١) يونس : ٥٣ .
 (٨٢) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني المضارع في القرآن الكريم : ١٣ : ١٥١ .

عن السؤال مسبوقا بفعل الأمر « قل » (٨٣) أي (يفعلون / افعل) .

يجيب الأستاذ حامد عبد القادر ب : « أن كل أسلوب من هذه الأساليب بمثابة أسلوب شرط . فكأنه تعالى - وهو أعلم - قال : « ان يسألوك عن الأهلة فقل » (٨٤) .

وتلك هي الدلالة الحقيقية لصيغة « يفعل » التي فرغت من « الزمن » ، وجرى بها دالة على حكم عام ، كما هو شأن الصيغ جميعها في السياق الشرطي الذي يتعين الزمن فيه على هدى دلالات أخرى .

فكان شكل التركيب ، في تلك السياقات ، (وهو فيها شكل شرطي) قرينة لفظية عينت قيمة الزمن اللغوية ، بما يمكن أن نرمز لها عددياً هنا ب : (صفر) .

ومن أمثلة اللغات الزمنية اللفظية والمعنوية ما يتمثل بطرف السياق + الدلالة الفعلية لـ (شكل صيغة) .
ومنه قوله تعالى :

« واذا يرفع إبراهيم القواعد » (٨٥) فما هنا تجردت صيغة المضارع « يرفع » من دلالتها على الزمن .

وصار مصدر الزمن في عمق التركيب السابق دلالة صيغة المضارع الفعلية (٨٦) التي تعبر في إحدى مناحيها عن استحضار الصورة أو ما اصطلح عليه بـ « حكاية الحال » (٨٧) مضافاً إليها ما يكتنفها من سياق تاريخي للنص ، وليس كما زعم من أن مصدره (اذ) التي في سطح التركيب (٨٨) .

يقول الزمخشري : « يرفع » حكاية حال ماضية ... وروى أنه كان مؤسساً قبل إبراهيم ، فبنى على الأساس ... » (٨٩) .

ومن هنا وقع بعض المعاصرين في وهم اسناد الزمن إلى « الصيغ »

(٨٣) المصدر السابق : ١٣ : ١٥٢ .

(٨٤) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني للفسارح في القرآن الكريم :

١٣ : ١٥٢ .

(٨٥) البقرة : ١٢٧ .

(٨٦) ينظر في مفهوم الفعلية الفصلان الأول والثاني من هذه الرسالة .

(٨٧) ينظر الفصل الثاني (إمكانات الصيغة) ففيه تفصيل هذا الموضوع .

(٨٨) ينظر الفصل القادم (الطرف) الذي يفرغ على مبحث مستقل بـ « اذ » .

(٨٩) الكشف : ١ : ٣٦٦ .

في مثل هذه التراكييب : يقول الأستاذ عباس حسن « ينصرف زمنه للمضى اذا سبقته اذ » (٩٠) ويقول الأستاذ حامد عبد القادر « وأما دلالة المضارع في القرآن الكريم على وقوع الحدث في الزمان الماضي فله أمثلة كثيرة وأساليب مختلفة أشهرها أسلوبان هما أسلوب الاستفهام ، وأسلوب اذ ، ومن ذلك قوله تعالى : « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى » (٩١) وقوله : « واذ نخرج الموتى باذنى » (٩٢) ، (٩٣) .

ان الزمن في سياق « اذ » ليس مقصودا اليه بذات الصيغة بل الصيغة تعكس ظلالها الفعلية حسب والزمن يصدر عن ظرف السياق . ويكون من قبيل تحصيل الحاصل ، أو : الالتزام ، على لغة المنطقة أن تقع صيغة الفعل في مجرى زمن السياق نفسه .

وبعبارة أخرى - وها هنا ملحظ دقيق - أن المحدثين رأوا أن شكل المضارع لم يناقض الزمن الماضي ، ليس هذا حسب بل ذهبوا الى أن هذا الشكل « يفعل » دل « على وقوع الحدث في الزمن الماضي » (٩٤) وفي هذا نظر كما يقول القدماء . فهناك فرق بين أن تقع الصيغة الفعلية في سياق زمن أو تعبر هي عن زمن .

ان صيغة « يفعل » ها هنا لم تعبر عن (زمنية) بل هي ها هنا شكل المضارع لم يناقض الزمن الماضي ، ليس هذا حسب بل ذهبوا الى عبد القادر نفسه ، وهو يعقب على وقوع صيغ المضارع دالة على الماضي بعد « اذ » فيقول : « فسياق الحديث ، والأحداث التاريخية تدل على أن كل فعل مسبوق بـ « اذ » من الأمثلة السابقة يدل على وقوع حدث في الماضي ، (٩٥) فالفعل ، ها هنا ، لا يدل على وقوع حدثه في الماضي ، بل لا يدل على وقوع حدثه في زمن . ان النمل على زمن هو السياق التاريخي . والا فقدت ظاهرة تباين الصيغ بعد « اذ » في القرآن مسوغ ورودها ، وصار من العبث البحث في ماهية الاختلاف الزمني فيما يأتي من قول كريم :

(٩٠) النحو الوالى : ١ : ٦١ .

(٩١) الثالثة : ١١٠ .

(٩٢) الثالثة : ١١٠ .

(٩٣) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني المضارع في القرآن الكريم :

١٣ : ١٥١ ، ١٥٢ .

(٩٤) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني المضارع في القرآن الكريم : ١٣ : ١٥١ .

(٩٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني المضارع في القرآن الكريم :

١٣ : ١٥٣ .

« اذ قسأل (٩٦) » . « اذ تقسول (٩٧) » .

« واذا أوحيت (٩٨) » . « اذ يوحى (٩٩) » .

وهذا هو ما ينتهى اليه الأستاذ حامد عبد القادر من أن : « دلالة الفعل (المضارع) على هذا الزمن (الماضى) لا تستفاد من مادته ولا من صورته » (١٠٠) وكان ذلك نقض لقوله : « دلالة المضارع على وقوع الحدث فى الماضى » (١٠١) .

ومن أمثلة الدالات المعنوية فى السياق لتحديد الزمن ما نقله صاحب (الهمع) عن ابن مالك وهو يعرض لقوله تعالى : « واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها » (١٠٢) : « أن » اذا « وقعت للماضى . فان الآية نزلت بعد انفضاضهم » (١٠٣) .

ويعنى ذلك أن الزمن لم تعينه أشكال الصيغ ، ولا الأدوات .
ولا نوع الأسلوب اللغوى . بل عينه السياق التاريخى .

ومن ضروب دلالة السياق التاريخى بكونه مصدرا ، لا يعدله مصدر ، فى تحديد الزمن . قول صاحب « الهمع » : « ذكر بعضهم فى « ميقول السفهاء » الآية » (١٠٤) مدعى أن ذلك إنما نزل بعد قولهم : « ما ولاهم » (١٠٥) فجاءت « السين » اعتسلا بالاستمرار لا بالاستقبال » (١٠٦) فكان (السياق التاريخى) هو الذى يحدد القسم الزمنى الذى تشير اليه القرينة : « السين » بعد أن يطرح الصيغ بوصفها دالات زمن ، وبعبارة أخرى يقدم لنا أمثلة مما اصطللنا عليه بالزمن الدلالي دون الزمنين النحوى والصرفى .

(٩٦) المائدة : ١١٢ .

(٩٧) آل عمران : ١٢٤ .

(٩٨) المائدة : ١١١ .

(٩٩) الأنفال : ١٢ .

(١٠٠) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني المضارع فى القرآن الكريم .

١٢ : ١٥٢ .

(١٠١) المصدر السابق : ١٣ : ١٥١ .

(١٠٢) الجمعة : ١١ .

(١٠٣) جمع الهوامع : ١ : ٧٢ .

(١٠٤) البقرة : ١٤٢ .

(١٠٥) البقرة : ١٤٢ .

(١٠٦) جمع الهوامع : ١ : ٧٢ .

وفي ضسوء السياق التاريخي للنص يرد الرضى على من قال بأن
معنى قوله تعالى : « ان كنت قلتة ٠٠ » (١٠٧) هو : « ان اكن قلتة ٠٠ » :
« بأنه ظاهر الفساد لأن هذه الحكاية انما تجرى يوم القيامة » (١٠٨) .

ويقدم الدكتور ابراهيم أنيس نص حوار بين رجلين نشأ في الفصح
البيئات العربية . وسنلاحظ في هسذا النص كيف توجه « الظروف
التاريخية » للسياق حركة « الصيغ » نحو الزمن . النص : « لما اعتزل
عقيل بن أبي طالب أخاه عليا الى معاوية . قال معاوية : « أنا خير لك
من أخيك علي » فقال عقيل : (صدقت . ان أخى آثر دينه على دنياه وأنت
آثرت دنياك على دينك) . يقول الدكتور أنيس معلقا : (فإذا بحثنا على
ضسوء (١٠٩) هذا الطرف اللغوى عن معنى قول عقيل أدركنا أن عقيل
عبر عن عادة « علي » وعادة « معاوية » .

ان ايتسار على الدين أمر قد ألفه وأصبح له بمثابة الغريزة
والطبيعة ، ونرى لهذا أن صيغة الفعل « آثر » التي قيل انها تعبر عن
حدث في الزمن الماضي تفيد هنا التعبير عن صفة عادة لا تتعلق بزمن
معين » (١١٠) .

ويقارن الدكتور ابراهيم أنيس النص السابق بنص آخر ، وهو
ما روى من حوار بين معاوية وابن عباس : قال ابن عباس : « نصر أبي
أباك في الجاهلية وحقق دمه في الاسلام » يقول الدكتور ابراهيم أنيس :
« هنا أشار الى واقعتين معينتين حدثتا في الماضي » ثم يستخلص من
مقارنة النصين السابقين النتيجة الآتية : « نفس الصيغة التي عبرت في
الطرف اللغوى الأول عن العادة ، عبرت هنا عن حادثة مقترنة بزمن معين
في الماضي » (١١١) .

ويعنى هذا أن الصيغة تجاوزت الجدول الزمني الصرفى وجداول
التوزيع النحوى الى الملايسات الخارجية ، وهو ما رمزنا له بالثنام «ز»
ب « د » .

لكن ما نختلف فيه مع تحليل الدكتور ابراهيم أنيس هو أن الطرف
اللغوى للنصين اللذين أوردهما كان مصدر تحديد الزمن وليس الصيغة .

(١٠٧) الماتة : ١١٦ .

(١٠٨) شرح الكالية : ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(١٠٩) الأصح أن يقول : فى ضسوء .

(١١٠) من أسرار اللغة : ١٧٢ .

(١١١) المصدر السابق : ١٧٣ .

فالصيغة قد استعملت في ضسوء قانون تيسادل المواقع بين الصيغ (١١٢) . والا كان القول « ان اخى يؤثر دينه على دنياء واثت تؤثر دنياءك ... الخ »

ومن ضروب التنازع بين ما سميناه « الزمن الدلالى » و « الزمن النحوى » ما أورده سيبيويه من : « أنك لو قلت : « هلا زيدا ضربت » « ولولا زيدا ضربت » ، جاز ، وانما جاز ذلك لأن فيه معنى التحضيض والأمر » (١١٣) فكان سيبيويه يشير الى أن هناك حثا على حدث لم يقع وكان :

ضربت = ستضرب

والخص هنا مصدر تحديد الزمن .

لكن السكاكى جعل (الصيغة) النحوية مصدر تحديد الزمن في هذا السياق . قال : « ليتولد منه في الماضى « التنديم » . وفى المضارع (التحضيض) نحو : « هلا أكرمت زيدا » و « هلا تقوم » (١١٤) أى :

هلا أكرمت زيدا الزمن ماض بشكل الصيغة « فعل » والمعنى (تنديم) لأن الندم موضوع في الماضى (فعل)

أو : شكل الصيغة ماض ————— تنديم

هلا تقوم الزمن حاض بشكل الصيغة « يفعل » والمعنى « تحضيض » لأن التحضيض موضوع في الحاضر .

أو : شكل الصيغة (يفعل) حاض ————— تحضيض

ومن أمثلة الاحتكام الى المقام الدينى لتحديد زمن السياق قوله تعالى : « علم الله » (١١٥) وبه نتبين وجه الخطأ فى رأى بعض الأصوليين : أن صيغة « علم » ههنا دالة على الانقضاء والانصرام . ومادتها دالة على البقاء والاستمرار (١١٦) .

(١١٢) ينظر : الفصل الثانى من علم الرسالة : « إمكانات الصيغة »

(١١٣) الكتاب : ١ : ٩٨ .

(١١٤) التلخيص : ١٥٢ .

(١١٥) البقرة : ١٨٧ .

(١١٦) ينظر البحث النحوى عند الأصوليين : ١٧٠ .

والصحيح أنه ليس في مادة « علم » دلالة على الاستمرار ، بل
الاستمرار تحصل من إسناد الفعل إلى الله تعالى ، فصار علما مطلقا .

ومن أمثله أيضا ما أسنده الدكتور إبراهيم السامرائي إلى حدث
الماضي من أنه كان قد أنجز واستمر على هذه الحال ، أي منجزا حتى
زمن التكلم (١١٧) . نحو قوله تعالى : « اذكروا نعمتي التي أنعمت
عليكم » (١١٨) . والصحيح أن دلالة حدث الفعل على الاستمرار لألفه
مسند إلى الله تعالى .

ومن ضروبه أيضا كان في القرآن الكريم إذا أسندت إلى الله تعالى .
كقوله : « أنه كان عليما قديرا » (١١٩) لأنه « قد يراد من الزمن في
الفعل « كان » الدوام والاستمرار الذي يعم الأزمنة الثلاثة بشرط وجود
قرينة تدل على هذا الشمول نحو : « وكان الله غفورا رحيما » (١٢٠) (١٢١)
والقرينة هنا المقام الديني .

ومن أمثلة هذا الوجه ما أسنده النحاة إلى الأداة « لم » و « لما »
أداة النفي ، من فروق في الدلالات . فهم قد نصوا على أن « لما » :
« تختص بوجوب اتصال نفيها بحال النطق » (١٢٢) .

وكان عليهم أن ينصوا على انقطاع متغى « لم » عن الحال ، غير أنهم
حين عرضوا لأمثلة من قوله عز وجل مثل : « لم يلد ولم يولد » لم يجعلوا
هذا من أسناد دلالة اتصال نفيها أيضا بحال النطق ، وجعلوا ذلك على
الجزاز فيها والوجوب في « لما » (١٢٣) ، والحق أن أسناد هذه الدلالات
مصدره المقام الديني الذي يكتنف السياق اللغوي .

(١١٧) ينظر الفصل زمانه وأينيته : ٢٨ .

(١١٨) البقرة : ٤٠ .

(١١٩) طاهر : ٤٤ .

(١٢٠) النساء : ٩٦ .

(١٢١) النحر الوائلي : ٦ : ٥٥ .

(١٢٢) حاشية المفرد : ٢ : ١٢٠ .

(١٢٣) شرح الأشموني : ٣ : ٥٧٥ ، ٥٧٦ .

الظرف الزمني

تقديم :

يقدم (المعجم) سلسلة من الأسماء الدالة على الزمن كالزمن والدهر واليوم والامس والغد والأسبوع ٠٠٠ الخ .

وتدخل هذه الكلمات في الجدول الصرفي في قسم الاسم شأنها في ذلك شأن جميع الأسماء التي « تنفرد بالدلالة على مسمى » (١) كأسماء « الأعلام والأجسام والأعراض » (٢) .

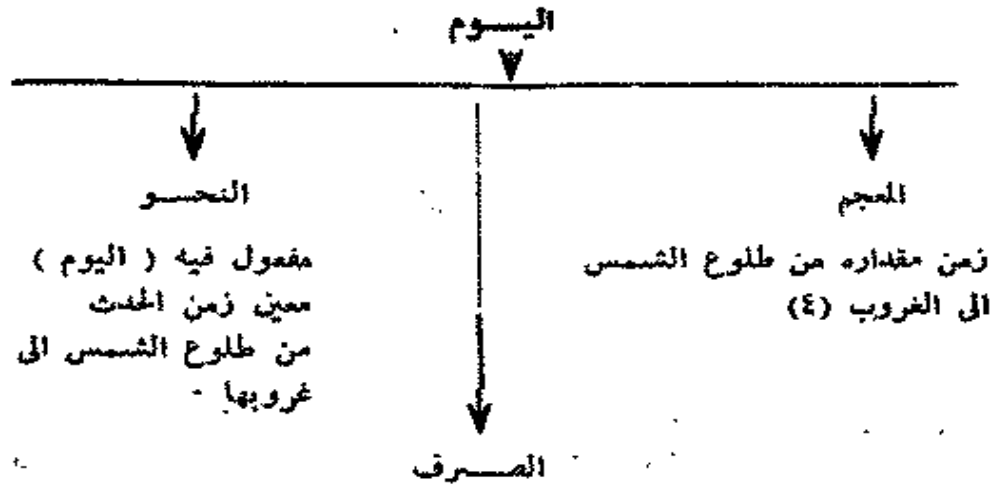
كما يقدم (الصرف) بعضاً من أقسام الكلم التي تنطوي على ملحظ زمني ، كـ بعض حروف الجر ، وأدوات الكناية .

ويمتلك هذا النوع من الأسماء وحروف الجر والأدوات قابلية التحول في النظام النحوي ، حيث تؤدي دوراً وظيفياً أعني الدور الزمني كما سنفصل في ذلك ويعبر سيبويه عن هذا التحول بقوله : « هذا باب وقوع الأسماء ظروفاً » (٣) ويمكن ، وفق هذا ، أن ننظر إلى اسم دال على زمن كـ « اليوم » مثلاً من زاوية معجمية وأخرى صرفية وثالثة نحوية على النحو الآتي :

(١) اللغة العربية معناها ومعناها : ٩٦ .

(٢) المصدر السابق : ٩٣ .

(٣) الكتاب : ١ : ٢١٦ .



قسم الاسم :
مسمى الزمن الذي مقداره من
طلوع الشمس الى غروبها .

من الناحية الوظيفية يكون الظرف قسيما للاسم والفعل . فالأسماء الدالة على الزمن والافعال والظروف تشترك جميعها في الإشارة الى زمن ، غير أنها تختلف في مفهومات هذه الدلالة ، فهي في الاسم دلالة مطابقة وفي الفعل دلالة تضمن وفي الظروف دلالة وظيفة .

يعبر الظرف عن علاقات زمنية نحوية ، ويدل على زمن معجمي بذاته ، فهو يطابق الاسم الدال على الزمن من جهة الدلالة المعجمية ، ويفترق عنه من جهة الوظيفية . ومن هنا نرى بعض الاضطراب في الأحكام التي أطلقها الدكتور تمام حسان حول « الظرف » اذ يقول : « وسنرى أن أسماء الزمان (٥) والمكان . . كالיום والساعة . . قد تطرح معانيها المعجمية ، وتتخذ لنفسها معنى وظيفيا هو معنى الظرف ، فتعده بالنقل بين الظروف معنى . . . » (٦) فما نراه أن الظرف لا يطرح معناه المعجمي بل يحتفظ به في أثناء تأدية دوره الوظيفي .

(٤) لسان العرب : ٢ : ٦٤٩ .

(٥) ان استعمال مصطلح « أسماء الزمان » للدلالة على أسماء تشير الى زمن بعينه كاليوم والساعة . . يتداخل مع مصطلح صيغ أسماء الزمان من المشتقات التي تبدأ بـ « ي » أو « ياء » سيويوه : « الفعل » اذا كان حينا (الكتاب ٢٣٤/١) . ولهذا اوثاينا الابقاء على مصطلح (اسم الزمان) مشيرين الى صيغة فعل أو فعل للزمان ، أما ما يسمى زمنا بعينه فنحن عليه بدلائله .

(٦) اللغة العربية مناما وميناما : ٨٩ .

وقد عرض النحاة للمفاهيم الزمنية التي تشير إليها الأسماء الدالة على الزمن والأفعال والظروف ، ويحسوا في التفريق بينها . فقد فرقوا بين الأسماء الدالة على الزمن والأفعال تفريق مطابقة وتضمن (٧) يقول ابن عصفور : « فإن وجد من الأسماء ما يدل على زمان كأمس وغه فيذاته لا ببنيتها » (٨) وفرقوا بين الظرف والاسم الدال على الزمن تفريقا وظيفيا ، إذ للظروف وظيفة واحدة هي الوظيفة الزمنية ، أما الاسم فله سلسلة الوظائف المعروفة . يقول ابن عقيل : « كل واحد منهما - ظرفي الزمان والمكان المتصرفين - يستعمل ظرفا نحو « سرت يوما » ، ويستعمل مبتدأ نحو : « يوم الجمعة يوم مبارك » ، وفاعلا : « جاء يوم الجمعة » (٩) المفهوم الزمني للظرف :

تنتهي الملاحظة في مباحث النحاة العرب إلى نقطتين :

الأولى : أن النحاة عرضوا للظرف بوصفه ركنا نحويا ، ولم يعنوا بالتفريق بين كونه زمنا تارة ومكانيا تارة أخرى .

الثانية : أنهم جعلوا وظيفته النسبية أو دلالة الاصلاحية نفس دلالة المعجمية . على الرغم من المحاولات الشكلية للتفريق بين الدالتين . يقول الأشمونى : « الظرف لغة : الوعاء ، واصطلاحا : وقت أو مكان ضمنا معنى «فى» .. لأنهما مذكوران للواقع فيهما (١٠) .. والواقع فيهما هو نفس الحدث » (١١) . ولما كانت (فى) الوعاء (١٢) كما يقول سيبويه ، فإن الظرف بنوعيه ، وعاء لنفس الحدث كما يقول الأشمونى . فكان الظرف الزمنى قيد زمنى على علاقة الاسناد ، وكان الظرف المكانى قيد مكانى على علاقة الاسناد ، أو أنهما يعبران عن « جهة خاصة فى فهم الحدث الذى يشير إليه الفعل أو الصفة » (١٣) .

أن هذه النتيجة - المطابقة بين الظرفين الزمنى والمكانى ، والصاق دلالة واحدة بهما هي دلالة الوعائية - تغفل الفرق الجوهرى بين الزمنية اللغوية والمكانية اللغوية فى الظرف .

(٧) ينظر المصدر السابق : ١٢٢ .

(٨) القرب : ١ : ٢٥ .

(٩) شرح ابن عقيل على الألفية : ١ : ٤٩٧ .

(١٠) شرح الأشمونى على الألفية : ١ : ٢١٧ .

(١١) شرح الأشمونى على الألفية : ١ : ٢١٩ .

(١٢) ينظر الكتاب : ٤ : ٢٢٦ .

(١٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٩٥ .

لقد ظهر للنحاة أن الظرف الزمني ليس وعاء زمنيا للحدث ، بل هو جزء من معنى الصيغة الزمنية ، وأن الظرف المكاني (وعاء) تقع فيه الأحداث والجنس ، وكان عليهم ، تبعاً لذلك ، أن يفرقوا بين الطرفين فيدرسوا وظيفة كل واحد منهما بمعزل عن وظيفة الآخر .

غير أن الملاحظ أن النحاة انجهوا إلى منحى آخر وهو النص على فرق في الكم الوظيفي لا في نوعه . فأشاروا إلى أن ظرف الزمان ، دون ظرف المكان لا يكون خبراً عن جنة كما سنفصل في ذلك . ولم يستخرجوا القيمة المحصلة من كشف العلاقة بين زمن الظرف وزمن الحدث . وليس من هدفنا ، هنا ، التوسع في بحث خصائص التركيب النحوي للعربية ولكننا نريد أن نشير مرة أخرى (١٤) إلى العلاقة بين الدلالة والزمن بوصفه فصيلة نحوية . تنحو الدراسات اللغوية المعاصرة منحى يحاول ، في جوهره ، أن يكشف الصلة بين « المعنى » و « النحو » أو بين « البناء الداخلي للمفردات وعلاقة المفردات بعضها ببعض » (١٥) وقد استنبطت القاعدة اللغوية الآتية :

تؤثر البنية الداخلية للكلمة في علاقات هذه الكلمة بالكلمات الأخرى في الجملة (١٦) . وذلك ضرب من ضروب التأثير الدلالي في التأليف النحوي من هنا ينبغي أن نلتفت إلى نقطة نراها جوهرية . وهذه النقطة تتعلق بالفعل .

إن عدداً من الدارسين العرب المعاصرين وجه بقنا شديداً إلى المنهج النحوي القديم باعتباره منهجاً يخضع المنطق اللغوي إلى المنطق العقلي . وربما كان ذلك بتأثير تطوير مناهج البحث اللغوي المعاصر . ولكن هذا التطور لا يعنى بالضرورة صحة الحاضر وخطأ القديم . وسنورد مثالا يهتد في هذا الجانب .

فالفقويون العرب المعاصرون يرون أن إحدى النتائج التطبيقية لنظرية (العمل) النحوي ما سمي بـ « نفوذ الفعل » . فبتأثير أحد عناصر هذه النظرية « أوقع النحاة المعولات في نفوذ الفعل » (١٧) مطرحين « أي النحاة » ملاحظة الوظائف اللغوية التي تؤديها هذه المعولات .

(١٤) انظر مبحث الدلالة المعجمية والزمن من الفصل السابق المقود على دراساته « الزمن الدلالي » .

(١٥) انظر على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٧٢ .

(١٦) ينظر انظر على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٧٢ .

(١٧) في النحو العربي نقد وتوجيه : ٩٢ .

ان تعبير (نفوذ الفعل) يكشف - اذا لم نسيء فهمه - عن مطابقة فريدة مع القاعدة اللغوية التي اشرنا اليها آنفا : أي يكشف عن علاقة معنى المفردة الفعلية المعجمي ودلالة بنائها الصرفي في تكوين المعولات، أو تكوين جزء منها على وجه أدق في التركيب النحوي، وتحديد وظائفها. فكان هذه (المعولات) على عبارة التقييد « قيود على الاستناد » (١٨) بإشارة صرفية ، وليس بإشارة نحوية .

وسنعرض للأمثلة الآتية :

★ يشير الفعل « جلس » بالتضمن الى فاعل . فكان الفاعل كامن في بنيته الداخلية . وعبارة سيبويه « الفعل لا بد له من الاسم والا لم يكن كلاما » (١٩) وعبارة الجرجاني : « انك لا يكون لك قصد الى فعل من غير أن تريد استناده الى شيء مظهر أو مقدر أو مضمّر وكان لفظك اذا أنت لم ترد ذلك وصوت تصوته سواء » (٢٠) .

★ فاذا انتقلنا الى الفعل « قاتل » فان المستمع يتوقع في الحال أن يتبع ذلك الفعل بـ (فاعل) و (مفعول) . فاذا ما طرأ على الفعل « قاتل » تغيير داخلي (صرفي) بأن زدنا « التاء » المفتوحة في أوله ، فاصبح : « قاتل » واستعملنا هذا الفعل في بداية إحدى الجمل ، فان تركيب الجملة - وهو ظاهرة نحوية - يتغير تبعا لذلك فلا نعود نتوقع مفعولا به مثلا ، بل نتوقع « فاعلا » فقط ، كما نتوقع الفاعل يشير الى المثنى أو المجموع » (٢١) . وهكذا فان مفهومات كالاستناد والتعدي واللزوم تصدر عن الفعل بوصفه مفردا ، ولكن كل مفهوم يجد تطبيقا له في الجملة . فاذا نقانا هذه النتيجة الى الطرف الزمني والفعل ، مع النظر الى كون الأول وعاء للناني أو الى كونه قييدا زمنيا على حدث الفعل انتهينا الى أن ذلك ليس صحيحا فالفعل كما يحمل بذاته قيم التعدي واللزوم والأشارة الى فاعل ، يحمل قيمة الزمن ، اذا أريد النص به على زمن . وهذا هو معنى الإشارة الصرفية لتقييد علاقة الاستناد . ولكن الفعل لا يحمل أية قيمة مكانية . والذي يقيد حدث الفعل بمكان هو « الطرف المكاني » فتتقييم علاقة الاستناد بالمكان أو بطرف المكان يعد إشارة نحوية ، أما

(١٨) اللغة العربية مناهجا ومبنا : ١٩٥ .

(١٩) الكتاب : ١ : ٢١ .

(٢٠) دلائل الإعجاز : ١٣٣ .

(٢١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

والأصح أن يقول : « يشير الى اثنين أو أكثر » .

الذي يقيد حدث الفعل بزمن فهو صورته . وأما وظيفة الطرف الزمني
فقياس مادة هذا القيد وهو الزمن . وهذا هو الفرق الجوهرى بين مفهومى
« طرف الزمن » و « طرف المكان » أى أن الفعل اللغوى يصدر اشارات
زمنية ولا يصدر اشارات مكانية . وكان العالم اللغوى سيبويه قد وعى
هذه الحقيقة اللغوية وصرح بها غير أنها لم تجد فى تطبيقاته صدق لها .
يقول : « ففيه (أى الفعل) بيان متى وقع والأماكن لم يبين لها فعل » (٢٢)

فاذا قررنا أن « الطرف » مؤلف نحوى ملحق بزمن الصيغة الفعلية
أو إحدى ملحقاتها الحديثة « ووظيفته قياس ذلك الزمن انتهينا الى
أن زمن الصيغة يستقل عن الطرف أما الطرف فلا يستقل عن زمن
الصيغة .

ومعنى ذلك أن وجود الطرف الزمني يشير الى وجود الحدث
الزمنى . أما وجود الحدث (الزمنى وغير الزمنى) (٢٣) فلا يشير الى
وجود الطرف . ولهذا لا يمكن أن يوجد طرف من غير أن يوجد حدث
زمنى . وجزء من هذا المعنى يشير اليه قول سيبويه : « وجميع ظروف
الزمان لا تكون ظروفًا للحدث » (٢٤) فلا يقال : « زيد اليوم » لعدم
العائدة » (٢٥)

غير أن تنافر (الطرف) و (اسم الجثة) ليس مرده لان اسم الجثة
لا ينطوى على حدث بل لانه لا ينطوى على زمن لانه اذا وجدت صيغة
حديثة غير زمنية تنافر الطرف معها أيضا . ومعنى ذلك أن الصيغ
الفعلية التى يراد لأحداثها أن تتوقف عن اصدار الاشارات الزمنية
لا تتطلب آلة قياس تقيس ما توقعت هى عن انتاجه . فعلم وجود زمن
فى حدث الصيغة يلزم عدم قياسه . ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى :

« وان يكن منكم الف يغبوا الفين » (٢٦)

وتقول : « يضفر البدو شعورهم » (٢٧) و « الانسان يدبر والله
يقدر » (٢٨) . فأحداث الأفعال (يكن ، يغبوا ، يضفر ، يدبر ، يقدر)

(٢٢) الكتاب : ١ : ٣٦ .

(٢٣) سندرس للحدث الزمنى فى الدراسة التطبيقية للزمن اللغوى . أما الحدث
غير الزمنى نعرضنا له فى فصل « امكانات الصيغة » .

(٢٤) الكتاب : ١ : ١٣٦ .

(٢٥) شرح الأسنوى : ١ : ٩٥ .

(٢٦) القرآن : ٦٦ .

(٢٧) فى النحر العربى ، نقد وتوجيه : ١٥٧ .

(٢٨) المصدر السابق : ١٥٧ .

في السياقات السابقة ، لا تتطلب ظروفًا ، لأنها لا تشير إلى زمن لغوي ،
فيكون مجيء الظرف مناقضاً لوظيفته .

وحين نقول : « الشمس تشرق من الشرق كل صباح » فان هذا
اللاحق الظرفي ذو غاية تعليمية أكثر منها ظرفية . لأن الفعل « تشرق » وقع
في سياق دلالي معين جرده من الإشارة إلى زمن لغوي . كما أن مصطلحات
كالاستمرار الزمني والمطلق الزمني يستقل كل واحد منها . كما رأينا
ذلك في الفصل المعنون بـ (إمكانات الصيغة) ، بدلالته الزمنية .

انتهينا إلى أن الصيغة الزمنية معدود والظرف عدده وهذا العدد
معجمي . وهو أنسواع : « فمنسه المبهم والمختص والمتصرف وغسير
المتصرف » (٢٩) . أما جهة التحول إلى الظرفية ، فالظرف قسمان :

الأول : محول إلى الظرفية ، وينحدر من ثلاثة أقسام صرفية هي :

(أ) قسم الاسم : وعبارة سيبويه : « وقوع الاسماء ظروفًا » (٣٠)

(ب) قسم الأداة وهي :

١ - حروف الجر . نحو « مذ » و « منذ » يستعملان استعمال
الظروف عند ما يردان مع الجمل من قبيل تعدد المعنى الوظيفي » (٣١) .

يقول سيبويه : « وأما « مذ » فتكون ابتداء غاية الأيام والأحيان ،
وذلك قولك : « مألقيته مذ يوم الجمعة إلى اليوم » (٣٢) . وقال في موضع
آخر : « ومما يضاف إلى الفعل قولك : « مارأيت مذ كان عندي » (٣٣) .

٢ - أدوات الكناية وهي : طائفة من الأدوات تؤدي وظيفة الظرف
إذا أشارت إلى زمن وهي « متى » و « أيان » للزمن العام . و « كم »
للزمن المحدود . و « إذ » للزمن الماضي . وسنناقش هذه الأدوات في هذا
المبحث في موضع لاحق .

الثاني : محول إلى الظرفية يؤدي وظيفة ظرف بالنيابة وهو :

(أ) المصدر . يقول سيبويه : « ما يكون المصدر فيه حينًا » وذلك

(٢٩) شرح الأشموني على الألفية : ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٣٠) الكتاب : ١ : ١٢٦ .

(٣١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ .

(٣٢) الكتاب : ١ : ٢٢٢ .

(٣٣) الكتاب : ١ : ٢٢٢ .

قولك : « متى سير عليه » فيقول : « مقدم الحاج » ، وإنما هو زمن مقدم الحاج » (٣٤) .

(ب) صيغ أسماء الزمان ، أو ما يعبر عنه سيبويه بـ : « المفعول إذا كان حيناً » وقال حميد بن ثور :

وماهى إلا فى أزار وعلقة مفار بن همّام على حى خثعما
فصير « مفار » وقتاً ، وهو ظرف » (٣٥) .

(ج) صفة الظرف : وعبارة سيبويه : « صفة الأحيان » . قال :
« تقول سير عليه طويلاً » و « سير عليه حديثاً » و « سير عليه قديماً » ،
وإنما نصب صفة الأحيان على الظرف ، ولم يجز الرفع » (٣٦)

(د) عدد الظرف نحو : « سرت عشرين يوماً » (٣٧) .

(هـ) كلفية الظرف نحو : « مشيت جميع اليوم » (٣٨) .

(و) جزئيته نحو : « نصف اليوم » أو « بعض اليوم » (٣٩) .

وهذا مخطط يوجز الأنواع الظرفية :

(٣٤) الكتاب : ٢ : ١١٧ .

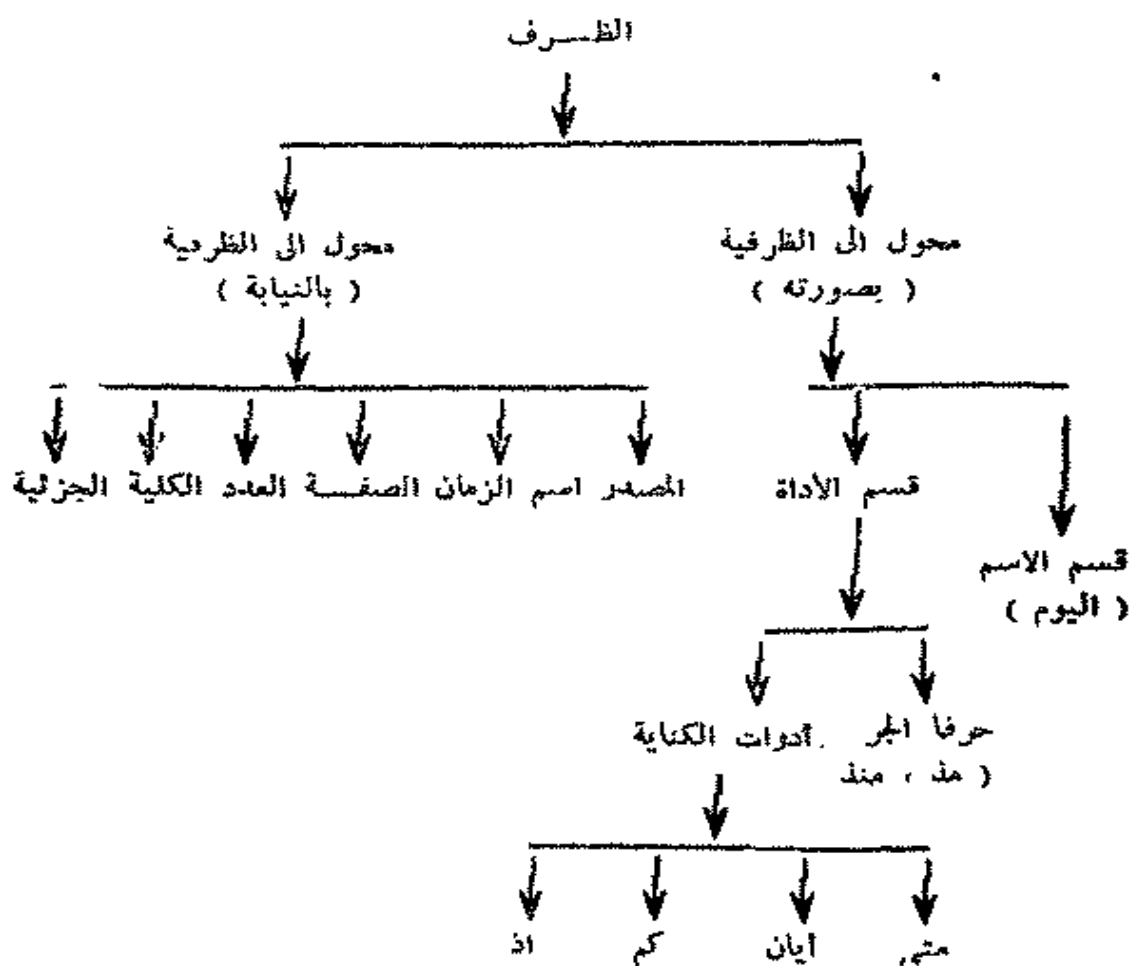
(٣٥) الكتاب : ١ : ٢٢٥ .

(٣٦) المصدر السابق : ١ : ٢٢٧ .

(٣٧) شرح الأسمولى : ١ : ٢٢٢ .

(٣٨) المصدر السابق : ١ : ٢٢٢ .

(٣٩) المصدر نفسه : ١ : ٢٢٢ .



الملحوظ الصرفي للظرف :

انتهينا فيما تقدم الى أن (الظرف) لا يكون ، بذاته ، قسما صرفيا من أقسام الكلم في العربية . لأنه ، من الناحية الصرفية ، ليس إلا اسما أو حرف جر أو أداة كناية في حالة وظيفية .

غير أن الدكتور تمام حسان عالِم موضوع (الظرف) من زاوية أخرى . وهذا المبحث يناقش آراءه في هذا المجال .

جعل الدكتور تمام (الظرف) قسما من أقسام الكلم (٤٠) ولكنه فرق بين نوعين من الظروف :

(١) الظروف أصالة .

(٤٠) اللغة العربية معانها ومعناها : ١١٩ .

(ب) الظروف محولة .

فاذا أدركنا أن فهم الدكتور تمام النظام الصرفي في العربية والتفريق بين أقسامه قام على « التفريق على أساس الاعتبارين (الشكل والوظيفة) مجتمعين » (٤١) لزم أن نفحص مدى تطبيق هذا المعيار على (الظرف) بوصفه القسم السادس من أقسام الكلم في العربية عند الدكتور تمام حسان يطرد الدكتور تمام حسان جميع الظروف المحولة ، من قسم الظرف ، وهذا ملحوظ دقيق ، لأن هذه الظروف المحولة ، كما أشرنا الى ذلك في المبحث السابق ، تمتلك عنصرا واحدا هو العنصر الوظيفي أو على عبارة الدكتور تمام : « تؤدي وظائفها » (٤٢) أي وظائف الظروف الأصلية . أما العنصر الشكلي فيعود بالظروف الى أحد الأقسام المشار اليها في المبحث السابق (٤٣) .

أما قسم الظرف أصالة فقد انطوى على الظروف الآتية :

إذا . إيان .

لما متى إذ (٤٤) .

ويعنى هذا أن الدكتور تمام حسان أدخل « إيان » و « متى » و « إذا » التي أحققناها بالأدوات التي تتحول الى ظروف زمن في التركيب ، وأضاف اليها « لما » و « إذا » . وأخرج « كم » وألحقها بقسم الاسم الدال « على مبهم من المقادير » (٤٥) . غير أن الفرق الجوهرى يكمن فى أنه ، رأى أن هذه الأدوات تمثل قسما صرفيا (٤٦) . وقد طبق عليها معياره (الوظيفي الشكلي) فوجد :

١ - أنها من حيث الشكل « مبان تقع فى نطاق المبتنيات غير المنصرفة » (٤٧) .

(٤١) المصدر السابق : ٨٧ .

(٤٢) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٤٣) انظر الجدول الخاص بالظروف : فى الصفحة السابقة .

(٤٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ .

(٤٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٠ .

(٤٦) وكان الدكتور (تمام حسان) قد بدأ محاولته ، فى نقد التقسيم القديم للكلمات العربية / الفعل - الاسم - الحرف - وتقديم تقسيم جديد ، بدأها فى مؤلفه « مناهج البحث فى اللغة » وانتهى فيها الى تقسيم رباعى ، هو : الاسم - الفعل - الضمير - الأداة (انظر / مناهج البحث فى اللغة : ٢٠٣) ويعنى ذلك أن فكرة أقسام الظرف فى قسم صرفي مستقل لم تكن قد تضحيت عنده آنذاك .

(٤٧) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ .

٢ - أنها تؤدي « وظيفة الكناية عن زمان » (٤٨) وهو « زمان اقتران حدثين » (٤٩) وقد لاحظنا في مفتتح هذا الفصل أن الظرف يشير إلى ما يطلق عليه الدكتور تمام حسان « تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد » (٥٠) . وتعد العلاقة بين المبنى الواحد والوظائف النحوية المتنوعة التي يؤديها ، واحدة من السمات اللغوية الأساسية في العربية ، حيث يتحول قسم صرفي في التركيب إلى قسم آخر .

فكأن « المبنى » يتخذ لنفسه معاني وظيفية ، غير ما وضعت بازائه . ك « الصفة والفعل ينقل معناهما إلى العلمية » (٥١) وكظروف الاقتران تتحول إلى أدوات ، إذ تستعمل في تعليق جمل الاستفهام والشرط » (٥٢) .

إن هذا التحول أو (تعدد المعنى الوظيفي) لا ينبغي له أن يضلنا عن أصالة كل قسم في النظام الصرفي كما يرى الدكتور تمام (٥٣) .

تلك هي أهم (الآراء) التي صدرت عن الدكتور تمام حسان في مسألة الظرف .

ويؤخذ عليها جملة أمور .

الأول : لم يناقش ظاهرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد هل تجرى في اللغة اعتباطا ؟ أو أن هناك نظاما يسود هذا التعدد ؟

وليس من هدف هذه الرسالة الإجابة عن هذا السؤال بصورة مفصلة وشاملة ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نجيب ، في ضوء طبيعة اللغة ، بأن التعدد الوظيفي ينبغي أن يستند إلى قانون العلاقة المعنوية بين المتحول والمتحول إليه . والا اتخلت العلاقات بين المباني ومعانيها صورة كيفية ، وهو أمر لا يمكن لنظام محكم كاللغة ، يستند إلى قوانين صارمة ، أن ينطوي عليه .

(٤٨) المصدر السابق : ١٢٢ .

(٤٩) المصدر نفسه : ١٢٢ .

(٥٠) نفسه : ١١٩ .

(٥١) اللغة العربية معناها ومعناها : ١١٩ .

(٥٢) المصدر السابق : ١٢٣ .

(٥٣) المصدر نفسه : ١٢٠ .

هل يمكن أن ينقل « الفعل » كما قال الدكتور تمام إلى « العلمية - الاسمية » ، بأشكاله الثلاثة : (فعل ، يفعل ، افعل ؟) والجواب : لا فإن الانتقال من الفعلية إلى الاسمية يتخذ (المضارع) مظهراً له فقط للوشائج الدلالية التي بين (المضارع) و (الاسم) وهي الدوام والاستمرار . يقول الدكتور إبراهيم السامرائي : « وقد استقرت بعض المصادر التي تعنى بأخبار اليمن فوقفت على جملة كبيرة من هذه المواد الفعلية التي روضها العرب في أقدم عصورهم . فاتخذوها أعلاماً مستقيمين من بناء « يفعل » (٥٤) . وهكذا لم يجر انتقال الفعلية إلى العلمية عشوائياً . وليس أدل على هذا الانتقال من « قرينة الزمن : « كان » (٥٥) التي تحولت من قسم الأفعال إلى قسم الأداة » (٥٦) للعلاقة التي تجمع بين الوجود (حدث كان) والزمن . وهكذا يمكن أن نقول عن وقوع « الاسم » موقع « ظرف » . لأن هذا الاسم ذو ملحوظ زمني . ووظيفة الظرف زمنية .

اذن فالتعدد الوظيفي يستند إلى تداخل الأقسام الصرفية للسمات المشتركة التي بينها .

فاذا لم يتم تحديد هذه السمات أصبح من الصعب الكشف عما هو في قسم صرفي أصالة عما هو فيه جملاً : كما هو حاصل في (الأدوات) و (ظروف الاقتران) التي جعلها الدكتور تمام حساناً قسماً قائماً بذاته ، فالأدوات وظروف الاقتران ليس « لها صيغ معينة ، ولا تتصرف إلى صيغ غير صيغها » (٥٧) كما أنها « لا تدل على معانٍ معجمية » (٥٨) فكيف يمكن أن نميز القسم الذي تنضوي تحته « اذا » و « لما » ؟ هل هو الاداة ؟ أو الظرف ؟ . افترض الدكتور تمام أن « اذا » ظرف اقتران (٥٩) يستعمل في تعليق جملة الشرط (٦٠) . والسؤال : لماذا لا نفترض العكس ؟ فإن « اذا » لا تفصح بينيتها عن زمن . أو عن اقتران زمني . والدكتور تمام نفسه وجه

-
- (٥٤) العربية بين أمسها وحاضرها : ١١٠ .
 - (٥٥) عرضنا في (كان) في مبحث قرائن الزمن .
 - (٥٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٨ .
 - (٥٧) المصدر السابق : ١٢١ .
 - (٥٨) المصدر نفسه : ١٢٥ .
 - (٥٩) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ .
 - (٦٠) المصدر السابق : ١٢٣ .

نقله شديدا الى النحاة الذين « نسبوا اختلاف الزمن الى الادوات فقالوا
ان « اذا » ظرف لما يستقبل من الزمان » (٦١) .

ومثل ذلك (كم) التي علما الدكتور تمام في (الاسماء
المبهمة) (٦٢) غير أنه لم يستطع أن يقنعنا بهذا التصنيف حين طبق
المعيار الوظيفي الشكلي على قسم الاسم (٦٣) .

ونعرض تفصيلا لما يعده الدكتور تمام حسان ظروف اقتران :
إذا :

عند سيبويه « الأداة » أو « الظرف » « اذا » خارج أدوات الشرط
الأساسية في ضوء المعيار الاعرابي .

قال « وسألته عن « اذا » ما منعهم أن يجازوا بها ، فقال : الفعل
في « اذا » بمنزلة في « اذ » . ف « اذا » فيما يستقبل بمنزلة
« اذ » فيما مضى » (٦٤) . فاذا أدركنا أن معنى (يجازوا) في قول
سيبويه الآنف الذكر : هو « يجزموا » فإنه ينبغي أن نفهم أن سيبويه
جعل كلا من « اذا » و « اذ » ظرفا وجعل الفرق بينهما فرقا في الإشارة
الى قسم الزمن ولما كان الظرف يقع مضافا احتاج الى مضاف اليه وإلى
حدث يقع فيه فيكون عامله الذي ينتصب به . فمن هنا لم ينجزم الفعل
بعده « اذا » كما التجزم بعده « ان » .

وعلى الرغم من أن بعض البحوث السامية المعاصرة أثبتت صحة
تحليل سيبويه في جعل « اذا » ظرفا ، حيث بين الدكتور فاروق جودي
وهو يبحث في « أدوات الشرط في اللغات السامية » أن « اذا » متطورة
عن الاسم الذي يدل على الزمن » (٦٥) ، على الرغم من هذا ، فإنه ينبغي
أن نفرق بين المنظور التاريخي لظاهرة لغوية ، والمنظور الوصفي لها .
فسياق (اذا) حين عرض لها سيبويه « سياق مستحدث مختلف » (٦٦) .
ومن هنا جاء الاضطراب في مباحث النحاة من بعده ، حين عرضوا
له « اذا » من معيار آخر هو المعيار الاستعمالي .

(٦١) المصدر نفسه : ٢٤٣ .

(٦٢) نفسه : ١٢٠ .

(٦٣) نفسه : ٩٢ لما ينما .

(٦٤) الكتاب : ٣ : ٦٠ وانظر أيضا : الكتاب : ١ : ١٣٤ .

(٦٥) أدوات الشرط في اللغات السامية - مخطوطة : ص ٩ .

(٦٦) نظرية النحو العربي : ١٦ .

وفيما يأتي جانب من هذا الملحق موجزا :

- ١ - إذا « لما » يستقبل من المصدر وفيها مجازاة « (٦٧) » .
 - ٢ - « إذا الزمانية » « (٦٨) » .
 - ٣ - « لاستمرار الزمان » « (٦٩) » .
 - ٤ - « تكون ظرفا لما مضى من الزمان واقعة موقع إذا » « (٧٠) » .
 - ٥ - « الشرط لم يترسخ فيها » « (٧١) » .
 - ٦ - « وقيل ليست (إذا) مضافة » « (٧٢) » .
- أما البحث اللغوي المعاصر فقد حمل على الصاق الزمن بالادوات .
والمفارقة التي نشير إليها هنا أن الدكتور تمام حسان الذي كان
واحدا ممن رفضوا فكرة الصاق الزمن بالادوات ومنها « إذا » « (٧٣) »
عاد فجعلها ظرفا دالا على زمان الاقتران .
- لا تنعدي « إذا » أن تكون « أداة شرط دخلت على جملتين » « (٧٤) »
« غير منظور : ليها ظرفا خافضا لشرطه منصوبا بجوابه » « (٧٥) » . ويشير
إلى ذلك الاستعمال القرآني . فلم ترد « إذا » في القرآن الكريم إلا أداة
تعليق في جملة مركبة هي الجملة الشرطية .
- أما ورودها دالة على زمن وليس على زمن اقتراني : فنادر ، أو لم
يتعد عدة استعمالات في سياق معين ، هو سياق القسم :
- قوله تعالى « والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس » « (٧٦) » .

-
- (٦٧) الكتاب : ٤ : ٢٣٢ . ويتخذ مدلول (الجزاء) واسرته (جازي) . يجسأزي
مجازاة « الخ » عند ميبويه معنيين : الأول : ترتيب شيء على شيء . والثاني : الجزم
والنظر : في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر : ١٤ .
- (٦٨) الخصائص : ١ : ١٠٤ .
- (٦٩) شرح الكافية : ٢ : ١٠٨ .
- (٧٠) الجني الداني : ٣٦٣ .
- (٧١) الكافية : ٢ : ١١١ .
- (٧٢) الأشیاء والنظائر : ٢ : ٢٥٣ .
- (٧٣) ينظر اللغة العربية معناها ومعناها : ٢٤٣ .
- (٧٤) الرد على النحاة : المقدمة . شوقي شيف : ٧٣ .
- (٧٥) في النحو العربي لقد وتوجيه : ٢٩١ .
- (٧٦) التكرير : ١٧ و ١٨ .

وقوله « والليل اذا يغشى » والنهار اذا تجلى » (٧٧) وقوله تعالى
 « والليل اذا سجي » (٧٨) وقوله تعالى : « والقمر اذا تلاها » والنهار
 اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها » (٧٩)

الزمخشري : « اذا تلاها » : طالما عند غروبها : « اذا جلاها »
 عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام
 « الانجلاء » (٨٠) .

لـ :

١ - عندها سيبويه « بمنزلة » لو « وانما تقع للأمر الذي قصد
 وقع » (٨١)

٢ - ذهب ابن السراج وابن جنى وأبو علي إلى أنها ظرف بمعنى
 حين » (٨٢)

٣ - « لما الجوابية » (٨٣)

٤ - « لما التعليقية » (٨٤)

٥ - « ظرف وضع موضع كلمة الشرط » (٨٥)

٦ - « رابطة لوجود شيء بوجود غيره » (٨٦)

٧ - حرف وجوب لوجوب و حرف نفى لنفى ، ووجوب لنفى ،
 ونفى لوجوب » (٨٧)

ومما تقدم ينبغي وضع النتيجة التي انتهى إليها الدكتور تمام
 حسان في جعل هاتين الأداتين - اذا ، ولا - طرفين يدلان على زمان

(٧٧) الليل : ١ و ٢ .

(٧٨) الضحى : ٢ .

(٧٩) الشمس : ٢ - ٤ .

(٨٠) الكشف : ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٨١) الكتاب : ٤ : ٢٢٤ .

(٨٢) الفنى : ١ : ٢٨٠ .

(٨٣) صبح الهوامع : ٢ : ٢١٥ .

(٨٤) الجنى الدانى : ٥٣٨ .

(٨٥) شرح الكافية : ٢ : ١٢٧ .

(٨٦) شرح قطر الندى : ٤٢ .

(٨٧) وصف البيان : ٢٨٣ .

اقتران « (٨٨) في اطار المنطق العقلي وليس في اطار المنطق اللغوي .
اذ يبدو ان الدكتور تمام الذي رأى في الجمل التي يكون مناط التعليق
فيها مركبا أى مبنيا على تألف جملي فعلى رأى في الوقت نفسه أنه
ينتج عن ذلك وجود زمنين اقتربنا بوساطة ظروف سماها « ظروف
الاقتران »

وقد بينا أن وظيفة الأداتين « لما » و « اذا » هي : ربط جملتين
أما الدلالات المنوية والزمنية التي تترشح عن هذا الربط أو للتعليق
التركيب فليس مما يلصق بهما . فضلا عن ذلك فان هناك اعتراضين
آخرين :

الأول : ان القول بوجود زمن لكل حدث فعلى أمر لا يمكن التسليم
به ، كما عرضنا لذلك في الفصل الثاني « امكانات الصيغة »

الثاني : لو سلمنا بأن « اذا » و « لما » ظرفا زمن اقتراين . لكان
ينبغي أن نحكم لا (ان) و (لو) بذلك ، اذ هما يقرنان بين حدثين .
غير أن أحدا لم يقل بذلك .

ان القصد من هذه التراكيب هو ترتيب أحداث على أحداث من
غير نظر الى زمن غالبا . وعبارة سيويه دقيقة في هذا الجانب « وانما
تقع (لما) للأمر الذي وقع » (٨٩) وفسر ابن خروف ذلك على أنه « شرط
في الماضي » (٩٠) كما أن سيويه يجعل (لما) و (لو) متطابقتين من
الناحية الوظيفية وعبارته « بمنزلة لو » (٩١) والفرق بينهما أن سياق أحداث
« لما » في الماضي ، وسياق أحداث (لو) في المستقبل عنده (٩٢) ،
ويكون الأمر أكثر وضوحا اذا عرضنا لقول واحد من أئمة النحو وهو
ثعلب « زيد لما قمت ضربت » يجوز على الجزء (٩٣)

نعم قد يكون زمن اقتران حدثين أحد مقاصد التركيب الذي تقع
في سياقه « لما » ، عندها تكون الأداة قد تحولت من أداة تعليق شرطي
الى أداة تعليق زمني ، وليس الى ظرف كما زعم الدكتور تمام حسبان
لأن الظرف آلة قياس وليس أداة ربط وهاهنا ملحظ دقيق ينبغي أن

(٨٨) اللغة العربية معناها ومعناها : ١١٩ .

(٨٩) الكتاب : ٤ : ٢٣٤ .

(٩٠) شرح الكافية : ٢ : ١٢٧ .

(٩١) الكتاب : ٤ : ٢٣٤ .

(٩٢) الكتاب : ١ : ٢٢٤ .

(٩٣) مجالس ثعلب : ١ : ٢٦٧ .

نقف عليه ففي قوله تعالى : « فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون » (٩٤) .

وقوله « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده » (٩٥) ترتب أحداث على أحداث في الماضي وليس هناك زمن حدث يقترن بزمن حدث آخر يترشح عن سياق الآيتين ، إلا إذا حللنا السياقين وفق قاعدة منطقية تأخذ بمستلزمات العناصر المحللة .

ويمكن أن ندرج سياقات شرطية أخرى لنلاحظ النسق الشرطي الذي يستند إلى التطابق الشكلي والدلالي في عناصره .

قوله تعالى : « وإن تصيهم صيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون » (٩٦) وقوله : « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » (٩٧) وقوله الذي ورد سابقا : « فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون » (٩٨) غير أنه يمكن أن نلاحظ أن « لما » قد تؤدي وظيفة تعليق زمني ، حيث يقترن زمن حدث بزمن حدث . كما في قوله تعالى : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا » (٩٩) فقد اقترن زمن ابصار موسى (عليه السلام) النار بزمن مسيره بأهله نحو مصر . وهذا كما تقول : « لما خرجت من بيتي أعلنت ساعة الاذاعة السادسة مساء » .

نتتهي مما تقدم إلى اخراج « إذا » و « لما » من قسم الظرف .
اذ :

إن ملاحظة الدكتور تمام حسان في تصنيف « اذ » في قسم الظرف الذي يدل على زمان اقتران هي ذاتها ملاحظة سيبويه الذي نص على أن « اذ » : « لما مضى من الدهر » وهي ظرف بمنزلة « مع » (١٠٠) .

ويتيح لنا استعمال هذه الأداة في القرآن أن نقف بصورة دقيقة على ما تدل عليه من معنى ، وما تعبر عنه من وظيفة . ففي قوله تعالى :

(٩٤) الأنبياء : ١٤ .

(٩٥) طه : ٨٤ .

(٩٦) الروم : ٣٦ .

(٩٧) الشورى : ٢٧ .

(٩٨) الأنبياء : ١٢ .

(٩٩) القصص : ٢٩ .

(١٠٠) الكتاب : ٤ : ٢٢٩ .

« واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا » (١٠١)
تقع على تفسيرات ثلاثة :

الأول : تفسير النجاة القديسة : يقول الزمخشري : « اذ » بدل
اشتمال ، لأن الأحياء مشتملة على ما فيها ، وفيه أن المقصود بذكر
(مريم) ذكر وقتها هذا ، لوقوع هذه القصة العجيبة فيه « (١٠٢) أى
أن « اذ » هنا كناية عن اسم دال على زمان وليس ظرفا لزمان ، أو على
عبارة ابن هشام : « إنما المراد ذكر الوقت نفسه ، لا الذكر
فيه » (١٠٣) فيكون اعرابها « مفعولا به » (١٠٤) ويجرى في ضوء
هذا المعطى النظر الى الآية الشريفة على النحو الآتي :

واذكر في الكتاب ذلك الوقت (الماضي) الذي انتبذت فيه مريم
مكانا شرقيا .

أما تقديم (مريم) على (اذ) في النسق القرآني فيعبر عن
اضطراب في الموقعية هدفه تأكيد الاهتمام ببني لفوية دون غيرها .

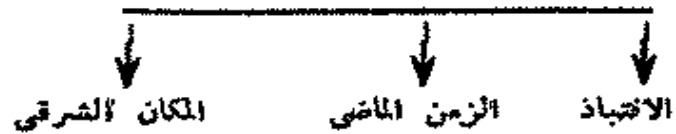
الثاني : تفسير الدكتور تمام حسان الذي يستخلص من افتراضه
أن « اذ » ظرف « وهو كناية عن زمان اقتران حدثين » (١٠٥) ، حيث
ننظر الى الآية من هذه الجهة كما يأتي :

اذكر في الكتاب مريم مقترنا زمان ذكرها اياها بزمان انتبذها . .

الثالث : التفسير الذي يذهب اليه الباحث بملاحظة العلاقات الكلية
في الآية وهو :

اذكر في الكتاب مريم وهي في هذه الحالة (الحديثة ، الزمانية ،
المكانية) فكان (مريم) موضوعة في أطر ثلاثة . كالآتي :

« واذكر في الكتاب مريم . . . »



- (١٠١) مريم : ١٦ .
- (١٠٢) الكشاف : ٢ : ٥٠٦ .
- (١٠٣) المنى : ٨٠/١ .
- (١٠٤) المنى : ٨٠/١ .
- (١٠٥) اللغة العربية مستأما ومينما : ١٢٢ .

ويشير تركيب « انتبذت » الى مؤلف هو الحال . ويمكن احوال
 « وقد » الحالية محل « اذ » : « واذكر في الكتاب مريم وقد انتبذت
 مكانا شرقيا » .

ولكن الفرق بين « اذ » و « وقد » ان الأولى فضلا عن وظيفة الربط
 التي تؤديها ، كناية عن الزمن الماضي أي أن شكل الصيغ الفعلية في
 سياق « اذ » يشير الى دلالة الفعلية ، أي الى الـ « الحالة » ولا يشير
 الى زمن .

ومن هنا نقع « اذ » في سياق صيغ فعلية متنوعة ، بله في سياق
 غير حدثي كما في قوله تعالى :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
 اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه » (١٠٦) .

ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

أخرجه (فعل) دلالة القطع والتثبيت	} ← اذ
هما في الغار (جملة اسمية) دلالة النبوت المكاني	
يقول (يفعل) دلالة الحضور ، وكان القول يسمح	
↓	
الزمن الماضي هذه اللحظة .	

ان الصيغ في سياق « اذ » لا تنتج ، كما مر بنا (١٠٧) زمنا
 فهذا منوط بالسياق ، أمارته اللفظية (اذ) التي هي كناية عن الزمن
 الماضي . ومن هنا جاء التباير في طبيعة الصيغ الواقعة في سياقها .
 حيث يؤدي الى خلق سلسلة من معان مضافة ، ولو أريد الزمن مقصودا
 اليه بـ الصيغ لكان : (فقد نصره ... اذ أخرجه ... فأقاما في
 الغار ، فحدث ما حدث ، فقال لصاحبه) .

أما « قد » مع صيغة « فعل » فتشير الى دلالة واحدة هي دلالة
 القطع كما سنعرض لذلك في الدراسة التطبيقية .

ويعني كل ذلك امكان حذف « اذ » من الآية « واذكر في الكتاب ... »
 وملحظ الحال لا يتغير : « واذكر في الكتاب مريم انتبذت من أهلها
 مكانا شرقيا » كما حذف (قد) في الآية : « أو جاؤوكم حصرت

(١٠٦) العوبة : ٤٠ .

(١٠٧) ينظر / من ١٨٥ من هذا الفصل .

صدورهم « (١٠٨) فزمن الاقتران لم تعبر عنه (اذ) بل كل ما نستطيع قوله أن « اذ » أدت وظيفة الربط في سياق جملي ودلت على زمن ماض .
غير أن هذا الربط قد يكون في سياق ما اقترانيا كقوله تعالى :

« فقد نصره . . . اذ أخرجه » (١٠٩) .

فلقد اقترن اخراج الكفار محمدا من مكة بنصر الله له .

وتكرر دلالة « اذ » على زمن اقتراني اذا وقعت للمفاجأة وقد بين سيبويه ذلك . قال : « قولك : « بينما أنا كذلك اذ جاء زيد » فهذا لما توافقه وتهجم عليه من حال أنت فيها » (١١٠) .

ومن قبيل تعدد المعنى الوظيفي لـ « اذ » أداؤها وظيفة أداة شرط ، لما بينها وبين أدوات الشرط من سمة مشتركة هي سمة الربط الجملي . أو كما يقول ابن هشام « الشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة » (١١١) نقل الأشموني رأى الفراء في انصراف « اذ » للشرط . قال : « فأجاز الجزم بها دون ما . » (١١٢) وصرح ابن هشام وهو يعرض لقوله تعالى : « فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعتاقهم » (١١٣) بقوله : « فيلزم أن يكون بمنزلة اذا » (١١٤) ونص الرضى وهو يعرض لقوله - سبحانه - : « فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاليوموا » (١١٥) وقوله : « واذا لم يهتموا به فسيقولون » (١١٦) نص بقوله : « فلاجرا الظروف مجرى كلمات الشرط » (١١٧) . وهذه إشارة الى تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد .

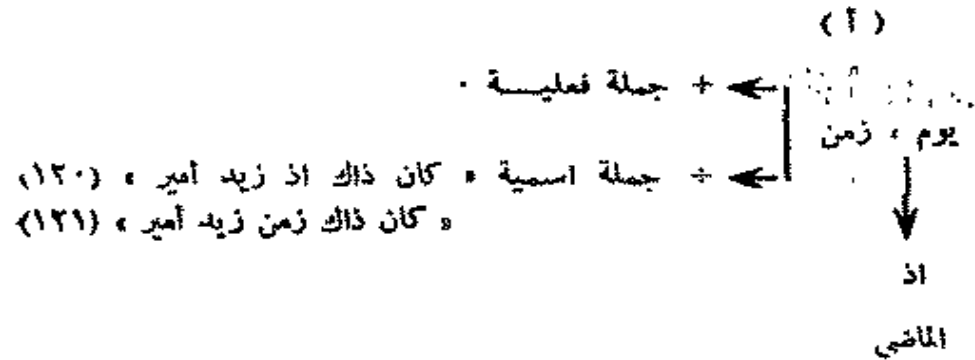
ولكى تتم دراسة « اذ » في العربية ينبغي أن نعرض للمركب المكون من : اسم دال على زمن + اذ .

كـ « يوم اذ » ، و « حين اذ » ، و « زمن اذ » . . . الخ :

-
- (١٠٨) النساء : ٩٠ .
 - (١٠٩) التوبة : ٤٠ .
 - (١١٠) الكتاب : ٤ : ٢٣٢ .
 - (١١١) المنى : ١ : ٩٦ .
 - (١١٢) شرح الأشموني : ٤ : ١٣ .
 - (١١٣) غار : ٧٠ ، ٧١ .
 - (١١٤) المنى : ١ : ٨١ .
 - (١١٥) المائدة : ١٣ .
 - (١١٦) الأحقاف : ١١ .
 - (١١٧) شرح الكلبية : ٢ : ٣٦٩ .

عرض النحاة للأسماء الدالة على الزمن ، تضاف الى الأفعال .
وعبارة سيبويه (١١٨) : « هذا باب ما يضاف الى الأفعال من الزمان ،
وذلك قولك : « وهذا يوم يقول ذاك » ، وقال عز وجل : « هذا يوم
لا ينطقون » (١١٩) .

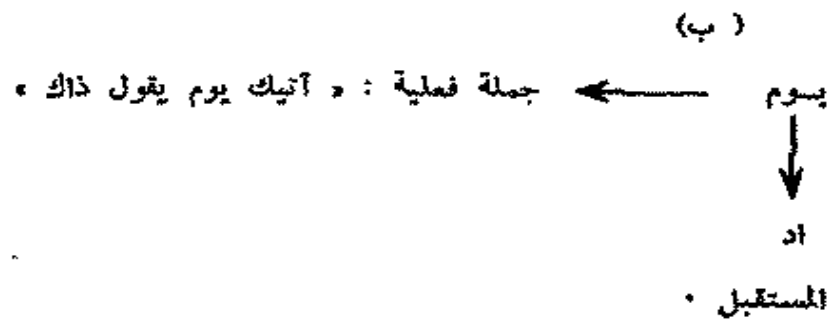
وقد صنف سيبويه الجدول الآتي ، بنوع الجمل المضاف اليها ،
بالاعتبار الزمني .



ولم يسق سيبويه مثالا لاضافة اسم دال على الزمن الى جملة
ما ضوية ويمكن افتراض جملتين قياسا على الجملتين الاسميتين الآتيتين :

— « كان ذاك اذ أمر زيد »

— « كان ذاك زمن أمر زيد »



(١١٨) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

(١١٩) الرسائل : ٣٥ .

(١٢٠) الكتاب : ٣ : ١١٩ .

(١٢١) المصدر السابق : ٣ : ١١٩ .

فإن قلت : « يكون هذا يوم زيد أمير » كان خطأ لأنك لا تقول
« يكون هذا إذا زيد أمير » (١٢٢) .

يقول : « جملة هذا الباب أن الزمان إذا كان ماضيا أضيف إلى
الفعل ، وإلى الابتداء والخبر لأنه في معنى « إذ » . فأضيف إلى ما يضاف
إليه « إذ » . وإذا كان لما لم يقع لم يضاف إلا إلى الأفعال لأنه في معنى
« إذا » . و « إذا » هذه لا تضاف إلا إلى الأفعال » (١٢٣) .

واستنادا إلى هذا الغرض فإن الزمن يجب أن يكون ماضيا حتى
يصح وقوع « إذ » . غير أن هذا المقرر اصطليح بالكلام . فقد جعل
النحاة وهم ينظرون في الاستعمال القرآني يقررون : أن من معاني
« إذ » أن تكون « اسما للزمان المستقبل » (١٢٤) نحو « يومئذ تحدث
أخبارها » (١٢٥) غير أن ابن هشام ينسب إلى (الجمهور) أنهم
« لا يشتون هذا القسم » (١٢٦) أي دلالة « إذ » على الزمن المستقبل
« ويجعلون الآية من باب « وتنفخ في الصور » (١٢٧) أعني تنزيل
الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع » (١٢٨) إن اعتراض (الجمهور)
يبدو غير لازم دائما ، إذ يقع مركب الاسم الدال على الزمن ، المضاف
إلى « إذ » ، (يومئذ) ، في علاقات زمنية منصرفة إلى المستقبل من باب
« سيصلى نارا » (١٢٩) وليس من باب « وتنفخ في الصور » كما سنرى .

ويكثر في (القرآن الكريم) حذف الجمل بعد « إذ » والمجيء
بـ « التنوين عوضا عن هذه الجمل » (١٣٠) ويذهب الرضى إلى أنه في
هذا المركب - يومئذ - قد يجرد « إذ » عن الماضي ويصير لمطلق
الظرفية فيجوز استعماله في المستقبل (١٣١) .

وهو في القرآن يتخذ اسارة زمنية ثابتة هي الوقوع في سياق
المستقبل فقط . وكما يأتي :

-
- (١٢٢) المصدر نفسه : ٣ : ١١٩ .
 - (١٢٣) الكتاب : ٣ : ١١٩ .
 - (١٢٤) المغني : ١ : ٨١ .
 - (١٢٥) الزلزلة : ٤ .
 - (١٢٦) المغني : ١ : ٨١ .
 - (١٢٧) الكهف : ٩٩ .
 - (١٢٨) المغني : ١ : ٨١ .
 - (١٢٩) نبت : ٣ .
 - (١٣٠) شرح ابن عقيل : ٢ : ٤٧ .
 - (١٣١) ينظر شرح الكافية : ٢ : ١٠٦ .

(أ) في إطار الشرط .

(ب) في إطار الإشارة الى يوم القيامة نصا .

(ج) في إطار الوعيد .

(أ) « كلا اذا بلغت التراقي الى ربك يومئذ المساق » (١٣٢) .

« ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال » (١٣٣) .

« فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ » (١٣٤) .

« فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير » (١٣٥) .

(ب) « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون » (١٣٦) .

« الملك يومئذ لله » (١٣٧) .

(ج) « ويل يومئذ للمكذبين » (١٣٨) .

إن « اذ » القرآنية في هذا المركب (يومئذ) تشير الى حدث في الزمن المستقبل ، بشكل صيغته أو بدلالته ، والقصد من هذه الإشارة إعادة هذا الحدث بزمته على سبيل تأكيد كقوله « وترى المجرمين يومئذ مقرنين » (١٣٩) .

وهي : وترى المجرمين مقرنين .

وترى المجرمين ، يوم اذ تراهم . مقرنين .

أو تعيينه ، لئلا تنصرف الإشارة الى غيره كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » ومن يولهم يومئذ دبره ٠٠٠ الآية « (١٤٠) يقول الزمخشري : « ومن يولهم يومئذ إمارة عليه » (١٤١) وينتهي بنا هذا المبحث الى تقرير أن « اذ » أداة

(١٣٢) القيامة : ٢٦ و ٣٠ .

(١٣٣) الأنفال : ١٦ .

(١٣٤) المؤمنون : ١٠١ .

(١٣٥) البقرة : ٨ و ٩ .

(١٣٦) المجادلة : ٢٧ .

(١٣٧) الحج : ٥٦ .

(١٣٨) المرسلات : ١٥ .

(١٣٩) إبراهيم : ٤٩ .

(١٤٠) الأنفال : ١٥ ، ١٦ .

(١٤١) الكشاف : ٢ : ١٤٩ .

من أدوات الكناية عن زمن ماضٍ ، وليست ظرفاً دالاً على زمان اقتران
حدثين كما ذهب الى ذلك الدكتور تمام حسان وإنما الاقتران ينبغي
أن يفسر في ضوء تعدد معاني « اذ » الوظيفية في السياق . ومن هذه
المعاني :

اسم دال على زمن الماضى .

ظرف دال على زمن اقتران حدثين .

أداة شرط .

أداة مفاجأة .

ظرف دال على الزمن المستقبل .

أَيَّان ، ومتى :

١ - من الألفاظ الموضوعية للاستفهام لطلب التصور (١٤٢) .

٢ - كنايةتان عن الزمن العام . قال سيبويه : « لو أن انساناً
قال ما معنى « أيان » ؟ فقلت : « متى » ، كنت قد أوضحت » وإذا قال :
ما معنى « متى » قلت : « في أي زمان » (١٤٣) .

٣ - « متى للزمان من دون تخصيص » (١٤٤) و « أيان
للمستقبل » (١٤٥) . وفي القرآن لم ترد « أيان » إلا في سياق
استقبالي ، كقوله تعالى : « وما يشعرون أيان يبعثون » (١٤٦) .

٤ - « متى » اسم شرط (١٤٧) . قال ذو الرمة :

واني متى أشرف على الجانب الذي

به أنت من دون الجوانب ناظر (١٤٨)

ف « متى » و « وأيَّان » أداتا استفهام زمنيَّتان (زمن متى عام وزمن
أيَّان مستقبل) يؤديان وظيفة استفهام عن ظرف ، أي يستفهمان عن مدة

(١٤٢) التلخيص : ١٥٩ ، ١٦٣ .

(١٤٣) الكتاب : ٤ : ٢٣٥ .

(١٤٤) التلخيص : ١٦٣ .

(١٤٥) المصدر السابق : ١٦٣ .

(١٤٦) النحل : ٢١ .

(١٤٧) للفني : ١ : ٣٣٤ .

(١٤٨) الكتاب : ٣ : ٦٨ .

زمن الصيغة . وتشاركهما في ذلك « كم » التي هي « كناية عن العدد على سبيل الإبهام » (١٤٩) تؤدي وظيفة الظرف التي هي قياس محدود .

يقول سيبويه : « وانما جاء هذا على جواب « كم » لأنه جعله على عدة الأيام والليالي ، فجرى على جواب ما هو للعدد ... وأما « متى » فانما تريد بها أن يوقت لك وقتا ولا تريد بها عددا » (١٥٠) ويعتمد المعنى الوظيفي لـ « متى » فتخرج الى الشرط وكقول ذي الرمة السابق . فتؤدي وظيفة التعليق الشرطي كـ « ان » وتضيف الى السياق معنى فرعيا تنطوي عليه هو الزمن العام فالنص على أن « أيان » و « متى » من ظروف الاقتران ليس أمرا دقيقا . بل الأصح أن يصنفا في قسم الأداة الثاني :

ونعرض فيه لمحااجة الدكتور تمام حسان وهو يطبق معياره الشكلي الدلالي على أقسام الكلم في العربية . فيجعل في ضوء هذا المعيار (الظرف) قسما قائما بذاته ، اذ يقول : « ليس في اللغة العربية الفصحى مما ينبغي أن يوضع فيه الا تلك الكلمات » (١٥١) أي : (اذا ، لا ، اذ ، متى ، أيان ، أين ، أنى ، حيث) ثم ينتهي الى جعل هذا القسم يتميز عن بقية أقسام الكلم من حيث المعنى والمبنى بما يشتمل على أمور . نعرض لها بالمناقشة :

من حيث (١) الصورة الاعرابية (٢) الرتبة (٣) الصيغة (٤) الجدول (٥) التسمية ، تتطابق الظروف والأدوات والضمائر فلا حجة له معها في جعل (الظروف) قسما مستقلا . أما من حيث (٦) التضام فسرأي أن « بعض الظروف تتبعه (ما) وهو : « اذ » و « اذا » و « متى » (١٥٢) ورأي أن « هذه الصورة من صور التضام » أي : (الظرف + ما) كـ : « اذا ما » ، « اذا ما » ... الخ تفرد الظرف بطابع خاص لا تشاركه فيه الأسماء ولا الصفات ولا الأفعال ولا الضمائر » (١٥٣) . وهذا رأي غريب . فهذه الصورة من التضام ليست (طائعا خاصا) بالظرف فهي تميز بعض الأدوات كأداة الشرط (ان) : مختصرا : (اما) (١٥٤) . وبعض الأفعال كـ « قلما » (١٥٥) وبعض

(١٤٩) الفصل : ١٧٩ .

(١٥٠) الكتاب : ٢١٧ .

(١٥١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢١ .

(١٥٢) المصدر السابق : ١٢١ .

(١٥٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٢ .

(١٥٤) الكتاب : ٣ : ١٥٩ .

(١٥٥) المصدر السابق : ٣ : ١١٥ .

الحروف كـ « ربما » و « إنما » (١٥٦) وقبل الدكتور تمام حسان كان أهل البصرة قالوا عن « ما » التي تضام حرف الجر « الباء » في الآية الكريمة : « فبما رحمة من الله » (١٥٧) : « هي تأكيد » (١٥٨) فهذه الصورة من صور التضام ليس مما يميز ظرف القسم المفترض وحده . وهي لا تكون إلا أن يكون ظرف القسم يؤدي وظيفة شرطية ، فلا حجة له فيها . بقي من سمات ظروف القسم الصرفي اثنان . هما (الزمن) و (التعليق) .

وستعرض لكل سمة بإيجاز :

من حيث الزمن : (أ) قال الدكتور تمام : « الزمن يستمد من الظرف بالمطابقة ومن الفعل بالتضمن » (١٥٩) فكان الدكتور تمام نسي ظروف القسم الصرفي ، لأن دلالة المطابقة معنى الظروف المحولة . أما ظروف ذلك القسم فلا تدل على زمن ، لا بالمطابقة ولا بالتضمن .

(ب) قال الدكتور تمام : « زمان الظرف معنى للظرف وهو مفرد وهذا المعنى معجمي » . وهذا القول يتناقض والظروف التي جعلها خاصة قسم الظروف — اذا و لما و متى و أيان — حيث نص على أنه ، ليس معنى هذه الظروف معجميا » (١٦٠) .

من حيث التعليق : يقول الدكتور تمام « الظروف هي اللغة تعبيرات عن معنى جمة . ومن هنا يقال للظرف انه متعلق بالفعل لأنه يفيد تقييد اسناد الفعل بجهة معينة من جهات فهمه » (١٦١) . وهذا التحليل ليس دقيقا ، لأن الفعل يحمل قيده الزمني بذاته ، كما هي إشارة سيبويه : « ففيه بيان ما مضى وما لم يمض منه » (١٦٢) . وكما هو رأى الدكتور تمام حسان نفسه (١٦٣) .

فالذي يفيد تقييد اسناد الفعل بالزمن هو صورة الفعل وليس ظرف الزمن .

(١٥٦) ينظر الكتاب : ٣ : ١١٥ .

(١٥٧) آل عمران : ١٥٩ .

(١٥٨) مجالس تعريب : ٢ : ٢٤٩ .

(١٥٩) اللغة العربية معناها ومعناها : ١٢٢ .

(١٦٠) المصدر السابق : ١٢٢ .

(١٦١) اللغة العربية معناها ومعناها : ١٢٢ .

(١٦٢) الكتاب : ١ : ٣٥ .

(١٦٣) ينظر اللغة العربية معناها ومعناها : ١٠٤ .

فأذ نفينا عن هذه الطائفة من الأدوات كونها ظروف اقتران حدثين
زمنيا ، واذ أوضحنا أنه يمتنع تطبيق أى من المعيارين الشكلي والوظيفي
منفردين أو مجتمعين على تلك الأدوات بغية إقحامها في قسم مستقل
من أقسام الكلم في العربية ، لم يعد هناك من مسوغ لأن يدخل الظروف
في قسم صرفي مستقل فللظرف (خانة نحوية) تتكون مما يقدمه
المعجم من مواد اسمية دالة على الزمن ، وما يقدمه الصرف من بعض
أقسام الكلم إلى النحو .

القسم الثاني

الدراسة التطبيقية

الفصل الأول

حقل الماضي

١ - صيغة فعمل :

تعتبر هذه الصيغة عن دلالة زمنية غير محددة في الماضي ، وعبارة سيديويه « بناء ما مضى » (١) وبعبارة أخرى تعبر هذه الصيغة عن دلالة قسم زمني هو الماضي الذي « يحتمل القرب والبعد » (٢) كقوله تعالى : « **أَخْلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ** » (٣) ، وليس عن دلالة جهة في هذا القسم « الماضي القريب ، المستمر ، البعيد ... الخ » وتتحصل الجهة ، أما من تركيبه مع الأدوات كما سيأتى ، أو من الاشارات المقالية الأخرى : كـ « وضع كلمة الاشارة ليشير عند الفراغ مما يشير اليه : هذا ما شهد عليه الشهود » (٤) أو من مادة الصيغة نفسها (٥) . كقوله تعالى : « **وَأَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** » (٦) .

حدث « فعل » والمضى الزماني :

ولما قدمنا من أن هذه الصيغة تعبر عن وقوع أحداث في إزمان غير محددة في الماضي ، لحقتها اشارات ظرفية لتحديد زمن غير محدد أصلاً ، مع رواج هذا الحق في الاستعمال . كقوله تعالى : « **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا** » (٧) وقوله : « **قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ كَمَ لَيْسْتَ قَاتِلًا لِبَنَاتِنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** » (٨) ويطرد في العربية ... في مستوياتها عامة ... توقيت صيغة « فعل » للاشعار بارتباطها الوثيق بالسياق التاريخي . كقوله تعالى : « **وَقَطَعْنَاهُمْ فِي**

(١) الكتاب : ١ : ١٢ .

(٢) حاشية الصبان : ١ : ٥٩ .

(٣) النحل : ٤ .

(٤) الكتاب : الهامش / تعليق السيراني : ١ : ١٢ .

(٥) ينظر فصل « الزمن الدلال » مبحث : « الزمن والمادة المعجمية » .

(٦) طاهر : ٢٤ .

(٧) الكهف : ٢٥ .

(٨) الكهف : ١٩ .

الأرض أما ٠٠٠ فخلف من بعدهم خلف « (٩) وقوله : « كم أهلكنا قبلهم من القرون » (١٠) .

ويعكس نص بروكلمان ذلك : « وفي صيف ٦٢٢ غادر اتباع محمد مكة . وفي ٢٠ أيلول سنة ٦٢٢ وصل إلى قباء . ولبت النبي في قباء خمسة أيام . وفي السنة الثانية للهجرة نهض النبي بمهمة إصلاح ذات البين » (١١) .

نفي صيغة فعل :

عبارة سيبويه : إذا قلت « فعل » فإن نفيه « لم يفعل » ، وإذا قلت : « لقد فعل » فإن نفيه « ما فعل » ، لأنه كأنه قال : « والله لقد فعل » فقال : « والله ما فعل » (١٢) .

ان الملاحظة التحليل السابق تؤدي إلى :

١ - أن نفي « فعل » بـ « لم يفعل » و « ما فعل » سواء ، من الناحية الزمنية ، عند سيبويه ، إذ هما ينفيان وقوع الحدث في الزمن الماضي غير المحدد . والنماذج التطبيقية التي عرض لها سيبويه تنطوي على هذه القيمة ، أي الدلالة الزمنية الواحدة في نفي « لم يفعل » و « ما فعل » قال : « يقول الرجل : « أتاني رجل » يريد واحداً في العدد ، فيقال : « ما أتاك رجل » أي : أتاك أكثر من ذلك ، أو يقول : « أتاني رجل لا امرأة » فيقال : « ما أتاك رجل » أي : امرأة أنتك . . . فإذا قال : « ما أتاك أحد » ، صار نفياً عاماً لهذا كله » (١٣) .

وقد صرح النحاة ، بعد سيبويه ، بالتوافق الدلالي الزمني بين : (لم يفعل) و (ما فعل) . قال ابن يعيش : « فتقول : « لم يقم زيد أمس » ، كما تقول : « ما قام زيد أمس » (١٤) .

٢ - أن النفي بـ « ما » أكد من النفي بـ « لم » لأن القسم أو الحلف توكيد « (١٥) على عبارة سيبويه نفسه .

(٩) الأعراف : ١٦٨ و ١٦٩ .

(١٠) طه : ١٢٨ .

(١١) تاريخ الشعوب الإسلامية : ٤٥ ، ٤٦ .

(١٢) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

(١٣) الكتاب : ١ : ٥٥ .

(١٤) شرح المصلى : ٨ : ١١٠ .

(١٥) الكتاب : ٣ : ٤٩٧ .

وإذا كنا نرى أن تحليل سيبويه يعكس النقطة الأولى ، فإن
النقطة الثانية تحتاج إلى نظر :

فهل كان سيبويه ، يقدم في توزيعاته هذه :

فروقا دلالية في الأسلوب اللغوي الواحد « النفي » ليشير إلى دلالة
توكيد الحدث من عدمه ؟ أو إلى أمر آخر يتعلق بطبيعة نفي الحدث في
القسم دون طبيعته في السياق العادي ؟

خلص الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن سيبويه يشير إلى فروق في
دلالة التوكيد بين « ما فعل » و « لم يفعل » .

وقد بنى الدكتور أنيس على هذا الاستنتاج نقده الذي وجهه إلى
سيبويه ، حيث جعل ذلك من قبيل السهو الذي وقع فيه ، والذي
« لم يكن إلا نتيجة اختصاص « ما » بوقوعها في جواب القسم بخلاف
« لم » التي لا تكون جوابا للقسم أبدا » (١٦) ويعنى ذلك أن الدكتور
أنيس يقر توزيعات سيبويه :

فعل : لم يفعل

(والله) نقد فعل : (والله) ما فعل

ويجملها فهما (وقد يفهم) (١٧) لم يصرح به سيبويه ، وهو
التوكيد بـ « ما » دون « لم » .

إن سيبويه ، فيما نرى ، لم يكن يشير إلى دلالة التوكيد ، بل
كان يوزع انساقا لغوية ، بحسب نوع النفي الذي يجري داخل هذه
الانساق . وبعبارة أخرى : إن نفي الأحداث في زمن ماضٍ غير محدد
هو ما يشير إليه النفي بـ « ما » و « لم » ، غير أن هناك فرقا في طبيعة
النفي بـ « ما » دون « لم » ، الأمر الذي يجعل لـ « ما » اختصاصا غير
الذي لـ « لم » وسوف نعرض لهذه النقطة بشيء من التفصيل في موضع
آخر من هذا الفصل .

إن الباحثين المعاصرين عرضوا للفرق بين النفي بـ « ما » والنفي
بـ « لم » من جهة نوع النفي ، ومن جهة زمن هذا النفي وقد انتهى
الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن « استقراء الأساليب العربية بصسورة

(١٦) من أسرار اللغة : ١٨٥ .

(١٧) من أسرار اللغة : ١٨٥ .

أشمل يرجع ما نذهب اليه من أن النفي بـ « لم » أكد من النفي باداة بسيطة مثل : « ما » (١٨) .

وقد تابعه الأستاذ أحمد البقري في رسالته : « أساليب النفي في القرآن » في أن « لم » أكد في النفي ، أو على (١٩) الأقل لا يمكن أن يكون النفي بها أضعف من النفي بـ « ما » (٢٠) .

أما العقاد فقد وجد النفي بـ « لم » و « ما » ذا دلالتين مختلفتين فـ « لم » تنفي الحدوث و « ما » تفيد نفي الانبغاء . وحاول أن يقدم تفسيراً لدخول « لم » على المضارع فقط ، ودخول « ما » على الماضي والمضارع ، مفاده أنه لما كانت « لم » تنفي الحدوث - ونفي الحدوث بالبداية لا يكون إلا لزمن ماضٍ - فمن أجل هذا تقتصد اللغة فلا تحول الفعل من صيغة المضارع الى صيغة الماضي بعد لم (٢١) .

إن ما أسماه العقاد (نفي الانبغاء) ، تردد ، كما سيأتي ، عند النحاة القدماء . وعلى الرغم من أن العقاد يضع قاعدة صارمة في تفسير دخول « لم » على « المضارع » دون « الماضي » ، ويرد هذه القاعدة الى ظاهرة الاقتصاد اللغوي ، من غير أن يوضح أسس هذا الرد ، فإنه يعد أول من فصل في الفروق الدلالية للنفي في اللغة العربية . والمهم ، في هذا السياق ، أن إعادة النظر في توزيعات سيبويه ، التي تقابل بين صيغ ومركبات في الاثبات والنفي ، أصبحت أمراً ممكناً . وسنعمد الى ذلك :

توزيعات سيبويه :

- ١ - فعل لم يفعل
- ٢ - لقد فعل ما فعل

(١٨) من أسرار اللغة : ١٨٦ .

(١٩) الصحيح : في .

(٢٠) أساليب النفي في القرآن : ١١٣ .

(٢١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة اللغة العربية : ١٤ : ٤٢ .

لم يفعل ↓ نفي حدوث	١ - فعل ↓ اثبات حدوث
ما فعل ↓ نفي انبغاء ↓ نفي قسم	٢ - ل ↓ مورفيم ربط يشير الى أسلوب بعينه هو القسم أداة توكيد ↓ والله لقد فعل ↓ اثبات قسم

فكاننا حين نفي حدثا مقسما على وقوعه لا نتجه الى نفي الحدث بل الى ان هذا الحدث ينبغي ألا يقع أصلا . وهذا هو الذي يفسر اختصاص « ما » بوقوعها في جواب القسم بخلاف « لم » (٢٢) . ف سيبويه وفق هذا ، لم يكن يريد المفاضلة بين « لم » و « ما » ، أيهما أقوى في التوكيد ، كما توهم الدكتور ابراهيم أنيس ، ولا يريد أيضا الإشارة الى خطوط زمنية (٢٣) . كما توهم الدكتور تمام حسان . ما يريد ما هنا التفريق بين نفي ونفي .

أما المستشرق الأستاذ كراوس فقلد افترض ، كما عرضنا لذلك (٢٤) : « أن صيغة « يفعل » كانت موجودة غير مقيدة بزمن ، ثم نشأ « فعل » بعد ذلك » (٢٥) .

وكان الأستاذ برجستراسر قد استند الى الاسس التاريخية

(٢٢) من أسرار اللغة : ١٨٥ .

(٢٣) فإذا أراد ذلك نص عليه ، كما سنرى .

(٢٤) ينظر الفصل الأول / الزمن الصرفي : من ٣٦ .

(٢٥) معاضرات في لغة اللغة / مخطوطة : ٢٥ .

ذاتها ، حيث انتهى الى « أن نفى الماضى القديم فى العربية هو « لم يفعل »
والحديث هو « ما فعل » (٢٦) .

والخلاصة : اذا أنعمنا النظر فى المباحث اللغوية القديمة والمعاصرة ،
وجدنا أنها تعلق الفرق بين نفى « فعل » بـ « ما » ونفيه بـ « لم » على :
(أ) الاطار التاريخى (رأى المستشرقين) .

(ب) الاطار الدلالى — التأكيد — الانباء — الحدوث (رأى عدد من
الباحثين العرب ، القدماء والمعاصرين) .

(ج) الاطار الزمنى (رأى الدكتور تمام حسان — الذى سنعرض
له قريبا) .

ولكى نستكمل الاحااطة بالفرق أو القروق بين هذين النفيين ينبغي
أن نلقى نظرة فاحصة على استعمالهما القرآنى .
وستجد أن نفى « فعل » بـ « ما » يكون فى القرآن الأنماط
الآتية :

١ — نمط الحصر :

ومنه قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا » (٢٧) وقوله :
« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه » (٢٨) وقوله :
« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنىلقى الشيطان
فى أمنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان » (٢٩) وقوله : « وما أرسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام » (٣٠) وقوله : « وكذلك
ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها » (٣١) .

وملاحظ الاثبات أو الايجاب فى التركيبات القرآنية السابقة واضح،
فليس القصد نفى حدث الارسال ، كما لو قيل « لم نرسل » وعلى عبارة
سبويه : « ولكنك أدخلت (الا) لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولتنفى
ما سواها » (٣٢) .

(٢٦) التطور النحوى للغة العربية :

(٢٧) يوسف : ١٠٩ .

(٢٨) الأنبياء : ٢٥ .

(٢٩) الحج : ٥٢ .

(٣٠) الفرقان : ٢٠ .

(٣١) الزمر : ٢٣ .

(٣٢) الكتاب : ٢ : ٣١٠ .

٢ - نمط المفعول المقترون بـ « من » :

تصحب « من » ، غالبا ، مفعول الفعل المنفى بـ « ما » كقوله تعالى :
 « وما أرسلنا من قبلك من رسول » (٣٣) وقوله : « وما أرسلنا قبلك
 من المرسلين » (٣٤) وقوله : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من
 نذير » (٣٥) وقوله : « ما اتخذ الله من ولد » (٣٦) وقوله : « وما كان
 معه من اله » (٣٧) . قال الأخفش : « ومنه قوله تعالى : « ما جعل الله
 لرجل من قلبين في جوفه » (٣٨) : انما أدخل « من » توكيدا ، كما نقول
 « رأيت زيدا نفسه » (٣٩) وكان سيبويه قد عرض لـ « من » فجعل لها
 هنا وظيفة التوكيد . قال « معنى « ما أتاني أحد » و « ما أتاني من أحد »
 واحد . ولكن « من » دخلت هنا توكيدا كما تدخل « الباء » في قولك
 « ما أنت بفاعل » و « لست بفاعل » (٤٠) .

وقد أشارت بعض المباحث المعاصرة ، مستهدية بالنظرية التي ترى
 في السوابق واللواحق Affixes « بقايا كلمات مستقلة قديمة
 أفرغت من معناها الحقيقي ، واستعملت مجرد موضحات ، أي مجرد
 رموز » (٤١) ، أشارت الى أن بعض هذه الكلمات « لا تلتصق بغيرها ،
 ولكنها تتبلور وتتجمد ومنها « من » التي هي فيما يبدو صورة جامدة من
 « المن » أي القطع ، أصبحت حرفا مبنيا على السكون ، وبقيت ، مع
 ذلك آثار معنى القطع فيه » (٤٢) . وهذا الافتراض سبقت اليه المباحث
 اللغوية القديمة ، وإن اختلفت في التأصيل . ففي (لسان العرب) :
 « (من) أصلها انما هو « منا » فلما جعلت أداة حذف « الألف » وبقيت
 « النون » مفتوحة ... » (٤٣) .

يساعدنا ، ما تقدم ، على القول ان نفى « فعل » بـ « ما » ، شأنه

(٣٣) الانبياء : ٢٥ .

(٣٤) الفرقان : ٢٠ .

(٣٥) الزخرف : ٢٣ .

(٣٦) المؤمنون : ٩١ .

(٣٧) المؤمنون : ٩١ .

(٣٨) الأحزاب : ٤ .

(٣٩) اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج : ٣ : ٨٧٠ .

(٤٠) الكتاب : ٢ : ٣٦٦ .

(٤١) المدخل الى النحو العربي على ضوء اللغات السامية : ٥٧ .

(٤٢) المدخل الى النحو العربي على ضوء اللغات السامية : ١١٨ .

(٤٣) لسان العرب : ١٣ : ٤٢٢ .

شأن النفي : « ليس » احتاج الى قرينة أخرى في بعض مراحل الاستعمال المبكرة ، تشير الى دلالة النفي ، وهذه القرينة هي « من » الدالة على القطع .

فكان « ما » تزعت الى نفي « فعل » في مراحل متقدمة من مراحل اللغة العربية . فاحتاجت الى أداة مساعدة .

٣ - نمط النفي مع لام الجحد :

ومنه قوله تعالى :

« وما كان الله ليضيع إيمانكم » (٤٤) وقوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين » (٤٥) وقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » (٤٦) وقوله : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » (٤٧) .

وقد تكرر نفي « ما كان » مع هذه « اللام » في القرآن سبع عشرة مرة في حين اقتصر نفي « لم يكن » معها على ثلاثة تركيبات (٤٨) ، منها قوله تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم » (٤٩) وتتطابق وظيفة هذه « اللام » مع وظيفة « من » في النمط السابق ، اذ هي « لام تأكيد النفي » (٥٠) وقال النحاس : والصواب تسميتها « لام النفي » (٥١)

ويعني ذلك أن النفي بـ « ما » تصاحبه مورفيمات وظيفتها : الاشعار بأن « ما » أداة نفي أولا ، ولتعميق نفي الحدث المنفي بها ثانيا ، ويعكس ذلك طورا استعماليا متقدما ، أي وجود علامتي نفي في تركيب واحد : (ما + من) (ما + ل) (ما + ب) .

ويعكس الاستعمال اللغوي في اللهجات العامية العربية المعاصرة شيئا من ذلك . ففي اللهجة المصرية تلحق الفعل المنفي بـ « ما » « شين » يمكن أن نسميها « شسين النفي » . مثل : « ما أبلتهوش = ما قابلته » . وفي لهجة سكان الهور ، جنوبي العراق ، تلحق الفعل المنفي بأداة النفي « عيب » « الشين » ذاتها . فيقال : « عيب رحتش = ما رحت » . وفي

(٤٤) البقرة : ١٤٣ .

(٤٥) آل عمران : ١٧٩ .

(٤٦) التوبة : ١٢٢ .

(٤٧) آل عمران : ١٧٩ .

(٤٨) أساليب النفي في القرآن : ١١٥ .

(٤٩) النساء : ١٣٧ .

(٥٠) الجمل : ٢٣ .

(٥١) مفاتيح اللبيب : ١ : ٢١١ .

اللهجة الفلسطينية يكتفى ، أحيانا ، بهذه (الشين) للتعبير عن النفي .
فيقال : « بديش » أو « ما بديش » أي « لا أريد » .

فاذا عرضنا لنفي « فعل » بـ « ما » و « لم » خارج صور أنماط النفي
الثلاث السابقة وجدنا :

١ - أن نفي (ما فعل) يتسم ، من الناحية الدلالية ، في أكثر
مواضعه ، بدلالة الانقباض التي نبه اليها الأستاذ العقاد (٥٢) . كما في
قوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » (٥٣)
وقوله : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » (٥٤) وقوله : « وما جعلناهم
جسدا لا يأكلون الطعام » (٥٥) وقوله : « وما كانوا خالدين » (٥٦) وقد
عرض دارسو النص القرآني لهذه الدلالة ، يقول القراء في قوله تعالى :
« ما كان لنبي أن يكون له أسرى » (٥٧) : « ما كان ينبغي لنبي أن يكون
له أسرى معناه : ما كان ينبغي له يوم بدر أن يقبل فداء الأسرى » (٥٨) .

٢ - أن نفي (الشرط) في العربية يكون بـ « لم » دون « ما » ففي
قوله تعالى : « فأتين ما تولوا فثم وجه الله » (٥٩) « أما يبلغن » (٦٠)
« وأما تخافن » (٦١) لا دلالة لبـ « ما » على النفي مطلقا :
فهى بتركيبها مع أفعال الشرط ليست إلا « بقية من أداة شرط
مندثرة » (٦٢) فاذا أردنا نفي أفعال الشرط اقتصرنا على « لم » في الغالب
وعلى « لا » النافية أحيانا ، كقوله تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله » (٦٣) .
يقول بعض النحاة : « وتنفرد « لم » بمصاحبة الشرط نحو : « وإن لم
تفعل فما بلغت رسالته » (٦٤) ويعنى ذلك أن نفي التركيب الشرطي ،
وهو تركيب قديم ، ليس في العربية حسب ، بل فيما يطلق عليه مجموعة

(٥٢) ينظر : مجلة اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤٢ .

(٥٣) الأنبياء : ١٦ .

(٥٤) الأنبياء : ٣٤ .

(٥٥) الأنبياء : ٨ .

(٥٦) الأنبياء : ٨ .

(٥٧) الأنفال : ٦٧ .

(٥٨) معاني القرآن : ١ : ٤٨١ .

(٥٩) البقرة : ١٦٥ .

(٦٠) الاسراء : ٢٣ .

(٦١) الأنفال : ٥٨ .

(٦٢) في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر : ٢٤٢ .

(٦٣) التوبة : ٤٠ .

(٦٤) حاشية الصبان : ٤ : ٥ .

اللغات السامية (٦٥) يشير الى قدم النفي بـ « لم » دون « ما » .

٣ - أن تركيب الاستفهام في العربية ينفي بـ : « لم » دون « ما » شأنه في ذلك شأن (الشرق المنفى) . قال تعالى : « أقلم يهد لهم » (٦٦) وقال : « ألم يروا الى الطير مستغرات » (٦٧) .

٤ - أن النقاط الثلاث السابقة تؤكد تفسير المستشرقين التاريخي لظاهرة نفي الفعل بـ « لم » و « ما » . وتبرز الافتراض القائل ان الطور الاول لنفي الحدث الفعل (المضارع) يكون بـ « لم » . وآثار هذا الطور تظهر في الابواب النحوية القديمة كالشرط والاستفهام كما تظهر الفروق الدلالية للنفي في الأطوار اللاحقة ، التي ألحح اليها سيبويه وصرح بها الفراء وفصلها العقاد ، صحة تفسير المستشرقين أيضا .

ويرينا الاحتكاك اللغوي المعاصر بين العامية والفصحى المعاصرتين ، التحول في استعمال أدوات النفي . فـ « لم » تختفي تماما عن الاستعمال في العامية ، في حين تحل محلها الأداة « ما » . ويرينا المثالان الآتيان فروق الدلالة :

• إذا ما درست الفصيحة = إذا درست = اثبات

• إذا ما درست العامية = إذا ما درست = نفي

بيد أنه لم يعد في مقدور العربية الفصيحة وضع حدود فاصلة بين نفي « فعل » بـ « لم » و « ما » ، وذلك لأن تعاقب الاستعمال ترك آثارا من تداخل الأشكال والمعاني بينهما :

فمن الناحية الشكلية يمكن إيراد نفي الكون ، كقوله تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » (٦٨) وقوله : « لم يكن الله ليفقر لهم » (٦٩) وقد عرضنا سابقا (٧٠) لحجم الاستعمال ، لكل من هذين التركيبين ، بوصفه إشارة الى الاستعمال اللغوي في تعاقبه التاريخي ويمكن النظر الى الأشكال التركيبية الآتية في ضوء ذلك التداخل أيضا قال تعالى :

(٦٥) درست التغيرات الاعرابية التي تطرأ على الفعل في (الشرط) بوصفها ظاهرة نحوية قديمة في تركيب نحوى قديم . وينظر في ذلك : أدوات الشرط في اللغات السامية - مخطوطة : ٣ .

(٦٦) طه : ١٢٨ .

(٦٧) النحل : ٧٦ .

(٦٨) البقرة : ١٢٣ .

(٦٩) النساء : ١٦٨ .

(٧٠) انظر / ص ٢٢٧ .

« ما اتخذ الله من ولد » (٧١) وقال : « لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك » (٧٢) وقال : « ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » (٧٣) وقال : « ولم يتخذ ولدا » (٧٤) .

اما من ناحية المعنى فهناك تركيبات لا يشير نفي « ما » فيها الا الى نفي الحدوث ، منها قوله تعالى : « لنندر فوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلمهم يدكرون » (٧٥) . فالنفي هنا منصوب على حدث الاثبات فقط ، اي : ما اتاهم نذير « في زمان الفترة بينك وبين عيسى » (٧٦) وقوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين » (٧٧) وقوله : « وما كنت بجانب الطور » (٧٨)

فليس هنا الا نفي حدث الحضور ، اي « ما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الى موسى » (٧٩) وفي قوله تعالى : « قالوا يا هود ما جئتنا ببينة » (٨٠) انصب النفي على المجيء ببينة .

ان ما تقدم ينتهي بنا الى أن نفي صيغة « فعل » هو « لم يفعل » و « ما فعل » . واما ما ذهب اليه الدكتور تمام حسان من أن « ما فعل » هو مهي وقوع حدث ماضٍ منتهٍ بالحاضر (٨١) فابتداع لا يرتكز الى ملاحظة في نص قديم أو حديث .

وما أظنه الا قد ربط بين قول سيبويه : « (ما فعل) نفي » لقد فعل » (٨٢) الذي ينظيره « قد فعل » دلالة الماضي القريب من الحاضر كما سنعرض لذلك في النقطة التالية . فبنى على ذلك توزيعاته على النحو الآتي :

الزمن	الجهة	الاثبات	النفي	التأكيد
الماضي	المنتهى بالحاضر	قد فعل	ما فعل	لقد فعل

- (٧١) المؤمنون : ٩١ .
- (٧٢) الاسراء : ١١١ .
- (٧٣) الجن : ٣ .
- (٧٤) الفرقان : ٢ .
- (٧٥) القصص : ٤٦ .
- (٧٦) الكشاف : ٣ : ١٨٢ .
- (٧٧) القصص : ٤٤ .
- (٧٨) القصص : ٤٦ .
- (٧٩) الكشاف : ٣ : ١٨١ .
- (٨٠) هود : ٥٣ .

(٨١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها . ملاحق الكتاب / جدول الزمن .

(٨٢) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

وهو توزيع اعتباطي ، لا يمثل احساس متكلم العربية القديم
بهذه الفروق النحوية في الزمن ، كما انه لا يعكس احساس متكلم العربية
المعاصر ان وجد .

قد فعل :

قال سيبويه : « واذا قال « قد فعل » فإن نفيه « لما يفعل » (٨٢)
وقال في موضع آخر : « وأما « قد » فجواب لقوله « لما يفعل »
فتقول « قد فعل » ، وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون
الخبر » (٨٢) . وفي موضع ثالث قال : « و « لما يفعل » و « قد فعل »
انما هما لقوم ينتظرون شيئا ، فمن تم أشبهت « قد » « لما » في انها
لا يفصل بينها وبين الفعل » (٨٥) .

وشرح السيرافي ذلك بقوله : « يعني أن الانسان اذا سأل عن فعل
فاعل ، أو كان يتوقع ان يخبر به . قيل له « قد فعل » واذا كان المخبر
مبتدئا قلت « فعل فلان كذا » (٨٦) .

ومثل ابن هشام لذلك بـ « قول المؤذن : « قد قامت الصلاة » لأن
الجماعة منتظرون لذلك » (٨٧) .

وفي كل تطبيقات سيبويه لم ترد إشارة الى سمة زمنية مضافة
الى المركب « قد فعل » ، أو الى فروق في الجهة الزمنية بين « قد فعل »
و « فعل » . بل ان سيبويه أشعر أن « قد فعل » يدل على زمن ماض
حسب . قال : « ألا ترى ان قولك : « قد ذهب » بمنزلة قولك : « قد كان
منه ذهاب » . (٨٨) .

لقد فرق سيبويه بين « قد فعل » و « فعل » من جهة و « لما يفعل »
و « لم يفعل » من جهة أخرى تفريقا يتصل بما يطلق عليه في المنهج
التحويلي « قواعد الترتيب Arrangement » (٨٩) .

فجملته : « قد فعل » تشير الى جملة سابقة هي « هل فعل ؟ » وهذه
الجملة اما أن تكون منطوقة ، أو في حكم المنطوقة باعتبارها مشسرا

(٨٢) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

(٨٤) الكتاب : ٣ : ١١٥ .

(٨٥) الكتاب : ٣ : ١١٤ ، ١١٥ .

(٨٦) الكتاب : الهامش : ٤ : ٢٢٣ .

(٨٧) معنى اللبيب : ١ : ١٧١ .

(٨٨) الكتاب : ١ : ٣٤ .

(٨٩) ينظر النحو العربي والدرس الحديث : ١٥٤ .

مقابلا لجملة « فعل » المستأنفة ، ومن هذا القبيل قول المؤذن : « قد قامت الصلاة » فانها جواب لقوم ينتظرون فيسألون « هل قامت الصلاة ؟ » وتشير تحليلات سيبويه لـ « قد فعل » و « لا يفعل » الى « الواقعية » أو « الرتبة » بوصفها مبدا من مبادئ التوزيع اللغوي عنده . فالرتبة الواحدة لـ « قد » و « لا » جعلتهما في حقل واحد من حيث ائتلافهما مع الفعل بلا فاصل وهو معنى عبارته « فمن ثم أضيفت « قد » « لا » في أنها لا يفصل بينها وبين الفعل » (٩٠) .

والمع باحثون قدماء ومعاصرون الى عدم استقرار الدلالة الزمنية التي يعبر عنها المركبان « قد فعل » ونفيه « لا يفعل » مما سنعرض له في مبحث « لا يفعل » .

أما المعاصرون الذين لم يلصقوا بـ « قد » مع « فعل » دلالة زمنية معينة فمنهم الأستاذ حامد عبد القادر الذي جعل « قد فعل » للماضي المؤكد (٩١) وجعل من ذلك قوله تعالى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك » (٩٢) وجعل المركب « لقد فعل » من قبيل زيادة هذا التأكيد (٩٣) كما في قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » (٩٤) وعزا التوكيد بـ « قد » الى أن هذه الأداة منقولة - كما هو رأى كثير من علماء اللغة - عن الفعل « قد » بمعنى « قطع » . (٩٥)

لكن أغلب الباحثين القدماء ، بعد سيبويه ، وعددا من المعاصرين الصفوا دلالة زمنية بـ « قد » و « لا » .

قال ابن الخباز : « اذا دخل « قد » على الماضي أثر فيه معنيين : تقريبه من الحال وجعله خبرا منتظرا » (٩٦) .
ومن أجل ذلك جوزوا اقتران « الآن » أو « الساعة » به فيقال : « قد قام الآن » أو : « الساعة » . (٩٧)

(٩٠) الكتاب : ٣ : ١١٥ .

(٩١) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة : معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٦٨ .

(٩٢) النساء : ١٥٣ .

(٩٣) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة : معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٦٩ .

(٩٤) التوبة : ١٢٨ .

(٩٥) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة : معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٦٩ .

(٩٦) الجنى الدانى : ٢٧١ .

(٩٧) الانصاف : ١ : ٢٥٤ .

وقد انعكست نتائج البحث النحوي القديم على أغلب المباحث المعاصرة . ليس هذا حسب ، بل ان بعض الباحثين سر بوزيعة سيبيويه « قد فعل » و « لما يفعل » تفسيراً زسياً ، وهو أمر نفينا عن « قد فعل » كما مر . يقول الدكتور مهدي المخزومي : « نستعمل (صيغة قد فعل) للتعبير عن وقوع حدث في زمن ماض قريب من الحال ونفيه انما يكون « لما يفعل » . قال سيبيويه : « اذا قال « فعل » فان نفيه « لم يفعل » واذا قال : « قد فعل » فان نفيه « لما يفعل » (٩٨) .

وقد ذهب الأستاذان الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي الى ما ذهب اليه المستشرق الأستاذ رايت من أن « قد فعل » تدل على وقوع الحدث تماماً قبل زمن التكلم قليلاً ، كما في الشاهد : « قد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك في أيام المنصور ، ونذكرها هنا وزارة الباقيين » (٩٩) .

وبين الدكتور ابراهيم السامرائي أنه الى مثل هذا توصل كل من المسيو بلاشير والمسيو ديوموبين في تناولهم مسألة « الزمان في الفعل العربي » فقد اهتموا الى « الماضي القريب » كما في قوله تعالى : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » (١٠٠) .

ان الربط بين مركب « قد فعل » ودلالة الماضي القريب أو الماضي المنتهي في الحاضر على نحو توزيعي أمر غير صحيح . أما الشاهد الذي ساقه المستشرق الأستاذ رايت « قد ذكرنا » . ونذكرها هنا . فدلالة قد ذكرنا على الماضي القريب صريحة . فما نريد أن نبينه أن المركب « قد فعل » شأنه شأن صيغة « فعل » يدل على ماض قد يكون مطلقاً أو قريباً أو بعيداً . واذا كانت قد ذكرت استعمالات ينتج فيها المركب « قد فعل » الى التعبير عن الماضي القريب فان استعمالات أخرى تبين اتجاه صيغة « فعل » الى التعبير عن الزمن ذاته . والى مثل هذا أشار الدكتور مهدي المخزومي : « ألحقت العربية « قد » ببناء « فعل » ليدل المركب على معنى زائد على ما يدل عليه البناء المطلق نفسه من تأكيد وقوع الحدث ، وإزالة الشك في وقوعه . . ولكن لهذا المركب في الاستعمالات دلالات أخرى غير ما ذكرت وهي الدلالة على وقوع الحدث في زمان قريب من الحاضر » (١٠١) .

(٩٨) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٦ .

(٩٩) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٢ .

وينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٧ .

(١٠٠) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٨ وقد ثبتت الآية الكريمة فيه كما يأتي :

« قد خلقنا فوقكم سبع طرائق » والصحيح ما أثبتناه : المؤمنون : ١٧ .

(١٠١) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٠ ، ١٥١ .

وقال في موضع آخر : « وقد نسمع من يقول : « نحرك القطار »
 اذا كان نحركه في الزمن المتصل بالاحبار » (١٠٢) أما استشهد
 المستشرقين الاسنادين بلاشير وديمومبين ، الذي استنقر اليه الدكتور
 ابراهيم السامرائي ، بقوله تعالى : « وقد خلقنا قومك سبع طرائق »
 فليس مما يؤيد ان حدث « خلق » بعد « قد » يدل على ماض قريب من
 الحاضر ويشير تعاقب الاستعمال في السياق القرآني الذي وردت فيه
 الآية الكريمة السابقة الى وقوع « لقد فعل » و « فعل » في خط دلالي واحد :
 قوله تعالى : « ولقد خلقنا قومك سبع طرائق وما كنا عن الشلق غافلين
 وأنزلنا من السماء ماء » (١٠٣) وسنعرض في النقطة التالية لاستعمالات
 « قد فعل » في القرآن بتفصيل .

وقد استند الدكتور تمام حسان الى الرأي النحوي القائل بدلالة
 « قد فعل » على الزمن الماضي المنتهي بالحاضر لكنه افترض أن فيه
 « ما فعل » وليس « لما يفعل » كما استند الى المركب « لقد فعل » دلالة
 توكيد للزمن الماضي المنتهي بالحاضر . (١٠٤)

وهذه توزيعات ودلالات افتراضية لا تستند الى أساس ما
 « قد فعل »

في الاستعمال القرآني :

لا نلاحظ في الاستعمال القرآني دلالة زمنية ما للمركب « قد فعل »
 خلاف دلالته على ماض غير محدد .

ففي قوله تعالى : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا
 لم نقصصهم عليك » (١٠٥) .

يفترض أن يقوم - وفق التحليلات السابقة - مقابل « قد قصصنا »
 « لما نقصص » . كما أن « قد قصصناهم من قبل » دلت على ماض بعيد ،
 وليس قريبا أو منتهيا بالحاضر كما هو زعم أكثر الباحثين . وقد عرضنا
 لما ذهب اليه الأستاذ حامد عبد القادر من أن وظيفة التأكيد دون الجهة
 الزمنية ، هي التي يؤديها هذا المركب ، وهو لم يكتف بذلك بل الصق
 بالماضي المؤكد بـ « قد » متبوعا بالظرف « قبل » أو « من قبل » دلالة

(١٠٢) المصدر السابق : ١٥٢ .

(١٠٣) المؤمنون : ١٧ و ١٨ .

(١٠٤) ينظر اللغة العربية معناها ومعناها / ملاحق الكتاب / جدول الزمن .

(١٠٥) النساء : ١٦٤ .

« الماضي البعيد » (١٠٦) كما في قوله تعالى : « الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » (١٠٧) ويؤيد الاستعمال القرآني ما يذهب إليه الأستاذ حامد عبد القادر قال تعالى : « سنة الله التي قد خلت من قبل » (١٠٨) فمادة الفعل « خلت » والاشارة الظرفية « من قبل » يشعران بزمن بعيد .

ان ملاحظة هذه النصوص تشير الى أن صيغة « فعل » ومركب « قد فعل » لا يختلفان في الدلالة على الماضي غير المحدد فقد يشعر حدثهما بوقوعهما في ماض قريب أو بعيد .. الخ .

أما أغلب الباحثين القدماء والمعاصرين الذين الصقوا بالمركب « قد فعل » دلالة جهة زمنية ، فقد استندوا - في أقوى ظن - الى المقابلة بين « قد فعل » و « لما يفعل » لافتراض أن نفي الاستغراق في « لما » يعنى زمنا ماضيا ممتدا الى الحاضر .

لقد فعل :

أما المركب « لقد فعل » فكان سيبويه جعل هذه « اللام » لام قسم . وفي الاستعمال القرآني ما يؤيد ذلك ، كقوله تعالى :

« تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك » (١٠٩) فأدخل هذه التركيبات في أسلوب القسم « لأنه كانه قال : « والله لقد فعل » (١١٠) فسيبويه لا ينظر الى الناحية الزمنية بل أن اهتمامه ينصب على مناح أخرى تتعلق بتصنيفات الأساليب اللغوية كالنفي والاثبات والتأكيد والقسم .. الخ .

وقد استند الأستاذ حامد عبد القادر بصورة ما الى هذه الملاحظة حين جعل مركب « لقد فعل » لزيادة تأكيد حدوث الفعل في الماضي (١١١) كما في قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » (١١٢) ولهذا المركب « لقد فعل » قيمة استعمالية عالية في النص القرآني :

(١٠٦) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٦٩ .

(١٠٧) يونس : ٩١ .

(١٠٨) الفتح : ٢٢ .

(١٠٩) النحل : ٦٣ .

(١١٠) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

(١١١) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم

: ١٠ : ٦٩ .

(١١٢) التوبة ، ١٢٨ .

من ذلك قوله تعالى : «ولقد استهزى برسلك من قبلك» (١١٣) ،
وقوله : « ولقد آتينا موسى تسع آيات » (١١٤) ، وقوله : « قال لقد
علمت ما أنزل هؤلاء » (١١٥) ، وقوله : « لقد جثتم شيئا ادا » (١١٦) .

وليس هنا ما يشعرون بدلالة زمنية خاصة لهذا المركب يميزه عن
دلالة « فعل » الزمنية . بل ان « لقد » تأتلف مع مركب « كان فعل »
الذي الصق به الباحثون المعاصرون دلالة الماضي البعيد - كما سنعرض
لذلك - قال تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل » (١١٧) ومن هنا
فان ما ألقاه الدكتور تمام حسان بهذا المركب من دلالة تأكيد الماضي
المنتهى بالحاضر أمر لا يقره الاستعمال اللغوي بل يكشف عن ولع الدكتور
تمام بتصنيف خانات زمنية ملفقة .

لما بفعل :

جعل سيبويه - كما عرضنا لذلك - (١١٨) « لما يفعل » نفيا
لـ « قد فعل » من حيث انها « تقوم ينتظرون شيئا » (١١٩) ، وكما قلنا
فان السمة المضافة الى دلالة النفي خاصة بهذا المركب تتعلق بناحية
كون التركيب معها معلقا أو مستأنفا . وقد نسب الاشمونى الى مصنف
الانفية رايه في أن « كون منفي » لما « يكون قريبا من الحال ، غالب
لا لارم » (١٢٠) ومثل الصبان لذلك بـ « ندم ابليس ولما ينفعه الندم » (١٢١)
فـ « لما » تقع موقع « لم » تقول : « أتيتك ولما أصل اليك » أى : « ولم
أصل اليك » (١٢٢) وفي موضع آخر جعل الاشمونى النفي بـ « لما »
- فضلا عن كونه نفيا لما يتوقع - نفيا « يتوقع ثبوته » (١٢٣) . وقد
عرض الزمخشري لتوقع ثبوت النفي بـ « لما » في قوله تعالى : « قالت
الاعراب ، آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان

-
- (١١٣) الأنعام : ١٠ .
(١١٤) الاسراء : ١٠١ .
(١١٥) الاسراء : ١٠٢ .
(١١٦) مريم : ٨٩ .
(١١٧) الأحزاب : ١٥ .
(١١٨) انظر ص ٢٢٩ من هذا الفصل .
(١١٩) الكتاب : ٣ : ١١٥ .
(١٢٠) شرح الاشمونى : ٣ : ٥٧٧ .
(١٢١) حاشية الصبان : ٤ : ٧ .
(١٢٢) المصدر السابق : ٤ : ٧ .
(١٢٣) شرح الاشمونى : ٣ : ٥٧٧ .

في قلوبكم » (١٢٤) قال : « وما في » لما « من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد » (١٢٥) .

وقد ألمح النحاة الى السياق التاريخي لاستعمال « لم » و « لما » بافتراض أن « لما » هي « لم » « ضمت اليها » ما » (١٢٦) .

وهذه الأداة المركبة من « لم + ما » اتجهت الى افادة ناحية دلالية مضافة الى وظيفة النفي التي تدل عليها أصلاً . وقد عرضنا للفائدة المضافة عند سيبويه وهي افادة التوقع ، وعند آخرين : وهي ثبوت تحقق هذا المتوقع .

وقد زاد النحاة العنصر الزمني بوصفه عنصر تفريق بين « لم » و « لما » أي « التوقع والانتظار واستطالة زمان فعلها » (١٢٧) فكانها موضوعة لنفي « الاستغراق أي امتداد نفيها من حين الانتفاء الى حال التكلم » (١٢٨) أو أنها لـ « نفي الحدوث مع انتظاره في المستقبل » (١٢٩) .

ويقدم لنا الخضري في حاشيته (١٣٠) جدولاً بالخصائص الدلالية لـ « لم » و « لما » في العربية على النحو الآتي :

لما	لم
• تختص بوجود اتصال نفيها بحال النطق .	• قد يتصل نفيها نحو « لم يلد ولم يولد » (١٣١) وقد ينقطع نحو « لم يكن شيئاً مذكوراً » (١٣٢) أي « ثم كان » .
• جواز حذف مجزومها اختباراً لدليل كـ « قاربت المدينة ولما » أي « ولما أدخلها » .	• لا يحذف (المجزوم) في « لم » الا ضرورة .
• قرب نفيها من الحال ، فلا يجوز « لما يقيم زيد في العام الماضي » .	• تصاحب الشرط .
• منفيها متوقع الحصول غالباً نحو « لما ينوقوا عذاب » (١٣٣) .	

- (١٢٤) المجرات : ١٤ .
- (١٢٦) أساليب النفي في القرآن : ١٠٢ .
- (١٢٧) الفصل : ٣٠ .
- (١٢٨) الكافية : ٢ : ٢٣٢ .
- (١٢٩) مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤٢ .
- (١٣٠) ينظر حاشية الخضري : ٢ : ١٢٠ .
- (١٣١) الإخلاص : ٣ .
- (١٣٢) الانسان : ١ . ويلاحظ هنا أن التحليل يستند الى المقام الديني .
- ينظر : ص ١٨٩ من فصل « الزمن الدلالي » .
- (١٣٣) ص : ٨ .

وتعني هذه المقارنة ، والمقارنات اللاحقة بين أدوات النفي في حقل المستقبل ، أن التغيير في البنى التركيبية لهذه الأدوات في ضوء التعاقب التساريفي ، أدى الى تكوين طبقة Iger من الدلالات كسبت المعنى الوظيفي الأساسي وهو « النفي » كما أن عدم استقرار ، أو عدم استقلال كل أداة بدلالات محددة ، وامتداد هذه الدلالات لتشمل أداتين معا ما يمكن تفسيره بأنه يمثل مرحلة عدم استقرار العلاقة بين الشكل ودلالته (١٣٤)

ويؤيد وجهة النظر هذه صدور أدوات النفي في العربية من منبع شكلي واحد . وقد لاحظ النحاة القدماء هذا الصدور في معرض تأصيلهم لهذه الأدوات . يقول سيبويه : « وما في « لا » مغيرة لها عن حال « لم » كما غبرت « لو » اذا قلت : « لو ما » (١٣٥) ويقول : « لن » فأما الخليل فزعم أنها « لا أن » (١٣٦) وهي : « لتأكيد » تعطيه « لا » من نفي (١٣٧) وهو ملحوظ تردد عند المعاصرين . يرى الدكتور ابراهيم أنيس أن « لم » منحوتة من « لا » و « ما » (١٣٨) .

وقد تبلور هذا الملحظ عند المستشرق الألماني (برجشتراسر) ، الذي يلاحظ أن النسيج الصوتي لأدوات النفي واحد ، وهو يستند الى الصامت « اللام » وقدم لنا برجشتراسر الجدول (١٣٩) على النحو الآتي :

(١٣٤) ويشير الاستعمال النحوي المعاصر الى افتراض أداة النفي « لا » تماما .

(١٣٥) الكتاب : ٤ : ٢٢٣ .

(١٣٦) الكتاب : ٣ : ٥ .

(١٣٧) الفصل : ٧ : ٣ .

(١٣٨) من اسرار اللغة : ١٨٤ . وهو رأى المستشرق الألماني برجشتراسر كما سيأتي .

(١٣٩) التطور النحوي للغة العربية : ١١٤ .

الفعل					أداة النفي
الماضي	الحاضر	المستقبل	الدعاء	الأمر	
	لا يفعل	لا يفعل لا يفعلن	لا فعل	لا تفعل لا تفعلن	لا
ليس يفعل	ليس يفعل				ليس
×	×	×	×	×	لا
لم يفعل					لم
لما يفعل					لما
		لن يفعل			لن
ما فعل	ما يفعل				ما
ان فعل	ان يفعل				ان
×	×	×	×	×	غير

وقد انتهى برجستراسر الى أن « لا » « تستعمل في كل الحالات الا الماضية ، ولما كانت « لم » ليست الا « لا » بزيادة « ما » قلنا ان « لا » مستعملة في الجميع والسبب في أنها أقدم حروف النفي في العربية « (١٤٠) فإذا أمكننا رد ملاحظة الأستاذ برجستراسر وهي أن « لا » تستعمل في كل الحالات الا الماضية ، إذ أن « لا » في منحي من مناحي نفيها تنفي « فعل » متكررا ، كقوله تعالى : « فلا صدق ولا صلي » (١٤١) ، وإذا أضفنا الى جدول برجستراسر « لام الجحد » يكونها أداة نفي « و « لو » يكونها أداة تدل على نفي ضمني (١٤٢) وإذا فسرنا معنى أدوات ك « ما »

(١٤٠) التطور النحوي للعربية : ١١٥ - (١٤١) القيامة : ٣١ -

(١٤٢) ينظر أساليب النفي في القرآن : ١٢٨ -

و « ان » و « غير » بكونه يعكس قانون التحول الوظيفي في الأدوات والكلمات : أمكننا القول ان التغيرات التي تطرأ على أشكال الأدوات في النفي توجد معاني فرعية ، تعكس طبيعة الانتقال من دلالة الى دلالة ، ذلك الانتقال الذي يحمل معه آثار ما يمكن أن نسميه « التذبذب الدلالي » ، ومنه تذبذب دلالة الزمن في النفي وهذه النتيجة يمكن تطبيقها على مركب النفي « لما يفعل » . فدلالته على زمن مستمر الى حال النطق ، ليست أمراً قاطعاً .

« كان سيفعل » « ما كان ليفعل » :

أشار سيبويه الى ما يمكن أن نسميه : « مستقبل الماضي » وهو مركب « كان سيفعل » . وجعل نفيه : « ما كان ليفعل » . قال « واعلم ان « اللام » نجيء في موضع لا يجوز فيه الاظهار (١٤٣) وكأنك اذا مثلت قلت : « ما كان زيد لهذا الفعل » فهذا بمنزلة ، ودخل فيه معنى نفي « كان سيفعل » (١٤٤) .

وقد صنف « كان سيفعل » و « ما كان ليفعل » مع تصنيفات زمنية أخرى على النحو الآتي :

الاثبات	النفي
كان سيفعل	ما كان ليفعل
سيفعل	لن يفعل

قال : « فاذا قلت : هذا - يعني - « كان سيفعل » قلت : « ما كان ليفعل » كما كان : « لن يفعل » نفيًا لـ « سيفعل » (١٤٥) .

وهذا المركب : « كان + س + يفعل » غير موجود في الاستعمال القرآني وإنما يوجد نفيه : « ما كان ليفعل » ، أو « لم يكن ليفعل » ، كما عرضنا له في مبحث سابق (١٤٦) وقد ورد ذلك في تطبيقات سيبويه : ففي معرض تحليله للأداة « لو » قال : « وأما « لو » فلما كان سيقع لوقوع غيره » (١٤٧) .

(١٤٣) يعني اظهر « أن » الناصبة .

(١٤٤) الكتاب : ٣ : ٧ .

(١٤٥) الكتاب : ٣ : ٧ .

(١٤٦) انظر : ص ٢٢٧ فما بعدها ، من هذا الفصل .

(١٤٧) الكتاب : ٤ : ٢٢٤ .

وهذا الملحظ الدلالي يبين أن حدث مستقبل الماضى حدث غير واقع فهو حدث مفترض ، يشبه حدث « لو » التى تدل على بعد تحقق حدثها أو استحالة حدوثه ، كما أنه يبين أن هناك توافقا دلاليا بين مركب « كان سيفعل » و « كاد يفعل » ، وهو عدم تحقق الحدث ، على الرغم من ملحظ مقارنة وقوع الحدث ، الذى يسم المركب الثانى دون الأول . وقد جعل ابن جنى مركب « كان سيفعل » « على نحو من حكاية حال : قولك : « كان زيد سيقوم أمس » أى كان متوقعا منه القيام فيما مضى » (١٤٨) .

وقد جعل الدكتور تمام حسان « ما كان ليفعل » دالا على نفى المستقبل البعيد (١٤٩) وهو جعل كیفى يستند الى الملاحظة الشخصية .

كان فعل :

لاحظنا فى مبحث الأدوات بين الزمن والاعراب (١٥٠) كيف أن النجاة نظروا يحذر الى المركبات التى تكونت فى اللغة العربية من ائتلاف « كان » ، فى الأساس ، مع الفعل .

ويشير الأستاذ فندريس الى خاصية هذا الائتلاف فى اللغة العربية بقوله : « فالحقل يحس بالفعلين « كان فعل » وكأنهما وحدة رغم أنه يمكن وضع كلمة بينهما » (١٥١) .

وقد أشار الأستاذ برجستراسر كما المنحنا (١٥٢) الى غنى العربية ، فى تكوين المركبات الزمنية عن طريق ائتلاف « كان » مع الافعال .

أما الباحثون المعاصرون ، من العرب ، فقد وجدوا ، فى هذه المركبات مفتاحا ، يدخلون به ، الى ما سميناه الجداول الزمنية فى العربية . وقد سبب ذلك ، والرغبة فى ايجاد مصطلحات زمنية تقابل المصطلحات الزمنية فى لغات أخرى ، اضطرابا فى التوزيع من حيث تعبير الصيغ والمركبات عن دلالاتها الزمنية .

(١٤٨) الخصائص : ٣ : ٣٣٢ .

(١٤٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٨ .

(١٥٠) انظر : ص ١٥٦ من الفصل الخامس : « الزمن والاعراب » .

(١٥١) اللغة : ١٠٧ . ويلاحظ ضعف المترجمين فى ايجاد التراكيب اللغوية العربية

التي تعتمد مقابلا للتراكيب اللغوية الفرنسية ، وهو قولها :

(وكأنهما وحدة رغم أنه) والصحيح أن يقال « وكأنهما كلمة واحدة » على الرغم

من ... الخ .

(١٥٢) ينظر / ص ١٠٠ من الفصل الثالث من هذه الرسالة .

« كان فعل » في الاستعمال :

تردد هذا المركب في النص القرآني خمس عشرة مرة ، جاء في عشر منها في سياق شرطي ، وفي اثنتين في سياق نفى ، وفي اثنتين في سياق خبري مثبت ، وفي واحدة في سياق انشائي ، كما سنفصل في ذلك :

السياق الشرطي :

جاء عليه قوله تعالى :

« وان كان كبير عليك اعراضهم » (١٥٣) وقوله : « ان كان كبير عليكم مقامى » (١٥٤) .

وقوله : « وان كان طائفة منكم آمنوا » (١٥٥) وقوله : « ان كان قهيصه قد من قبل » (١٥٦) وقوله : « وان كان قهيصه قد من دبر » (١٥٧) .
وقوله : « ان كنت قلته » (١٥٨) وقوله : « ان كنتم آمنتم » (١٥٩) وقوله : « ان كنتم خرجتم جهادا » (١٦٠) .

سياق النفي :

اما نفي « كان فعل » فهو : « لم يكن فعل » (١٦١) . وقد ورد ذلك في ثلاث آيات ، في سياق شرطي واسنغهامي وخبري . وهي على التوالي : « فان لم تكونوا دشلتهم بهن » (١٦٢) و « او لم تكونوا آقسمتم من قبل » (١٦٣) و « لم تكن آمنت من قبل » (١٦٤) .

(١٥٣) الأنعام : ٣٥ .

(١٥٤) يونس : ٧١ .

(١٥٥) الأعراف : ٨٧ .

(١٥٦) يوسف : ٢٦ .

(١٥٧) يوسف : ٢٧ .

(١٥٨) المائدة : ١١٦ .

(١٥٩) يونس : ٨٤ .

(١٦٠) المتحنة : ١ .

(١٦١) ورد نفي « كان فعل » عند الدكتور المخزومي « لم يكن يفعل » وهو فلفظ.

مطبعي ، ان مثل ذلك بقوله : لم تكن حسينا ، لم يكن بوا .

انظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٦ .

(١٦٢) النساء : ٢٣ .

(١٦٣) ابراهيم : ٤٤ .

(١٦٤) الأنعام : ١٥٨ .

سياق الاثبات :

الإنشاء :

قوله تعالى : « فلولا كانت قرية آمنت » (١٦٥) .

التحليل :

قوله تعالى : « جزء لمن كان كفر » (١٦٦) وقوله : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل » (١٦٧) .

• ان وجود « كان » في سياق الشرط ، كان واحدا من المعضلات النحوية التي واجهت الباحثين القدماء ، فلنحاة جعلوا من أسلوب الشرط - من وجهة نظر زمنية - قرينة ككل القرائن الزمنية الأخرى - في دلالة على المستقبل (١٦٨) . ومن هنا اضطرب في تفسير مورفيم الزمن في العربية - كان - بصيغته الماضية في الشرط ، أو بعبارة أدق : اضطرب في فهم الوظيفة النحوية لـ « كان » في السياق الشرطي باعتبارها قرينتين تنافسان زمنيا .

ان الفراء مثلا يستند الى التحليل الدلالي في هذا النوع من التراكيب في طرح « كان » جانبا من غير أن يقدم تفسيراً لمبعضها . يقول : « و « كان » قد يبطل في المعنى ، لأن القائل يقول « ان كنت تعطيني سántك » فيكون كقولك « ان أعطيتني سántك » (١٦٩) . فكان « كان » ، عند الفراء ، تندرج تحت القيم النحوية للشرط . في حين نظر المبرد نظرة مغايرة ، فجعل الشرط يندرج تحت القيم النحوية لـ « كان » . قال : « ان » تقلب الماضي الى الاستقبال الا « كان » وحدها ، فان « ان » لا تقلب ماضيها الى معنى الاستقبال ، لأنها كانت أصل في الأفعال الماضية فلم تقسو « ان » على قلبها . » (١٧٠) .

وهذه المساجلة امتدت الى المباحث النحوية التي تلت المبرد والفراء . فابن السراج ، الذي تابع الفراء ، يجد رأى المبرد في « كان » (في الشرط

(١٦٥) يونس : ٩٨ .

(١٦٦) القمر : ١٤ .

(١٦٧) الأحزاب : ٩٥ .

(١٦٨) ينظر الكتاب : ٣ : ٩٥ .

(١٦٩) معاني القرآن : ٢ : ٦٠ . وسنعرض لتطبيقات هذا الرأي في مناقشة المركب

« كان يفعل » .

(١٧٠) الأصول : ٢ : ١٩٩ .

• نقضاً لأصول الكلام » (١٧١) وتابع الصبان نفسه هذا الرأي : « في أن أدوات الشرط تقلب الماضي الى المستقبل سواء في ذلك « كان » أم غيرها على الأصح » (١٧٢) أما القيسي فيتابع المبرد وعبارته : « ان » للشرط وهي ترد جميع الألفاظ الماضية الى معنى المستقبل الا « كان » لقوة « كان » وكثرة نصرهسا » (١٧٣) وهو منحنى الرضى أيضا : « كان » للشرط في الماضي ، وهو مذهب المبرد وهو الحق ، يدلل قوله تعالى : « ان كنت قلته » (١٧٤) •

ووفق هذا المنحنى من النقاش بعد النظر النحوى عن تحليل مركب « كان فعل » نفسه في الشرط • أما المعاصرون ، فقد أغفلوا بحثه تماما حتى من جهة تعارض الدلالة الزمنية بين « كان » والشرط ، باستثناء اشارات تنبيه عرضية • مثل اشارة الدكتور محمود فهمى حجازى التى يقول فيها : « ويزداد الأمر تنوعا اذا لاحظنا الأزمنة المركبة واستخدمها في جملة الشرط وذلك منسل « ان كنت أصبت في ... فقد أخطأت في ... » (١٧٥)

ان رواج استعمال هذا المركب « كان فعل » في السياق الشرطى ذو مغزى دلالى خاص ، حيث يندرج لى :

١ - اطار تعليق عام ، أى فى اطار تشريعى خال من الزمن كقوله تعالى :

« وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله (١٧٦) وقوله : « فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » (١٧٧) •

٢ - فى اطار تعليق خاص • كقوله تعالى :

« وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ... » (١٧٨) وقوله : « ان كنت قلته فقد علمته » (١٧٩) •

وما هنا نلاحظ تمام الحالة الفعلية فى تعليق مركب ، ففي الآية السابقة يتم تفسير الجملتين اللتين تلحقانها على النحو الآتى :

(١٧١) الأصول : ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠ •

(١٧٢) حاشية الصبان : ٤ : ١٦ •

(١٧٣) مشكل اعراب القرآن : ١ : ٢٨٥ •

(١٧٤) الكافية : ٢ : ٢٦٥ •

(١٧٥) المدخل الى علم اللغة : ٧٧ و ٧٨ •

(١٧٦) الاعراف : ٨٧ •

(١٧٧) النساء : ٢٣ •

(١٧٨) الاسام : ٣٥ •

(١٧٩) الثالثة : ١١٦ •

فقله علمته

ان كنت قلته

تعام ما في نفسي

لا أعلم ما في نفسك

فهنا علم الله المطلق بأزاء جهل الانسان المطلق . و « لا أفعل »
و « يفعل » : « لا أعلم » و « تعلم » تعبران عن هذا الإطلاق في
العلم وعدمه .

ف « ان كنت قلته » تعني القطع بعدم الإدراك الانساني بأزاء
الإدراك الالهي المطلق .

فليس هناك اتجاه الى تعيين مسافة زمنية ، بل هناك اتجاه الى
تعيين تمام الحدث في الماضي . والرأى النحوي الذي أشار الى دلالة
الماضي في « ان كنت قلته » . يكشف جانباً من النظر النحوي في النص
وملابساته دون الالتزام بمقررات النظام اللغوي المفترض ، على الرغم
من أن دلالة الماضي ليست هدف مركب « كان فعل » في الشرط بل
هدفه : تمام الحدث ويحلل الدكتور طاهر حودة الآية : « ان كنت
قلته » في الاتجاه ذاته يقول « النصوص التي نحن بصددتها تشبه
ما يسمى بالماضي التام ، ولذلك نجدتها تعتمد على الفعل « كان » فعلا
مساعداً Auxillary Verb ، أو يفيد السياق تمام حدوثه في
الماضي » (١٨٠) .

أما دلالة المستقبل التي حاول نحاة آخرون الصاقها بهذا المركب،
يقلبه من : « كنت قلته » الى : « أكن قلته » (١٨١) فسرد عليه
الرضي : « بأنه ظاهر الفساد ، لأن هذه الحكاية ، إنما تجري يسوم
القيامة » (١٨٢) .

وتتضح هذه الناحية الدلالية في مركب « كان فعل » ، في جميع
استعمالاته الشرطية ، ويمكن أن نوضح ذلك بتناولنا قوله تعالى :
« يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (١٨٣) .

فليس المعنى ان وقع الايمان في الماضي ، وليس المعنى ان أردتم
الايمان بل المعنى : ان « صدقتم به وبآياته » (١٨٤) أي : تمام حدث
الايمان ، أي : ان انتم حقاً مؤمنون .

(١٨٠) ابن القيم الجوزية : ١٣٤ ، ١٣٥ .

(١٨١) ينظر : شرح الكافية : ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(١٨٢) شرح الكافية : ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(١٨٣) الكشاف : ٢ : ٢٤٩ .

(١٨٤) يونس : ٢٤ .

فإذا انتقلنا خارج السياق الشرطي لاحظنا دلالة « كان فعل » الزمنية .

ففى قوله تعالى : « فلولا كانت قرية آمنت » (١٨٥) نلمع جهة فى الزمن الماضى ، يعبر عنها المركب « كانت آمنت » أى زمنا ماضيا أبعد من زمن حدث ماض آخر فى سياق الآية نفسها . يقول الزمخشري : « ف « لولا كانت » :

فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها ثابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعايعة . » (١٨٦) .

ويقول الاستاذ حامد عبد القادر فى معرض تحليله الآية :

« وحملناه على ذات ألواح ودسر نجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر » (١٨٧) ولما كان الكفر قد حدث قبل النجاة فقد عبر عنه بصيغة الماضى البعيد المكونة من فعلين هما ماضى فعل الكينونة وهو « كان » والفعل المراد التعبير عنه فى صيغة الماضى وهو « كفر » (١٨٨) .

وقد جعل الاستاذ مarmaduke Pickthal بكنال . صيغة الماضى التام فى الانجليزية (had + pp.) بازاء قوله تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا » :
And verily they had already sworn into Allah (١٨٩)

ومن كل ما تقدم تنتهى الى أن المركب « كان فعل » فى العربية يشير ، شأنه شأن المركبات الفعلية والزمنية التى تتكون من : كان وتصريفاتها + الصيغ الفعلية البسيطة كـ « كان فعل » ، « يكون يفعل » « لم يكن يفعل » ، « قد كان فعل » ... الخ ، يشير الى وجود حالة Mood وزمن Time فإذا دل على زمن عبر عن جهة فى الماضى وهى الماضى البعيد . أو الماضى البعيد بالنسبة لزمن حدث يقع معه فى السياق ، وليس عن قسم زمنى .

(١٨٥) يونس : ٩٨ .

(١٨٦) الكشاف : ٢ : ٢٥٣ .

(١٨٧) القمر : ١٣ و ١٤ .

(١٨٨) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم :

١٠ . ٦٩ .

(١٨٩) من الآية ١٥ : الأحزاب .

وينظر : ترجمة معانى القرآن الكريم : ٥٥٠ .

أما في اللغة العربية المعاصرة ، ولا سيما في مستواها الاعلامي فإن للمركب « كان فعل » قيمة استعمالية عالية . وهو يستقر في شكل : « كان قد فعل » ودلالاته تتطابق مع دلالة مصطلح الماضي التام في الانجليزية الذي هو « فعل ماض تم قبل فعل ماض آخر » (١٩٠) . بل انه يبدو ، في ملاحظ معين ترجمة له . وسير النماذج الآتية عن استعمال هذا المركب في المستوى الاعلامي للعربية المعاصرة :

« أبدت السلطات الانغولية قلقها الشديد من الاتفاقية العسكرية وكان الرئيس الزايري « روبرو » قد وقع اتفاقية خدس سوات مع وزير الدفاع (الصهيوني) (١٩١) .

أي : expressed + had signed

و « لم ينته الخلاف بين الرئيس ريجان والكونجرس » وكان مجلس الممثلين قد رفض ... (١٩٢) .

والدهش أن الدكتور تمام حسان جعل مركب « كان فعل » للماضي البعيد المنقطع و « كان قد فعل » للماضي القريب المنقطع (١٩٣) وهو يصدر عن نقطة الارتكاز الزمنية ذاتها « قد » التي تعني عنده مورفياً زمنياً في العربية ؛ وظيفته تقريب حدث الماضي الى الحاضر في أي حقل توزيعي يدخل .

كان يفعل :

كننا عرضنا لاشارة الرضى الى أن هذا المركب يدل على الماضي المستمر (١٩٤) . وقد ترددت الدلالة ذاتها في المباحث المعاصرة ؛ فذهب فندريس الى أن « المضارع في العربية يسبق بفعل الكون ليبدل على الاستمرار في الماضي » (١٩٥) لكن الدكتور تمام حسان جعل دلالة « كان يفعل » هي : الماضي المتجدد ، أما الذي يدل عنده على الماضي

(١٩٠) معجم علم اللغة النحوي : ٣٠٤ .

(١٩١) مجلة الحوادث / عدد : ٢١ / ١٣٦٩ كانون الثاني / ١٩٨٣ / ص : ٥ .

(١٩٢) مجلة المستقبل / عدد : ٣٠٥ / سنة : ٢٥ / ٦٠ كانون أول ١٩٨٢ ص ١٠ .

(١٩٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ملاحق الكتاب / جدول الزمن .

(١٩٤) ينظر / ص ٣١ من الفصل الثالث : « الزمن النحوي » .

(١٩٥) اللغة : ١٠٧ .

المستمر ف مركب : « ظل يفعل » . والتجدد كما عرضنا له (١٩٦) عنصر في الصيغة الفعلية ، وليس عنصرا في الزمن الفعل .

فاذا عرضنا للمركب « كان يفعل » في الاستعمال القرآني ، من مثل قوله تعالى : « ما كنتم تعملون » (١٩٧) وقوله : « بما كنتم تعملون » (١٩٨) وقوله : « كنتم تعملون » (١٩٩) وقوله : « وما كانوا يهشون » (٢٠٠) فالاستمرار في الماضي - فيما يكون عادة ، أو يكون حالة عامة - هي دلالة المركب « كان يفعل » القرآني . ويمكن أن تتضح هذه الدلالة بصورة دقيقة في قوله ... سبحانه ... : « لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا » (٢٠١) فكان : كان يرجو = رجا الله كثيرا . وكان : ذكر الله كثيرا = كان يذكر الله .

كما يوضح الاحصاء الآتي في الاستعمال القرآني دلالة التبعو
هذه :

التردد	المركب
١٥٩	كانوا يفعلون
١٠٧	كنتم تفعلون
٠١٩	كان يفعل
٠٠٢	كانت تفعل

المجموع ٢٨٧

ويعني ذلك أن عادات الجماعة « كانوا يفعلون » « كنتم تفعلون » التي استغرقت مائتين وستة وستين تركيبا ، هي السائدة . أما عادة الفرد التي استغرقت واحدا وعشرين تركيبا فلا تكون الا نسبة ضئيلة في الاستعمال .

- (١٩٦) ينظر / ص ٥٠ من فصل « امكانات الصيغة » .
(١٩٧) الشعراء : ٧٥ .
(١٩٨) المتكوت : ٨ .
(١٩٩) يس : ٦٣ .
(٢٠٠) الأعراف : ١٤٧ .
(٢٠١) الأحزاب : ٢١ .

وما نلاحظه في هذا المركب يختلف عما لاحظناه في مركب « كان فعل » الذي لم تحول فيه « كان » صيغة « فعل » عن دلالتها على القسم الزمني ، وهو الماضي . أما ائتلاف « كان » مع « يفعل » فحول دلالة هذه الصيغة من قسمها الزمني وهو الحاضر الى قسم آخر وهو الماضي ، ودل على جهة في هذا الماضي « الاستمرار » ، وقد نص المعاصرون على هذه الدلالة (٢٠٢) .

يدخل مركب « كان يفعل » في السياق الشرطي فيفقد دلالاته الزمنية أي الماضي المستمر ، ويؤدي ناحية من نواحي الدلالة الفعلية وهي « الاستمرارية » ، مقابل دلالة « التمامية » في مركب « كان فعل » من غير نظر الى زمن .

كقوله تعالى :

« من كان يريد العاجلة عجلنا له » (٢٠٣) وقوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم » (٢٠٤) وقوله : « ان كنتن تردن الحياة الدنيا » (٢٠٥) وقوله : « من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات » (٢٠٦) وقوله : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا » (٢٠٧) .

ونلاحظ أن مادة حدث المركب « كان يفعل » هنا تقتصر على مادة الارادة والرجاء التي تدل على الرغبة . ومعنى الرغبة يتطابق مع دلالة الاستمرار .

وقد عرض القراء لقوله تعالى :

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم » فحلل مركب « كان يفعل » « كان يريد » وفق الملاحظ الاعرابي ، وهو جزم فعل الجواب « نوف » فكان الفعل « نوف » يقابل الفعل « يرد » من دون نظر لـ « كان » لأن المعنى فيها بعد « كان » و « كان » قد يبطل

-
- (٢٠٢) ينظر : في البحر العربي نقد وتوجيه : ١٥٨ . والفعل زمانه وأبعده . ٢٣ .
ومجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني للضارع في القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٧ .
(٢٠٣) الاسراء : ١٨ .
(٢٠٤) هود : ١٥ .
(٢٠٥) الأحزاب : ٢٨ .
(٢٠٦) التكميات : ٥ .
(٢٠٧) الكهف : ١١٠ .

فى المعنى « (٢٠٨) فكان « كان » عند الفراء نندرج تحت القيم النحوية للشرط ، فمعنى «ان كنت تعطينى سألتك» «ان أعطيتنى سألتك» (٢٠٩) ومع ذلك فالفراء لم يقدم لنا تفسيراً لوجود تركيبين شرطيين يتغايران فقط فى « كان يفعل » و « يفعل » كما يأتى :

« من كان يربى الحياة الدنيا » - « ومن يربى ثواب الدنيا » (٢١٠) .

والجواب هو أن هناك ناحية دلالية فى هذا المركب لا تتحصل من الصيغة البسيطة « يفعل » إذا وقعت فى إطار تركيب شرطى ، وقد نظر بعض الباحثين المعاصرين الى هذه المركبات حتى خارج إطار الشرط ، نظراً لتسم بالاضطراب .

يقول الدكتور ابراهيم السامرائى : « فهو (الفعل كان) فى كثير من الاستعمالات لا يراد به الا الوجود فى هيئة مخصوصة وفى زمان ما ، وهو وحده بناء مفرغ من الدلالة الزمانية .

وانما يهتدى فيه الى الزمان من معنى الجملة ، فاذا قلنا : « كان محمد لا يفارق داره » ففى هذا التركيب يأتى الفعل للدلالة على الوجود ... ومن ذلك جاء فى الأغسانى : « كان أبى يكون عند كسرى » (٢١١) .

فتحليل الجملتين لا يبدو إطار دلالة المركب « كان يفعل » .
جملة : « كان لا يفارق » = هذه عادة محمسه المستمرة فى الماضى .

وجملة : « كان ... يكون ... » تساوى فيها صيغة « كان » مورفيماً زمنياً ، وصيغة « يكون » فعلاً تاماً ، كما عرضنا لذلك (٢١٢) .

ويمكن أن نجرى استبدالاً بين « يكون » وفعل تام آخر ليتضح معنى التركيب . كان يقال : « كان أبى يختلف الى مجلس كسرى » .

ثم أن وجود هذه المركبات (كان + الفعل) فى سياق لغوى مركب - هو الشرط - يدلنا على التحول فى الاستعمال على مستوى :

(٢٠٨) معنى القرآن : ٢ : ٥ .

(٢٠٩) المصدر السابق : ٢ : ٥ .

(٢١٠) آل عمران : ١٤٥ .

(٢١١) الفعل زمانه وأينته : ٣٠ و ٣١ .

(٢١٢) ينظر / ص ١٦٤ .

الدلالة والوظيفة في الكلمات والأدوات ، ف « كان » التي لها آثار من استعمالها بكونها فعلا تاما : « وان كان ذو عسرة » (٢١٣) تتحول الى مورفيم زمني « كان ذلك في الكتاب مسطورا » (٢١٤) ثم الى (فعل مساعد) يكون مع فعل الحدث مركبا زمنيا « ان تكونوا تملون » (٢١٥) .
أو مركبا دلاليا في سياق دون غيره .

نفي « كان يفعل » :

ورد في القرآن « لم يكن يفعل » نفيًا لـ « كان يفعل » في قوله تعالى :
« ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون » (٢١٦) وقوله : « ولم نك
نطعم المسكين » (٢١٧) وقوله : « لم تكن تدعوا من قبل شيئا » (٢١٨)
وورد : « ما كان يفعل » نفيًا لـ « كان يفعل » مرة واحدة ، في قوله
تعالى : « ما كان يغني عنهم من الله من شيء » (٢١٩) .

ظل يفعل :

اقترح الدكتور تمام حسان أن يدل هذا المركب على (الماضي المستمر) ، واقترح أن يكون نفيه : « لما يفعل » (٢٢٠) وقد بينا في النقطة السابقة أن دلالة الماضي المستمر هي دلالة : « كان يفعل » .
ان مركب : « ظل يفعل » يتيح لنا أن نستنبط مركبات زمنية تستند الى مادة الأفعال ، التي تتميز بوظائفها النحوية أكثر مما تتميز بدلالاتها الفعلية (الحديثة) ، + الأفعال الحديثة ، وهي ، بهذا ، تتحول كـ « كان » هنا ، الى أفعال مساعدة ، غير أنها تفتقر عن « كان » ، بدلالة موادها في هذا الجانب - فنحن يمكننا أن ندرج تحت مركب : « ظل يفعل » : « بقي يفعل » ، « استمر يفعل » ، « بات يفعل » ... الخ .
وقد تردد مركب « ظل يفعل » و « ظل فاعلا » ست مرات في القرآن جاء جميعه في سياق شرطي :

• (٢١٣) البقرة : ٢٨٠

• (٢١٤) الاسراء : ٥٨

• (٢١٥) النساء : ١٠٤

• (٢١٦) المؤمنون : ١٠٥

• (٢١٧) الدھر : ٤٤

• (٢١٨) طه : ٧٤

• (٢١٩) يوسف : ٦٨

• (٢٢٠) اللغة العربية معناها ومعناها : ملحق الكتاب / جدول الزمن .

وذلك قوله تعالى :

« وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا » (٢٢١).
وقوله : « أن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها
خاضعين » (٢٢٢) وقوله : « لو نشأ لجمعنا عظاما فظلمن تفكهون » (٢٢٣).
وقوله : « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » (٢٢٤)
وقوله : « ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » (٢٢٥)
وقوله : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا » (٢٢٦) أما مركب
« يظل يفعل » فسيدرس في حقل الحاضر .

ان فحص التركيبات السابقة ينتهي الى تقديم الملاحظات الآتية :

١ - في ظل + اسم الفاعل (مسود ، خاضع) نلاحظ دلالة ثبوت
صفة في الماضي .

٢ - في ظل + الفعل المضارع (تفكهون ، يعرجون ، يكفرون)
نلاحظ دلالة استمرار حدث في الماضي .

٣ - أي أن « ظل » في الاستعمال القرآني ترد فعلا مساعدا
لتعيين جهة في القسم الزمني . وبهذا يمكن إجراء التغيرات الشكلية
بإبعاد الفعل المساعد ودلالته في الجهة الزمنية .

ففي قوله تعالى :

« ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون »
= لكفروا من بعده

وقوله :

« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا »
= اسود وجهه

أما في مباحث النحاة فقد أشير الى أن « ظل » اتصاف
المخبر عنه بالخبر نهارا » (٢٢٧) وبه فسرت بعض السياقات القرآنية ،

• (٢٢١) الزخرف : ١٧

• (٢٢٢) الشعراء : ٤

• (٢٢٣) الواقعة : ٦٥

• (٢٢٤) الحجر : ١٤

• (٢٢٥) الروم : ٥١

• (٢٢٦) النحل : ٥٨

• (٢٢٧) شرح ابن عميل على الألفية : ١ - ٢٢٢

ففى قوله : « فنظل لها عاكفين » قال الزمخشري وإنما قالوا « نظل » لأنهم يعبدونها بالنهار دون الليل » (٢٢٨) . وهذه الدلالة نفسها جعلت لمادة « ظل » فى المعاجم : ففى لسان العرب :

« ظلت أعمل كذا بالكسر ظلولا إذا عملته بالنهار دون الليل ... وظل يفعل كذا لا يقال ذلك الا فى النهار لكنه صبح فى بعض الشعر ظل ليله » (٢٢٩) .

لكن مادة « ظل » بتحولها الى فعل مساعد ، أخذت تفقد دلالتها المعجمية التى تربط هذه المادة بالنهار وصارت تؤدى وظيفة زمنية فى جميع الأوقات . ومنه « ظل ليله » (٢٣٠) . وبعبارة أخرى فإن « ظل » تحولت الى فعل مساعد يشير الى الاستمرار ، شأنه شأن مواد الاستمرار : « استمر يفعل » و « بقى يفعل » ففى قوله تعالى : « ولئن أرسلنا ريحا فإروا مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » (٢٣١) لا يمكن ربط استمرار حدث الكفر بالنهار فقط ، بل المعنى : « اذا أرسل ريحا فضررب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا » (٢٣٢) .

فاذا عدنا الى عبارة الزمخشري : « وإنما قالوا فنظل لأنهم كانوا يعبدونها .. » (٢٣٣) أدركنا التوافق فى الدلالة الزمنية بين مركبى « كان يفعل » و « ظل يفعل » ، مع ملحظ نفى من الاختلاف بينهما . أن « ظل يفعل » يدل على حدث مستمر فى الماضى لا يكسب عادة ، فهو حدث خاص بظرف واحد .

أما مركب « كان يفعل » فيدل على حدث مستمر فى الماضى ، يكون ما يمكن أن يسمى « الماضى التمودى » (٢٣٤) .

نفى ظل يفعل :

عرض المعاصرون للمركبات التى تتوافق فى دلالتها العامة من حيث كونها مواد توقيت (ظل / نهار ، بات / ليل ، أصبح / صباح ، أمسى /

(٢٢٨) الكشف : ٣ : ١١٦ .

(٢٢٩) لسان العرب : ١١ : ٤١٥ .

(٢٣٠) المصدر السابق : ١١ : ٤١٥ .

(٢٣١) الروم : ٥١ .

(٢٣٢) الكشف : ٣ : ٢٢٦ .

(٢٣٣) الكشف : ٣ : ١١٦ .

(٢٣٤) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مجلة معاني تضارع فى القرآن الكريم :

١٥٧ : ١٥٧ .

مساءً . . الخ) مع « كان » وبعبارة أخرى جعلها بعض الباحثين المعاصرين في حقل توزيعي واحد مع « كان » لا من حيث المعيار الاعرابي « رفع المبتدأ ونصب الخبر » كما فعل القدماء ، بل من حيث انها تؤدي وظيفة نحوية هي الوظيفة الزمنية ، يقول الدكتور ابراهيم السامرائي : « ومثل « كان » سائر الأفعال التي تتصل بزمان معين . . للدلالة على أن الحدث كان مستمرا في الزمان الماضي بزمان معين » (٢٣٥) أي : بما تدل عليه مادة كل مفردة .

غير ان هذا المنحى التوزيعي يواجه معضلة تحتاج الى جواب ، وهذه المعضلة تتعلق بنفي مركبات التوقيت وهذا النوع من النفي لم يرد له استعمال في القرآن ، ولم يعرض له في مباحث النحاة القدماء ولا في مباحث المعاصرين فيما وقع تحت يدي . ومما يزيد عدم ورود سياقات نفي لهذا النوع من المركبات تحايل هذه المركبات ، واستثنى من ذلك ما اقترحه الدكتور تمام حسان من جعل نفي « ظل يفعل » : « لا يفعل » . وكنا عرضنا لمركب النفي « لا يفعل » (٢٣٦) فلا حاجة بنا الى الرد على الدكتور تمام ، بل ان وضع « لا يفعل » مقابلا لـ « ظل يفعل » يكشف أيضا عن معضلة لابد من منقبات مركبات التوقيت : وسنسلط طريق التطبيقات لنصل الى الغاية من هذا المبحث :

اذا نفينا

« كان زيد يفعل » فلنا : « لم يكن زيد يفعل »

وستقيس بقية المواد على « كان » لكونها تسهل معها في حقل توزيع واحد ، من حيث الوظيفة النحوية :

المركب الموجب	المركب المنفي	المفترض
ظل زيد يفعل	لم يظل زيد	يفعل
المركب المثبت	ما ظل زيد	يفعل
أضحى زيد يفعل	المركب المنفي	
أصبح زيد يفعل	لم يضح زيد يفعل	

(٢٣٥) الفعل زمانه وإبنيته : ٢٣ و ٢٤ .

(٢٣٦) ينظر / من ٢٣٦ من هذا الفصل .

ما أضحى زيد يفعل	
لم يصبح زيد يفعل	
ما أصبح زيد يفعل	
لم يمس زيد يفعل	أمسى زيد يفعل
ما أمس زيد يفعل	
المركب المنسقي	المركب المبني
لم يصر زيد يفعل	صار زيد يفعل
ما صار زيد يفعل	
لم يبت زيد يفعل	بات زيد يفعل
ما بات زيد يفعل	

ان التركيبات المنفية ليست جملا ، لأنها انطوت على خرق في
الطبيعة النحوية للجملة العربية والسؤال : أين يكمن هذا الخرق ؟

والجواب : ان هذه المواد التي هي أفعال توقيت وصيرورة في
مثل : قوله تعالى : « حين تمسون وحين تصبحون » وحين تظهرون » (٢٣٧)
وقوله : « ألا الى الله تصير الامور » (٢٣٨) ، قد تحولت في قسم من
استعمالاتها الى افعال مساعدة لتؤدي وظيفة في الجهة الزمنية - غير
انها لم تفقد دلالات أحداثها في التوقيت ، ولهذا فإن نفي المركبات
التي تكونها بانسلافها مع الأفعال التامة ، ينصب على أحداث هذه
المواد المساعدة دون أن ينصب على أحداث الأفعال ، ولهذا يمتنع النفي
معهما . لأننا في مثل هذه المركبات تنفي حدث الفعل دون حدث الفعل
المساعد ، باعتبار أن الأفعال المساعدة لا تنطوي على حدث .

ويتضح ذلك في « كان » التي فقدت في مثل هذه المركبات فعليتها
تماما فلا يقع النفي عليها ، كما اذا قلنا :

كان زيد يفعل

ولم يكن زيد يفعل

فالنفي هنا منصوب على حدث « يفعل » و « يكن » فعل مساعد .
فجملة « لم يكن زيد يفعل » في عمقها هي كما يأتي :

لم يكن زيد يفعل
ليكون زيد يفعل

(٢٣٧) الروم : ١٧ -

(٢٣٨) الثوري : ٥٣ -

حي حين لا يمكن أن نعثر على العمق ذاته في مواد التوقييت .
فالقول :

لم يصبح زيد يفعل
يكون :

لم يصبح زيد يفعل

أي لم يدخل زيد في الصباح . و « يفعل » حدث لا علاقة له بالتركيب
السابق . وهذا هو الخلل النحوي في مثل هذه المركبات .

ان الفرق بين « كان » و « أصبح » ، حين يقعان فعلين مساعدين
هو : أن « كان » تحتفظ بفعليتها الصرفية (الاستناد الى الضمائر
والتصريف) وتفقد فعليتها النحوية أي حدثها الفعلي تماما ، في حين
تحتفظ « أصبح » بفعليتها الصرفية وجزء من حدثها الفعلي ، وهذا
الجزء من الحدث يكون ما يشبه الحاجز بين أداة النفي وحدث الفعل
في مثل هذه المركبات .

كاد يفعل :

نظر النحاة الى فصيلة الأفعال المساعدة ، التي تكون مع الأفعال
الماه مركبات ، تنتج دلالات زمنية ، نظروا اليها باعتبار المعيار الاعرابي
فسيبويه يقدم النسق الآتي من المركبات المتباينة في الوظائف والدلالات
والمتوافقة في رفع المضارع :

←	كرب
←	كاد
←	جعل
←	أخذ
←	كان

← . يفعل (٢٣٩)

غير أنه يطلق عليها مصطلح الحروف ، مشيرا الى تميزها عن
الأفعال من غير أن يعين هذا التمييز قال :

« ولها نحو ليس لغيرها من الأفعال » (٢٤٠) ونص على أن
وظيفتها « تقريب الأمور » (٢٤١) .

- (٢٣٩) ينظر الكتاب : ٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٢٤٠) الكتاب : ٣ ، ١٦١ .
(٢٤١) الكتاب : ٣ ، ١٦١ .

أما النحاة من بعده فطرحوا وظائفها ودلالاتها ، وعشروا بتوزيعها على أساس فعاليتها الاعرابية ، ومن هنا جمعوا في خانة واحدة ما أطلقوا عليه الأفعال التواسخ (٢٤٢) وهو معنى قول ابن مالك :

« ك كان كاد وعسى » (٢٤٣) .

باعتبار أنها جميعا « تدخل على المبتدأ والخبر ، فترفع المبتدأ اسما لها ، ويكون خبره خبرا لها في موضع نصب » (٢٤٤) .

« كاد يفعل » في القرآن :

ومن استعمال المركب « كاد يفعل » في القرآن قوله تعالى :
« من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » (٢٤٥) وقوله : « ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها » (٢٤٦) وقوله : « ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها » (٢٤٧) وقوله : « ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » (٢٤٨) وقوله : « وان كادوا ليفتنونك » (٢٤٩) وقوله : « وان كادوا ليستفزونك » (٢٥٠) وقوله : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » (٢٥١) .

ان فحص النصوص السابقة يؤدي الى :

١ - أن الحدث اقرب من الوقوع ، ولكنه لم يقع ، وتفسير بعض الأدوات في التركيب الى عدم الوقوع .
وهي : « لولا » ، « اذن » غير أن هذا ليس عاما ، وان كان مطردا .

٢ - يميل الاستعمال اللغوي في القرآن ، في هذه التراكييب الى استغلال « شدة قرب الفعل من الوقوع » (٢٥٢) وعدم الوقوع أبدا ،

• (٢٤٢) ينظر شرح ابن عقيل على الآية : ١ : ٢٢٧ .

• (٢٤٣) شرح ابن عقيل على الآية : ١ : ٢٧٧ .

• (٢٤٤) المصدر السابق : ١ : ٢٧٧ .

• (٢٤٥) التوبة : ١١٧ .

• (٢٤٦) الفرقان : ٤٢ .

• (٢٤٧) القصص : ١٠ .

• (٢٤٨) الأعراف : ١٤٩ .

• (٢٤٩) الاسراء : ٧٣ .

• (٢٥٠) الاسراء : ٧٦ .

• (٢٥١) الاسراء : ٧٤ .

• (٢٥٢) دلائل الإعجاز : ١٨٣ .

الى خلق حالة تضاد (Contrastive case) مؤثرة فيدخل ما يؤكد تحقق الحدث لابرار عدم التحقق . للمركب « لقد + فعل » كـ « كسنا مر بنا » (٢٥٣) من مركبات التأكيد ، بل عنه سيبيويه من مركبات القسم (٢٥٤) .

بل ان المعنى في « لقد كدت » يبدو كأنه يصدر عن فعل التأكيد أكثر مما يصدر عن أداة مقارنة الحدث لتصوير حدث الركون وكأنه قد تحقق فعلا لولا تدخل ارادة الله . وينقل الزمخشري الاحساس ذاته بقوله : « وهذا تهيج من الله له وفضل تثبيت » (٢٥٥) .

كما انه يمكن أن تفسر دخول « ان » المخففة المؤكدة ولام التوكيد على « كاد » وحدث مركبها في هذا الضوء :

في قوله : « وان كادوا ليفتنونك »

وقوله : « وان كادوا ليستفزونك »

ف « ان » كما يصرح سيبيويه « توكيد » (٢٥٦) وكذا « اذا خففت » فهي كذلك تؤكد ما يتكلم به وليثبت الكلام ، غير أن لام التوكيد تلزمها عوضا مما ذهب منها » (٢٥٧) .

والتضاد يقع بين توكيد وقوع الحدث ، وعدم وقوعه أساسا . وعلى عبارة السيرافي : « فلست بمخبر أنك فعلته ، ولا أنك عريت منه عري من لم يرمه » (٢٥٨)

ولم تعرض المباحث المعاصرة لما سمي بـ « أفعال المقاربة » بصورة تفصيلية لا ستخراج قيمها النحوية ، عدا اشارات رددت ما قاله القدماء : فجعل الدكتور تمام حسان المركب « كاد يفعل » دالا على الماضي المقاربي ، وجعل نفيه : « لم يكّد يفعل » وتوكيده : « لقد كاد يفعل » (٢٥٩) . ودلالة الماضي المقاربي صحيحة من حيث تميز دلالة الحدث المعنوية ، لا من حيث دلالة الزمنية — كما سنعرض لذلك في هذا المبحث — وقد تفادى

(٢٥٣) ينظر / ص ٢٣٥ من هذا الفصل .

(٢٥٤) الكتاب : ٢ : ١١٧ .

(٢٥٥) الكشف : ٢ : ٤٦٠ .

(٢٥٦) الكتاب : ٤ : ٢٣٣ .

(٢٥٧) الكتاب : ٤ : ٢٣٣ .

(٢٥٨) الكتاب : ٣ : ١١ .

(٢٥٩) اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول الزمن .

الدكتور تمام حسان ذكر صيغة « يفعل » المثبتة من « كاد » : « يكاد يفعل » ونقيها وهو ما سنعرض له في حقل الحاضر .

نفي كاد يفعل :

ورد في القرآن الكريم شكلان لنفي « كاد يفعل » .

الأول : « لم يكسب يفعل » والثاني : « ما كاد يفعل » ، قوله « اذا أخرج يده لم يكسب يراها » (٢٦٠) وقوله : « فذبوحها وما كادوا يفعلون » (٢٦١) . وانتشار الجرجاني مستندا الى النص القرآني ، الى شكل نفي « كاد يفعل » كليهما (٢٦٢) .

لكن ثعلبا جعل : « لم يكسب يفعل » اثباتا وجعل « كاد يفعل » نفيا . قال قولك « كسدت أقوم » أي « لم أقم » وقولك : « لم أكسب أقوم » أي « قمت » (٢٦٣) .

فمعنى النفي عند ثعلب للمركب المثبت ، ومعنى الاثبات للمركب المنفي ولهذا فسر قوله تعالى : « اذا أخرج يده لم يكسب يراها » (٢٦٤) بـ « رآها بعد بطل » (٢٦٥)

وقد ناقض الجرجاني ذلك فقال وهو يحلل الآية السابقة :

« وانما هو لم يرها ولم يكسب » (٢٦٦) . وقال في موضع آخر « لم يكسب يفعل » و « ما كاد يفعل » : ان يكون المراد ان الفعل لم يكن من أصله ، ولا قارب ان يكون ، ولا ظن انه يكون » (٢٦٧) .

ولهذا اضطرب الزمخشري وهو يعرض لقوله تعالى : « فذبوحها وما كادوا يفعلون » قال قوله « وما كادوا يفعلون » استثنى لا مستقصائهم واستبطاء لهم ، وقيل : وما كادوا يذبوحونها لئلا تئمتها ، وقيل : لحوف

(٢٦٠) النور : ٤٠ .

(٢٦١) البقرة : ٧١ .

(٢٦٢) ينظر دلائل الإعجاز : ١٨٢ .

(٢٦٣) مجالس ثعلب : ١ : ١٤٢ .

(٢٦٤) النور : ٤٠ .

(٢٦٥) مجالس ثعلب : ١ : ١٤٢ .

(٢٦٦) دلائل الإعجاز : ١٨٢ .

(٢٦٧) المصدر السابق : ١٨٣ .

الغضبيحة في ظهور القاتل » (٢٦٨) • وكان الزمخشري قد تابع الجرجاني في أن « لم يكده يفعل » = « لم يفعل » (٢٦٩)

وكانت هذه واحدة من القضايا الخلافية بين الشكل والدلالة في المنهج النحوي : قال الرضى « قال بعضهم في « كاد » أن نفيه اثبات وإثباته نفي » (٢٧٠)

ورد الأشموني - متابعاً الجرجاني - فقال : « حكم » كاد » كحكم سائر الأفعال وإن معناها منفي إذا صاحبها حرف النفي ، وثابت إذا لم يصحبها » (٢٧١) • يحلل الأشموني المركبات اللغوية وفق عناصرها قبل التركيب وعلى رأيه فإذا قال قائل : « كاد زيد يبكي » فمعناه قارب زيد البكاء فمقاربة البكاء ثابتة ، ونفس البكاء منتف ، وإذا قال : « لم يكده يبكي » فمعناه : « لم يقارب البكاء » فمقاربة البكاء منتفية ، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة » (٢٧٢)

أى أن مركبى « كاد يفعل » و « لم يكده يفعل » ينطويان على حدث منتف ، والفرق بينها أن « لم يكده يفعل » : « أبلغ في نفي الرؤية » (٢٧٣) من « كاد يفعل » • وقد عرض الأشموني لقوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » فأقصى معنى الأثبات الذى هو دالة السياق ، واعتمد دلالة النفي •

قال : فذبحوها وما كادوا يفعلون » : فكلام تضمن كلامين ، مضمون كل واحد منهما فى وقت غير وقت الآخر • والتقدير فذبحوها بعد أن كانوا بعداء من ذبحها ، غير مقاربين له ، وهذا واضح ، والله أعلم » (٢٧٤) •

وفى هذا التحليل خروج عن معنى السياق المقصود • إذ المعنى أنهم ذبحوها ببطء لأن ذلك كان ضد إرادتهم ، والحوار بين موسى عليه السلام و قومه » يشير الى هذا المعنى •

ومن هذه الزوايا يمكن أن يوجه النقد الى حقل التوزيع فى جدول الدكتور تمام حسان : « كاد يفعل » للدلالة على الماضى المقارىب المثبت

• (٢٦٨) الكشف : ١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ •

• (٢٦٩) الكشف : ٣ : ٦٩ •

• (٢٧٠) الكافية : ٢ : ٣٠٦ •

• (٢٧١) شرح الأشموني : ١ : ١٣٢ •

• (٢٧٢) شرح الأشموني : ١ : ١٣٤ •

• (٢٧٣) المصدر السابق : ١ : ١٣٤ •

• (٢٧٤) شرح الأشموني : ١ : ١٣٤ و ١٣٥ •

و « لم يكن يفعل » للدلالة على الماضي المقاربي المنفى (٢٧٥) . اذ العكس هو الصحيح .

كما أن « كاد يفعل » و « لم يكن يفعل » يشيران الى ناحية في دلالة الحدث . غير دلالتة الزمنية ، ومعناها على التوالي : قارب الحدث الوقوع في الزمن الماضي غير المحدد ولم يقع . وتم في الزمن الماضي غير المحدد ببطء ومشقة وعناء .

وانما الزمن يستفاد من صيغة الفعل المساعد « كاد » ، « يكاد » الصرفية .

ان مصطلح الماضي المقاربي سميتنا كان أم منقيا — مصطلح غير زمني . بعبارة أخرى : لا يتميز بسمات زمنية ، يمكن لهما بها ، أن يشغلا خانة في حقل الزمن الماضي ، وانما يندرجان تحت دلالة « فعل » ونقيه « ما فعل » و « لم يفعل » . التي تدل على وقوع الأحداث في فترة غير محدودة في الزمن الماضي .

(٢٧٥) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول الزمن .

الفصل الثاني

حقول الزمن

- المشترك
- الحاضر
- المستقبل

المبحث الأول :

حقل الزمن المشترك

مازال يفعل

لا يزال يفعل

تدل المركبات المكونة من :

الأفعال المساعدة -زال ، برج ، انفك ، فتى - + الحدث على امتداد زمن الحدث من الماضي حتى الحاضر ، وقد يكون هذا الامتداد منقطعا أو غير منقطع ، كما سنفصل في ذلك .

ولا تكون هذه الأفعال المساعدة أو المورفيمات على وجه الدقة ، تؤدي وظيفتها « الا بجحد ظاهر أو مضمّر » (١) كما أن هذا الجحد - النفي - يكون : ب « ما » و « لم » للدلالات الزمنية الماضية ، وب « ولا » و « لن » للدلالات غير الماضية (٢) .

ولقد بحث دارسو النص القرآني هذه المورفيمات في ضوء ما حددوه لها من وظيفة زمنية ، وبذلك فرقوا بينها وبين نفس موادها اذا وقعت فعلا محضاً . [يقول الفراء] : وقوله واذا قال موسى لفتاه لا أبرح « (٣) يريد : لا أزال حتى أبلغ ، لم يرد : لا أبرح مكانى . وقوله : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي » (٤) : غير معنى « أزال » هذه « إقامة » . وقوله : « لن نبرح عليه عاكفين » (٥) : لا نزال عليه عاكفين « (٦) .

ومن ضروب التعارض الدلالي بين الفعل والمورفيم في هذه المسود ما أورده الفراء قال : « قد انفككت منك » بلا جحد وبلا فعل - وقد قال ذو الرمة :

(١) معاني القرآن : ٢ : ١٥٤ .

(٢) ينظر التوطئة : ٢١٣ .

(٣) الكهف : ٦٠ .

(٤) يوسف : ٨٠ .

(٥) طه : ٩١ .

(٦) معاني القرآن : ٣ : ٢٨١ .

فلائس لا تنفك الا مناخه على الخسف أو ترمى بها بلد قفرا
فلم يدخل فيها « الا » الا وهو ينوى بها التمام ، وخلاف « لا يزال »
لأنك لا تقول : « ما زلت الا قائما » (٧) .

وقد جعل النحاة القدماء هذه الأفعال المساعدة للدلالة على « ملازمة
الخبر المخبر عنه على حسب ما يقتضيه الحال نحو : « ما زال زيد ضاحكاً »
و « ما زال عمرو أزرق العينين » (٨) .

ويعنى ذلك أنها تؤدي دلالة جهة في زمن اللغة العربية بابتلائها
مع الفعل أو اسم الحدث أو الصفة أو ما اصطلاح على تسميته اعرابياً
« الخبر » (٩) وعيارة الشلوين : « لصاحبة الصفة الموصوف منذ أمكن
أن يكون قائلاً بها » (١٠) فكان في ذلك ملحظاً لدلالة الجهة أي لمسافة
الاستمرار - ان كان استمراراً منقطعاً ، أو غير منقطع . فصفة « أزرق
العينين » تشير الى صفة في الطبيعة ، أي : الى ثبوت صفة ، أما صفة
« فاعل » : « ضاحك » فتشير الى صفة مؤقتة بالنسبة للصفات الدائمة ،
والى أن حدثها أقرب الى الثبوت الوصفى منه في حدث الفعل المتحرك .

غير أن الملاحظة ينبغي أن تنصب على أحداث « مركبات الاستمرار »
كما ينبغي أن نطلق عليها ، ومن هنا يمكن أن تعد صفات « أزرق العينين »
« طويل القامة » ... الخ من قبيل قياس الاستمرار الاسمي على الاستمرار
في هذه المركبات . وفي هذا القياس خطأ من حيث ان الاسمية تنطوي
على ثبوت صفة لا زمنية ودوامها ، أما هذه المورفيمات فتتبدل على استمرار
حدث ، أي : على زمنية . كما كنا عرضنا لذلك في مفتتح هذا المبحث
أي : أن الاسمية تستند الى صفة . وهذه المورفيمات تستند الى حدث .
ومن هنا يمكن عد جملة « ما زال زيد أزرق العينين » منطوية على حدث ،
في عمقها ، هو « يتصف » أو ما شاكله . وهذا المنحى ، أي النظر في
« أحداث » أو « أخبار » مورفيمات الاستمرار الزمنية لم يوفه النحاة
أو المعاصرون حقه ، كما لم يعرض للتغاير الدلالي الزمني بتغاير صيغ
هذه المواد « ما زال » ، « ما يزال » ، كما لم يعرض لاختلاف القرائن المؤلفة
مع صيغها كـ « ما / لا / لن » ولم يشر الى علاقاتها بالزمن في هذه
السياقات .

(٧) معاني القرآن : ٣ : ٢٨١ .

(٨) شرح ابن عقيل : ١ : ٢٣٢ .

(٩) الكشاف : ٢ : ٤٩٠ .

(١٠) التوطئة : ٢١٢ .

الاستعمال

وردت هذه المواد بصيغ متعددة في الاستعمال القرآني ، وعلى النحو الآتي :

زال

- قوله تعالى : « فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا » (١١) .
- وقوله : « فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم » (١٢) .
- وقوله : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم » (١٣) .
- وقوله : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم » (١٤) .
- وقوله : « ولا يزال الدين كفروا تصيبهم بما صنموا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله » (١٥) .
- وقوله : « ولا يزالون مختلفين » (١٦) .

برح

- قوله تعالى : « لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين » (١٧) .
- وقوله : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع اليك موسى » (١٨) .

فتسى

- قوله تعالى : « تالله تفتوؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا » (١٩) .

-
- (١١) الأنبياء : ١٥ .
 - (١٢) غافر : ٣٤ .
 - (١٣) المائدة : ١٣ .
 - (١٤) البقرة : ٢١٧ .
 - (١٥) الرعد : ٣١ .
 - (١٦) هود : ١١٨ .
 - (١٧) الكهف : ٦٠ .
 - (١٨) طه : ٩١ .
 - (١٩) يوسف : ٨٥ .

التحليل :

ان أهم الملاحظات التي يمكن أن ينتهي اليها فحص النصوص السابقة هي :

١ - وجود تناسب بين أشكال صيغ الافعال المساعدة ودلالة الجهة في الزمن : فالصيغ الماضوية « فما زالت / فمازلتم » تدل على استمرار الحدث في نقطة معينة وانقطاعه بحدث آخر ، تم هو أيضا :

« فما زالت تلك دعواهم : حتى جعلناهم »

« فما زلتم في شك ... حتى اذا هلك »

أما الصيغ المضارعية (تزال ، تفتأ ، نبرح) فتدل على أن الحدث لا يزال مستمرا ، وسوف ينقطع بحدث يتوقع حدوثه : كقوله : « تالله تفتسؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين » .
« أي سستمر على هذه الحال الى أن تكون مشغيا على الهلاك (٢٠) » .
وكذا : « ولا يزال الذين كفروا تصيهم » أي سيستمرون يصابون الى أن يأتي نصر الله .

٢ - يفسر ذلك أن نفى صيغة الماضي في هذه المواد يكون بـ « ما » :
« ما زلتم » ونفى ما أشعر حدثه بالامتداد من الماضي الى المستقبل بـ « لا »
و « لن » ولا مدخل لنفي الصيغ المضارعية بـ « ما » ها هنا .

٣ - يشير استعمال « حتى » استعمالا عديدا الى حركة انقطاع الحدث الذي انقطع أو الذي يفترض انقطاعه :

« فما زالت ... حتى » / « فمازلتم ... حتى » /

« ولا يزالون ... حتى » / « لا أبرح ... حتى » /

« لن نبرح ... حتى » / « تفتأ تذكر ... حتى » /

٤ - ان العلاقة بين شكل صيغة الفعل المساعد ودلالة الجهة الزمنية ، يشير اليها النسق الذي تكونه التركيبات السابقة :

فالحدث الذي انقطع لا يقسم بصورة « فعل » ، بل بصورة صفة عارضة لأن حدث الفعل لم يعد له تحقق :

(٢٠) ينظر الكشاف : ٢ : ٣٣٩ .

« فما زالت تلك دعواهم »
 « فمازلتم في شمسك »
 ولا يمنع أن تتحول الى أصولها الفعلية :
 فمازالوا يدعون •
 فمازلتم تشكون •

أما الحدث الذي لم ينقطع بعد ، أى الحدث الذي له تحقق فيأتى بصورة « فعل » :

« تفتأ تذكر »
 « لا تزال تطلع »
 « لا يزالون يقاتلونكم »
 « ولا يزال تصيبهم »
 « لا أبرح » أسير » (٢١) •

تقدم لنا هذه النتائج ملحظا دقيقا فى الفروق الدلالية الزمنية بين مركبى :

« مازلت أفعل »
 و « لا أزال أفعل »

فكلا المركبين يشيران ، فى العربية ، اذا وقفت عليهما ، الى استمرار الحدث من الماضى حتى الحاضر ، غير منقطع ، فاذا انقطع الحدث ، وكانت صيغة الفعل المساعد على « فعل » ، انقطع بحدث تام فى الزمن الماضى : ومثاله :

« مازلت أفعل حتى جاءنى زيد • »

ومعناه : أنى كنت مستمرا فى الفعل حتى جاءنى زيد •

فان كانت صيغة الفعل المساعد المضارعة « أزال » انقطع الحدث بحدث ، بصيغة المضارع الذى لم يتحقق بعد • فبدلالة الانقطاع دلالة مفترضة فى المستقبل ، أما حدث مركب الاستمرار فيدل ، ما هنا ، على أنه فى استمراره : ومثاله :

« لا أزال أفعل حتى يأتينى زيد »

أى سأستمر فى الفعل حتى يأتى زيد •••

(٢١) الكشف : ٢ : ٤٩٠ •

ما فعل مذ (منذ)

تقدم العربية مركبا منفيا ، يمكن أن يقابل مركبات الاستمرارية
المنبئة ، كما أنه يمكن أن يكون مرادفا لمركب النفي المكون من :

لما + حدث المضارع • « لما يفعل » (٢٢) •

وهذا المركب يتكون من :

ما النافية + حدث « فعل » + « مذ » أو « منذ » + دالة زمن
مبهمة كـ « يوم الجمعة » أو مشيرة إلى زمن ماض كـ « أمس » و « كان » •

يقول سيبويه « وأما « مذ » فتكون غاية الأيام والأحيان ... وذلك
قولك : « ما لقيته مذ يوم الجمعة إلى اليوم » و « مذ غدوة إلى الساعة »
و « ما لقيته منذ اليوم إلى ساعاتك هذه » • فجعلت اليوم أول
غايته • (٢٣) •

وقال في موضع آخر : « وما يضاف إلى الفعل قولك : « ما رأيته
مذ كان عندي » (٢٤) •

وشرح سيبويه في موضوع ثالث الأحداث وأزمانها في سياق هذا
التركيب بقوله : « ومثل ذلك : « ما لقيته مذ يوم الجمعة صباحا » أي
في هذه الساعة ، وإنما معناه أنه في هذه الساعة وقع اللقاء » (٢٥) •
فكان هناك حدثا ، وقع في الزمن الماضي ، ثم انقطع عن الوقوع ،
واستمر انقطاعه إلى هذه اللحظة •

وقال عن « منذ » : « وأما « منذ » فضمت لأنها للنهاية » (٢٦)
فاذا قصدنا معنى جملة « لما يأت زيد » وجدناه :

أن حدث الاتيان انقطع منذ ساعة كذا إلى هذه اللحظة ، وهذا المعنى
نجدناه نفسه في جملة :

« ما أتى زيد مذ ساعة كذا » •

وفي قولنا : « لا يزال زيد يكتب » نعني أن حدثا قد بدى به
(قبل ساعتين مثلا) وهذا الحدث مستمر حتى هذه اللحظة •

(٢٢) الذي سورد ذكره في مبحث الزمن الماضي •

(٢٣) الكتاب : ٤ : ٢٢٦ •

(٢٤) المصدر السابق : ١ : ٢٢٣

(٢٥) المصدر نفسه : ١ : ٢٢٣ •

(٢٦) نفسه : ٣ : ٢٨٧ •

ويقدم لنا التخطيط الآتي ، التوافق والتقابل في المركبات تلك

لا يزال زيد يكتب .

الحاضر

الماضي

واستمر في الكتابة الى هذه اللحظة

كتب

ما كتب زيد منذ أمس

الحاضر

الماضي

عدم الكتابة

واستمرار هذا عدم الى هذه اللحظة

وكذلك يكون تخطيط تركيب النقي « لما يفعل » :

لما يفعل

الحاضر

الماضي

فقوله تعالى : « ولا يدخل الايمان في قلوبكم » (٢٧) يرادف في

معناه القول : « وما دخل الايمان في قلوبكم منذ اسلمتم » .

فصل الآن :

تردد في مباحث النحاة الحاق ظرف زمن الحاضر (اليوم ، الآن ، الساعة) بصيغة « فعل » الدالة على الزمن الماضي . قال سيبويه : « أتاني اليوم رجل » (٢٨) .

ان دلالة الصيغ التضمنية على الزمن ، تبدو متعارضة مع هذا الائتلاف وهو ما سماه سيبويه « المحال » : « أتيتك غدا » .

فالظروف كـ « الآن » أو « اليوم » أو « الساعة » ، وكل إشارة توقعت للحاضر تتضمنها صيغة (يفعل) الدالة على الحاضر ، كما سنعرض لذلك في هذا الفصل وليس صيغة « فعل » .

غير أننا ، وفق المفهوم اللغوي للقسم الزمني ، الذي عرضنا له ، نستطيع أن نفسر وقوع ظرف كـ « اليوم » ، بما ينطوي عليه من نقاط تقطع أقسام الزمن الثلاثة مؤتلفا مع صيغة الماضي . فقول سيبويه « أتاني

(٢٧) الجرات : ١٤ .

(٢٨) الكتاب : ١ : ٥٥ .

اليوم رجل » يفترض أنه قاله في ساعة من اليوم عن رجل أنه قبل ساعة أو ساعتين ..

كما أننا وفق هذا المفهوم نفسه نستطيع أن نفسر وقوع ظرف يكون نقطة زمنية واحدة كـ « الآن » في الماضي ، فما الوجه الذي تأتلف فيه الصيغة الدالة على الماضي مع الظرف الدال على الوقت الحاضر ؟

يتيح لنا فحص الحاق ظروف الحاضر بصيغة الماضي تلمس الإجابة عن السؤال السابق .

قال تعالى :

• « اليوم ينش الدين كفروا » (٢٩) .

وقال : « اليوم اكلمت لكم دينكم » (٣٠) .

• « فاليوم نجيبك » (٣٢) .

وقال : « اليوم أحل لكم الطيبات » (٣١) .

وقال : « قسأل انى تبت الآن » (٣٣) .

وقال : « الآن جئت بالحق » (٣٤) .

• « فمن يستمع الآن ؟ » (٣٧) .

وقال : « الآن خفف الله عنكم » (٣٥) .

وقال : « الآن حصحص الحق » (٣٦) .

وقد علل بعض النحاة « جواز اقتران « الآن » أو « الساعة » بالفعل

الماضي اذا اقترن بـ « قد » لأن « قد » تقرب الماضي من الحال ، فيقال : « قد قام الآن أو الساعة » (٣٨) .

والاستعمال يدحض هذا التحليل ، ويجعل منه وجهاً من وجوه

الموازنة بين المنطق العقلي المجرد والمنطق اللغوي .

• (٢٩) المائدة : ٣ .

• (٣٠) المائدة : ٣ .

• (٣١) المائدة : ٥ .

• (٣٢) يونس : ٩٢ .

• (٣٣) النساء : ١٧ .

• (٣٤) البقرة : ٧١ .

• (٣٥) الأنفال : ٦٦ .

• (٣٦) يوسف : ٥١ .

• (٣٧) الجن : ٩ .

• (٣٨) الأنفال : ١ : ٢٥٤ .

يشير « اليوم » في الاستعمالات السابقة الى نقطة زمنية في الحاضر «
لا الى « اليوم » بمفهومه المعجمي ويمكن أن نستبدل « الآن » بـ « اليوم »
من غير أن يتبدل ذلك اعتراضا دلاليا واضحا .

اليوم أكملت لكم دينكم

(الآن) أكملت لكم دينكم

وليس من قبيله : « أتاني اليوم رجل » فليست هي : « أتاني الآن
رجل » .

ان « الآن » وهو « اسم للوقت الذي أنت فيه » (٣٩) يمثل ، وفق
مفهوم الأقسام الزمنية في اللغة ، آخر نقطة في الماضي ، ونقطة الحاضر
كلها وأول نقطة في المستقبل . ان نقطة - الآن - يمر فيها ، من زاوية
منطق اللغة نفسها أقسام الزمن الثلاثة : الماضي ، الحاضر ، المستقبل .
قوله تعالى :

« الآن حصحص الحق » الماضي

وقوله : « فمن يستمع الآن » الحاضر

وقوله : « الآن يأتونهم » (٤٠) من الحاضر الى المستقبل .

وقول الشاعر : « سامعي الآن اذ بلغت اناسها » (٤١) .

فسر النحاة التتلاف زمن المستقبل مع وقت الحاضر بأنه « يراد به
تقريب المستقبل من الحال » (٤٢) والحق أنه يراد به جهة في زمن الحاضر
أي من هذه اللحظة الى ما سيأتي من الزمن . ويشير الى هذا الاتجاه قوله :
« علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ... فالآن يأتونهم » أي من
لحظة نزول الآية .

ويعنى كل ذلك أن الحدث الذي تم في الماضي مع « الآن » يشعر
بوجود فكرة الماضي الذي تم لتوه :

« الآن حصحص الحق » الحدث الذي تم حاضرا أمام أعين النسوة
صاحبات امرأة العزيز ، وكأنه يستقر لتوه . ويتوافق هذا المنحى الدلالي

(٣٩) مختار الصحاح : ١٣٦ .

(٤٠) البقرة : ١٨٧ .

(٤١) التوحيات : ١٣٤ .

(٤٢) التوحيات : ١٣٤ .

لصيغة « الماضي » + ظرف الحاضر . مع المنحى الدلالى لصيغة « المضارع
النام » فى الانكليزية :

The Present Perfect Tense.

الذى يتشكل من استعمال
has , have + past participle

ويدل على حدث تم لتوّه
For an action that is just finished

لكنهما يختلفان فى وجهة الدلالة : حيث يكون تفكرنا فى المضارع
النام فى الانكليزية . أكثر تركيزا على النتيجة المحققة فى الحاضر منها
على الحدث الماضى :

It is used when we are thinking more about the present result
than about the past action (٤٣)

أما فى مركب « فعل الآن » فى العربية فأننا نفكر فى الماضى أكثر
مما نفكر فى الحاضر .

المبحث الثاني :

حقن الزمن الحاضر

يفعل :

جعل سيبويه صيغة « يفعل » دالة على الحاضر والمستقبل ، قال :
« وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا » اذهب « ومخبرا » يقتل « ، وكذلك
بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت « (٤٤) وقال : « فمن ذلك قولك :
« متى يسار عليه ؟ » فيقول : « اليوم أو غدا » (٤٥) .

كما أنه نص على هذه الدلالة المزدوجة لصيغة « يفعل » في باب نفى
الفعل . قال : « وإذا قال : « هو يفعل » أى : هو فى حال فعل
وإذا قال : « هو يفعل » ولم يكن الفعل واقعا » (٤٦) .

غير أن سيبويه فى أغلب تطبيقاته جعل صيغة « يفعل » دالة على
الحاضر . أما المستقبل فجعل الدلالة عليه منسوبة بتركبه مع أدوات
الاستقبال . قال : « وسأبين لك من ذلك » (٤٧) .

وقد اقتضى النحاة بعده توزيع صيغة « يفعل » على الحاضر والمستقبل
وعبارة صاحب الأصول : « تصلح لما أنت فيه من الزمان ، ولما
يستقبل » (٤٨) . ولا دليل فى لفظه على أى زمانين تريد « (٤٩) .

ومن ثم فقد اعتمد النحاة مورفيمات زمنية لتوزيع صيغة « يفعل »
فى خانة الحاضر وخانة المستقبل :

« تقول « يفعل » وهو فى الفعل ، و « يفعل غدا » ، فإذا دخله
« السين » أو « سوف » اختص بالمستقبل ، وإذا دخلته « اللام » اختص
بالحال نحو : « انه لياكل » (٥٠) .

(٤٤) الكتاب : ١ : ٢٢ .

(٤٥) الكتاب : ١ : ٢١٦ .

(٤٦) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

(٤٧) الكتاب : ١ : ٢٩٥ .

(٤٨) الأصول : ١ : ١٩ .

(٤٩) الأصول : ١ : ٤١ .

(٥٠) الجمل : . .

غير أن قسما من النحاة ألجأ الى ارتباط دلالة صيغة « يفعل » بالحاضر أكثر من ارتباطها بالمستقبل : قال صاحب الاصول : « فإذا قلت : « سيفعل » أو : « سوف يفعل » دل على أنك تريد المستقبل . وترك الحاضر على لفظه لأنه أولى به » (٥١) .

وقال ابن جني : « الحال التي المضارع أولى بها ، (٥٢) وقد مال الرضى الى عدم صيغة « يفعل » دالة على الحاضر :

قال : « المضارع حقيقة في الحال والاستقبال . وقال بعضهم هو حقيقة في الحال . مجاز في الاستقبال ، وهو أقوى لأنه إذا خلا من القرائن لم يحمل الا على الحال ، ولا يصرف الى الاستقبال الا بقرينة » (٥٣) .

أما المعاصرون فقد أسندوا دلالة الازدواج الزمني الى صيغة « يفعل » يقول الدكتور على جابر المنصوري : « وهو - يفعل - الذي يدل في أكثر استعمالاته على وقوع الحدث في زمن التكلم » (٥٤) . ويقول في موضع آخر : « والجملة التي تعبر عن المستقبل البسيط وأداتها المضارع الصرفي » (٥٥) وجعلوا استعمال ظرف الاستقبال « يوم القيامة » مع صيغة « يفعل » دليلا على دلالة هذه الصيغة على المستقبل في ناحية من نواحي استعمالها (٥٦) .

« يفعل » في الاستعمال :

إذا عرضنا لاستعمال صيغة « يفعل » دالة على المستقبل في القرآن وجدنا ثلاثة أنساق :

النسق الأول :

وفيه تقدم صيغة « يفعل » على ظرف الاستقبال ، قوله :

(٥١) الاصول : ١ : ٤١ .

(٥٢) الخصائص : ٢ : ١٤٦ .

(٥٣) الكافية : ٢ : ٢٢٦ .

(٥٤) مجلة كلية الشريعة / مجلة : مجلة الماضي والحاضر والمستقبل : ٦ : ٢٢ .

(٥٥) مجلة كلية الشريعة / مجلة : مجلة الماضي والحاضر والمستقبل : ٦ : ٢١ .

(٥٦) ينظر في النحو العربي لقد وتوجيه : ١٥٧ .

« وانما توفون أجوركم يوم القيامة » (٥٧) •

وقوله : « ونخرج له يوم القيامة كتابا » (٥٨) •

وقوله : « ونحشره يسوم القيامة » (٥٩) •

وقوله : « ونذيقه يسوم القيامة » (٦٠) •

أما قوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة » (٦١) • فالصيغة واقعة في إطار شرطى : « ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة » •

فإذا فحصنا سياق هذا النسق وجدنا أن هذه التركيبات « يفعل + ظرف الاستقبال » مكتنفة جميعها بتركيبات اسمية • على النحو الآتى :

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة »

« وكل انسان ألزمناه طائره ونخرج له يوم القيامة كتابا »

« فان له معيشة ضنكا ونحشره يسوم القيامة »

« له في الدنيا خزي ونذيقه يسوم القيامة »

وتؤثر التركيبات الاسمية المكتنفة في الاتجاه الدلالي لصيغة « يفعل »

حيث تنجس الى ايضاح حقيقة أكثر مما تنجس الى ايضاح حدث في زمن •

ويمكن بسط ذلك بإجراء التحويلات الآتية بين السطح والعمق :

السطح : « فان له معيشة ضنكا » « ونحشره يوم القيامة » •

العمق : فان له في الدنيا معيشة ضنكا وان له حشرا يوم القيامة •

« له في الدنيا خزي » « ونذيقه يوم القيامة »

له في الدنيا خزي وله يوم القيامة اذقة

ونلاحظ استحضار الصورة في استعمال الصيغ دون اتجاهها

(٥٧) آل عمران : ١٨٥ •

(٥٨) الاسراء : ١٣ •

(٥٩) طه : ١٢٤ •

(٦٠) الحج : ٩ •

(٦١) الاسراء : ٩٧ •

الزمني في قوله تعالى : « ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا .
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم » . » .

ف « تخرج » و « اقرأ » و « كفى » أمثلة دقيقة على تشعب وظائف
الصيغ الفعلية في العربية .

النسق الثاني :

وفيه تعبر صيغة « يفعل » عن حدث مسند الى الله . كما في قوله
تعالى :

- « ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة » (٦٢)
- وقوله : « ان الله يفصل بينهم يوم القيامة » (٦٣)
- وقوله : « قاله يحكم بينكم يوم القيامة » (٦٤)
- وقوله : « وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة » (٦٥)

يفهم لنا النسق الثاني صيغة « يفعل » وفق قاعدة تبادل المواقع بين
الصيغ ، التي عرضنا لها (٦٦) . وليس على أساس صيغة زمنية تعبر
عن المستقبل بدلالة ارتباطها بـ « يوم القيامة » كما توهم كثير من
الباحثين .

وقد عرض ابن هشام لهذا النسق . حين رد على ابن مالك الذي
رأى أن « لام الابتداء » لا تخلص المضارع للحال مستثناة - أي ابن مالك -
الى قوله تعالى « وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة » . رد عليه بقوله :
« ان الحكم واقع في ذلك اليوم لا محالة » فنزل منزلة الحاضر المشاهد (٦٧)
فالقصد من استعمال هذه الصيغة في هذه السياقات (استحضار صورة
المستقبل في سياق فعلي Verbal context (يقضى ، يحكم ، يفصل)
وليس في سياق اسمي Normal Context (القاضى ، الحاكم ، الفاصل)
ففي ظلال الصيغة الفعلية توجد صيغة اسمية .

(٦٢) يونس : ٦٢ .

(٦٣) الحج : ١٧ .

(٦٤) النساء : ١٤١ .

(٦٥) النحل : ١٢٤ .

(٦٦) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة المعنون بـ « امكانيات الصيغة » .

النسق الثالث :

وفي هذا النسق يتقدم ظرف الاستقبال « يوم القيامة » صيغة « يفعل » قال تعالى : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا » (٦٨) وقال « ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (٦٩) وقال : « ثم يوم القيامة يكفر بعضكم بعضا » (٧٠) وقال : « ثم انكم يوم القيامة تبعثون » (٧١) وقال : « ثم يوم القيامة يخزيهم » (٧٢) وقال : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون » (٧٣) والقصد ، كما في النسقين السابقين استحضر الصور والا كان القول : « ثم يوم القيامة سيخزيهم » أو « يوم القيامة سيكون عليهم شديدا » . ويمكن أن نلاحظ ذلك ب :

« ثم انكم بعد ذلك تميتون » (٧٤) « ثم انكم يوم القيامة تبعثون » ان وضع « مبعوثون » بدلا من « تبعثون » هو هدف التركيب ، غير أنه عدل الى صيغة الحركة الفعلية بعملية « البعث » بعد أن استعمل صيغة الجمود الاسمي في عملية « الموت » وهذا ملحظ دقيق في الاستعمال : في عملية البعث : الحركة ، وعملية الموت : السكون .

كما نلاحظ اتجاه الصيغة اللازمي في قوله : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون » ويشير استعمال الظرف « يومئذ » الى تقريب صورة الحدث على النحو الآتي : « ويوم القيامة » - في هذا اليوم - « يخسر المبطلون » .

ورضع « سين » المستقبل يريك المعنى ، بل يناقضه ، في هذا اليوم سيخسر المبطلون .

فاذا عرضنا لقوله تعالى :

« ولا يحصين الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٧٥) .

(٦٧) مفتح التبيب : ١ : ٢٢٨ .

(٦٨) الزمر : ٦٠ .

(٦٩) الزمر : ٢١ .

(٧٠) النكوت : ٢٥ .

(٧١) المؤمنون : ١٦ .

(٧٢) النحل : ٢٧ .

(٧٣) المجاثية : ٢٦ .

(٧٤) المؤمنون : ١٥ .

(٧٥) آل عمران : ١٨٠ .

وجدنا أن اسقاط « السنين » من صيغة « يفعل » ، بدعوى أنها بدل بذاتها على المستقبل ، يخل بدلالة التركيب ، لأن « السنين » وما بعدها استئناف لما سيحصل في المستقبل ، وليس في إطار الارتباط بما قبله على سبيل استحضار صورته ، مع ملاحظة وجسود « الواو » و « ثم » (ويوم القيامة / ثم أنكم يوم القيامة / ثم يوم القيامة - الخ) اللتين تفيد أن اشارك ما بعدهما بما قبلهما في الانساق التي يقصد من استعمال الصيغ فيها التعبير عن امكاناتها الحديثة وليس عن امكاناتها الزمنية . ونلاحظ العلاقة السياقية في الفعل المضارع الذي يؤتى به للتعبير عن زمن حقيقي وليس عن زمن حكائي ، في قوله تعالى : « اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا » سأتيكم منها بخبر » (٧٦) هنا لا يمكن اسقاط (السين).

وتصور أن صيغة المضارع « آتى » تصلح للحاضر والمستقبل : « اني آنست نارا » « آتيكم منها » لأنها تفرض وجود صفة لموصوف ، في حين لا يوجد في هذا السياق الا حدث مستأنف .

والخلاصة : أن شكل صيغة « يفعل » في العربية ، أو تلك الصيغة بذاتها ، كما يعبر عنها النحاة القدماء ، يدل على الزمن الحاضر فقط اذا أريد النص به على زمن . وتدل بامكاناتها الحديثة على دلالات عرضنا لها في موضعها من هذه الرسالة (٧٧) والزمن حينئذ يستفاد من قرائن السياق لا من الصيغة . أما دلالة « يفعل » على الماضي : « لم يفعل » ، « كان يفعل » ، فينبغي أن نفهمها ، كما عرضنا لذلك (٧٨) في سياق العربية التاريخية .

« يفعل » ومفهوم الزمن الحاضر :

فسر المستشرقون صيغة « يفعل » في إطارها التاريخي . وقد أجبنا هذا التفسير عن الاستعمالات غير المحدودة لهذه الصيغة في العربية ، من حيث : دلالتها على الحاضر « يفعل » وقوعها في سياق الماضي « لم يفعل » والمستقبل « سيفعل » وجهات الماضي : « كان يفعل » والحاضر : « أخذ يفعل » والمستقبل : « سيظل يفعل » ، ومن حيث

(٧٦) العمل : ٧ .

(٧٧) ينظر الفصل الثاني من هذه الرسالة : « امكانات الصيغة » / ص : ٦٨ .

(٧٨) ينظر الفصل الأول من هذه الرسالة : « الزمن الصرفي » / ص : ٣٤ .

كما بعدها .

مجيئها في إطار انشائي كالدعاء : « يغفر الله لك » والطلب « ليفعل »
و . ولا يفعل . فضلا عن امكاناتها الحديثة في الصادة والاستمرار
والاستحضار . . . الخ .

وقد جعل ذلك - الاستعمال المتنوع لصيغة « يفعل » في العربية -
عددا من المعاصرين يتجاوزون التعليقات اللغوية في تحليلهم صيغة
« يفعل » . .

ومن ذلك ما يقوله الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى : « الظاهر
أن الفعل المضارع ليس صيغة تقابل صيغة الماضي أو الأمر ، وإنما مكانه
بين الأفعال كمكان ما يسمى الـ Infinitive - المصدر - في اللغات
الأوربية ، لأن فيه الدلالة بالقوة على معاني الأفعال جميعا » (٧٩) فـ
« الدلالة بالقوة » يمكن أن تكون من سمات وصف الصيغة ، وليس مما
تملكه هذه الصيغة من قدرات . ويذهب الأستاذ أحمد ماهر البقري الى
أن « المضارع من الشمول والانساع بحيث يشمل الأزمنة الثلاثة » (٨٠) .
وفي ذلك خلط لامكانات صيغة المضارع التي تنسج لعدة معان ، أما
دلالتها على الزمن فدلالة واحدة اذا كانت تلك الصيغة مجردة من مورفيمات
نفي أو زمن . وهي الدلالة على الحاضر .

لكن أهم معضلة واجهت الباحثين . قدماء ومحدثين . تتمثل في
مفهوم الزمن الحاضر الذي تعبر عنه هذه الصيغة وتكشف مناقشة مفهوم
(الزمن الحاضر) عن البعدين اللغوي والعقلي للوجود غير المسرئي
لـ « نقطة الزمن الحاضر » التي تتسرب الى الماضي حالما تكون أو التي لم
تكن بعد أصلا ، إذ هي في الزمن المستقبل .

وهذا الملحظ المنطقي الى جانب الملحظ اللغوي لمفهوم الزمن عامة
والحاضر خاصة مما توفر عليه النحاة القدماء والمحدثون ، وخضع للمناقشة
ليس في الدراسات اللغوية العربية ، حسب . بل في الدراسات الأجنبية
أيضا .

وقد جعل ابن يعيش الزمن الحاضر « حركة تفصل بين - الحركتين -

(٧٩) نحو الفعل / حاضر : ٢٤ .

(٨٠) أساليب النفي في القرآن : ٢٠ .

الماضية والآتية ، (٨١) . وقد شرح ذلك قوله : « وأما الحاضر فهو الذي يصل إليه المستقبل ويسرى منه الماضي » (٨٢) ونقل عن بعض المتكلمين إنكاره فعل الحال . قال : « رأى بعض المتكلمين أن كان قد وجد فيكون ماضيا والا فهو مستقبل » (٨٣) أن هذا الملحظ يردده اللغوي الانجليزي Otto Jespersen الذي يقول : « إن لنا على الأصح - أن نقول أن الزمن ينقسم إلى جزأين ماضٍ ومستقبل - وبينهما حسد الانفصال ، وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع » (٨٤) .

إن هذه الملاحظات ننصب على زمن الوجود وليس على زمن اللغة . إن اللغة لا تهتم بالحركة الفاصلة والسريان ، بل تنظر إلى الصيغ واستعمالاتها ، إلى الأشكال والعلاقات والدلالات التي تعبر عنها .

على أنه ينبغي علينا ألا ننسى فهم العلاقة بين العقل واللغوي . فمهما حاولنا النظر إلى اللغة بوصفها كيانا موضوعيا مستقلا بخصائصه ، فإنه لا يمكن تجنب الآثار العقلية في هذا الكيان ، ولا يمكن اغفال التداخل بين العقل واللغوي وهو أمر شائك ودقيق . ولعل ابن يعيش يعطينا مثالا تطبيقيا على ذلك . فعلى الرغم مما يبدو من صدور، عن المنطق العقل في تحديد زمن « الحال » اللغوي فإنه يقدم لنا هذا الزمن من وجهة نظر لغوية ، يقول : « فيكون زمان الاخبار عنه هو زمان وجوده » (٨٥) فمعنى الاخبار هنا : الكلام ، ومعنى زمان وجوده : أنه زمن ذو أبعاد مكانية أي أن له نقطة ابتداء ونقطة انتهاء . وليس هو زمنا بلا أبعاد كما يلاحظ ذلك عدد من الفلاسفة والمتكلمين وهم يبحثون ماهية الزمن الحاضر في الوجود . وقد رد ابن يعيش على ملاحظة (الزمن في الوجود) دون اللغة بقوله « والحسب ما ذكرناه » وإن أظف زمان الحال ، (٨٦) .

إن مفهوم الزمن الحاضر بكونه زمنا لغويا مسطريا (له جدول ترقيم هو واقع الجهة أو المسافة في القسم الزمني) كما أشار إليه ابن يعيش ، قد وجد تحديدا دقيقا له عند الرضى .

(٨١) شرح الفصل . ج ٧ ص ٤ .

(٨٢) المصدر السابق : ج ٧ ص ٤ .

(٨٣) شرح الفصل : ٧ : ٧ .

(٨٤) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالة الزمن في اللغة العربية . ١٦٢ - ٤٠ .

(٨٥) شرح الفصل : ٧ : ٤ .

(٨٦) المصدر السابق : ٧ : ٤ .

قدم الرضى الزمن الحاضر من خلال وجهتى نظر :

الأولى : (عقلية) ونسبها الى الحكماء ، والثانية : (لغوية) ونسبها الى النحاة . قال : « فقال الحكماء ان الحال ليس بزمان موجود ، بل هو فصل بين الزمانين » (٨٧) وقد استدلل الحكماء على ذلك بعدم وجود شكل لغوى لزمن الحال « لأنه لو كان زمانا لكان التصنيف مثلا تنليثا » (٨٨) - أى ثلاث صيغ وليس صيغتين - وهذه الزاوية العقلية المحضة تفترض ان صيغة (يفعل) للمستقبل وأن الحاضر ليس له صيغة .

وليس بنا حاجة الى أن نعلق على هذا الرأى ، غير أنه يكفى أن نقول . وفق التعليل المنطقي هذا ، ان المستقبل وهو زمن « لم يكن له وجود بعد » (٨٩) لم يعدم أن يكون له شكل .

ثم يقدم الرضى وجهة نظر النحاة فى الزمن الحاضر :

يقول : « الحال عند النحاة غير « الآن » المختلف فى كونه زمانا . بل هو ما على جنبتي « الآن » من الزمان مع « الآن » ، سواء كان « الآن » ، أيضا زمانا أو الحد المشترك بين الزمانين » (٩٠) .

فالحاضر الثلاثى عند الحكماء المسلمين ويسبب سرس من بعدهم ، الذى ليس له طول ولا عرض ولا ارتفاع يقابله حاضر لغوى عند الرضى وابن بعيش ، له مسافة فى الماضى ومسافة فى الحاضر ومسافة فى المستقبل .

ويقدم الرضى مثالا تطبيقيا على الحاضر اللغوى : يقول : « ومن ثم نقول ان « يصلى » فى قولك : « زيد يصلى » حال مع أن بعض صلاته « ماض » وبعضها باق فى المستقبل فجعلوا الصلاة الواقعة فى الآتات الكثيرة المتسالية واقعة فى الحال » (٩١) . ويعنى ذلك أن صيغة الفعل المضارع اذا دلت على الزمن الحاضر لا ينظر اليها فى اللغة الا بكونها شكلا يعبر عن وقوع حدث فى زمن حاضر . من غير نظر الى أنها تنطوى على أزمنة أخرى . وتلك ملاحظة فريدة تكشف عن مطابقة بين النظر اللغوى الحديث ، حيث ينطلقان من النظر الى اللغة بكونها نظاما مستقلا بذاته ، وذلك أساسى من أهم أسس المنهج الوصفى فى علم اللغة .

(٨٧) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ .

(٨٨) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ .

(٨٩) شرح الفصل : ج ٧ ص ٤ .

(٩٠) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ .

(٩١) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ .

الحاضر الشرعي

أخذ يفعل :

عرض النجاة لما سموه « الأفعال التي وضعت للدلالة على الشروع في الخبر » (٩٢) وهي : « أنشأ ، طفق ، أخذ ، جعل ، علق ، قام ، هب » (٩٣) وقد « شرعت في هذا الأمر شروعا أي خطت » (٩٤) واشكال الشروع تدخل في جدول فعلى في العربية ، ولكل فعل معنى معجمي يستقل به . غير أنها تتركب مع « يفعل » لتتحول إلى أفعال مساعدة . تؤدي وظيفة زمنية في حدث الفعل ف « جعل يفعل كذا » : أقبل وأخذ » (٩٥) . وبعبارة زمنية أن حدث الفعل قد بدى به اللحظة . وقد ألح سيبويه إلى هذه الخاصية فيما سماه « الحروف التي هي لتقريب الأمور » (٩٦) قال : « ولها نحو ليس لغيرها من الأفعال » (٩٧) وقال في موضع آخر : « فاخلصوا هذه الحروف للأفعال » (٩٨) لكن سيبويه عني بمنحى الاستبدال الاعرابي . قال : « ومثله جعل يقول » لا تذكر الاسم هنا (أي لا تقول جعل قائلا) ومثله : « أخذ يقول » فالفعل هنا بمنزلة الفعل في « كان » إذا قلت : « كان يقول » وهو في موضع اسم منصوب بمنزلة « تم ، وهوتم ، خبر كما أنه هنا خبر » (٩٩) أن التحول من « الفعلية » إلى « المورفيمية » هو معنى قول ابن مالك وشارح ألفيته ابن عقيل : « وترك أن مع ذي الشروع وجبا » لأن المقصود به للحال و « أن » للاستقبال » (١٠٠) ويعني ذلك أن زمن المركب الشرعي هو « الحاضر » وأن جهة زمن حدثه هو أن الحدث قد بدى به الآن ، مع الاشعار بأنه غير متقطع . ومن هنا فإن ما اقترحه الدكتور حسان من تسمية هذا المركب « الماضي الشرعي » (١٠١) يستند إلى شكل مورفيم الشروع وليس إلى دلالة .

والصحيح أن نطلق على هذا المركب : « الحاضر الشرعي » .

(٩٢) شرح الأسموني : ١ : ١٢٨ .

(٩٣) شرح الأسموني : ١ : ١٢٨ والدرر اللوامع : ١ : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٩٤) لسان العرب : ٨ : ١٧٥ .

(٩٥) المصدر السابق : ١١ : ١١١ .

(٩٦) الكتاب : ٣ : ١٦١ .

(٩٧) الكتاب : ٣ : ١٦١ .

(٩٨) الكتاب : ٣ : ١٦١ .

(٩٩) الكتاب : ٣ : ١٦١ .

(١٠٠) شرح ابن عقيل : ١ : ٢٨٦ و ٢٨٩ .

(١٠١) ينظر : اللغة العربية مستأما ومبناها : ملاحق الكتاب / جدول الزمن .

نفي الحاضر والحاضر الشروعي :

لم يرد ، فيما وقعت عليه من مباحث قديمة وحديثة مقابل نفي
لمركب الحاضر الشروعي ، باستثناء إشارة الدكتور تمام حسان الذي
جعل نفيه « ما فعل » . كما انه جعل : « ما فعل » نفيا للماضى المنتهى
بالحاضر « قد فعل » (١٠٢) .

فكان تركيبى : « قد فعل » و « أخذ يفعل » عند الدكتور تمام
يشعران ، من « ناحية زمنية » بنوع من التوافق ، فيكون نفيهما :
« ما فعل » . والكبر الظن أن الدكتور تمام استند الى عنصر « الحاضر »
المفترض فى دلالة المركب « قد فعل » . وعنصر الشروع فى دلالة المركب
« أخذ يفعل » ، ليدخلهما ، توزيعيا ، فى خانة واحدة .

غير أننا - فيما عرضنا له - (١٠٣) لا يمكن أن نشعر بتوافق
زمنى ما بين « قد فعل » و « أخذ يفعل » . فالأول فى الماضى والثانى
فى الحاضر .

ان البحث عن المركب الذى ينفي الحاضر الشروعي يقود الى المركب
الذى ينفي الحاضر المجرد . لأن الحاضر ليس له الا جهة واحدة هي « الآن »
وقولنا : « هو يفعل » يعنى انه الآن فى فعل وما زال فإذا أردنا جهة
فى الحاضر خرجت صيغة المضارع عن الزمن : اما الى العادة او الحقيقة
او الصفة ... الخ .

ان ملحظ الحدث فى تركيب الحاضر الشروعي يمتاز عن الحدث فى
الحاضر المجرد بكون الحدث قد بدى به الآن فى حين ينظر الى حدث
الحاضر المجرد الى كونه فى الحاضر دون نظر الى نقطة معينة فيه . ومن
هنا ينبغى أن يكون هذا الملحظ موجودا فى نفي المركبين .

ان فى العربية تركيبين ، فى هذا الجانب . الأول : « ما يفعل »
والثانى « ليس يفعل » .

وقد اكتفى سيبويه بالإشارة الى مركب « ما يفعل » بوصفه نفيا
لـ « يفعل » (١٠٤) غير أن النحاة ، بعده ، جعلوا : « ما » و « ليس »
ناهييتين للحال اذا دخلتا على صيغة المضارع (١٠٥) .

(١٠٢) ينظر اللغة العربية معنهما وميناهما : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
(١٠٣) ينظر : ص ٢٣١ من الفصل السابق « حقل الماضى » و ص ٢٨٥ من هذا
الفصل .
(١٠٤) الكتاب : ٣ : ١١٧ .
(١٠٥) ينظر شرح الفصل : ١ : ١٠٨ .

ولا يمكن ملاحظة فرق بين « ليس » و « ما » إلا بملاحظة الصيغ التي تميل إليها « ليس » أو « ما » في الاستعمال .

أن « ليس » تنزع نحو الصيغ الاسمية ، وبدرجة أقل نحو صيغة « المضارع » ، في حين تنزع « ما » نحو الأفعال الماضية والمضارعة والأسماء بلا تفاوت (١٠٦) .

ويرىنا الاستعمال القرآني أن « ليس » تنفي الجملة الاسمية فقط . كما في قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا » (١٠٧) « ليس عليك جناح » (١٠٨) وقوله : « ليس الذكر كالأُنثى » (١٠٩) ف « ليس » لم تدخل على فعل في القرآن الكريم (١١٠) .

وقد كان سببويه رد على ائتلاف « ليس » مع صيغة « فعل » قال : « وزعم بعضهم أن « ليس » تجعل كـ « ما » وذلك قليل لا يكاد يعرف ، فهذا يجوز أن يكون منه : « ليس خلق الله أشعر منه » ، و « ليس قالها زيد » (١١١) .

أن هذه الخاصية مع الصيغ هي التي تفرق بين « ليس » و « ما » . وتعني في جوهرها أن نسبة تسلط « ليس » على الأحداث actions أقل من نسبة تسلطها على الحالات States ، بل تكاد تكون معدومة في الاستعمال القرآني مثلا ، على الضد من « ما » التي تتسلط على الأحداث والحالات .

أن هذا الفرق في نفي الحالات أو الأحداث يرجع نفي الحاضر بـ « ما » ، لأن نفي الحالات لا يتضمن زمنا لكن إذا تركبت « ما » و « ليس » مع « المضارع » عدم الفرق بينهما في الدلالة الزمنية ، فيكون نفي « المضارع » الزمته بـ « ما » أولا : « ما يفعل » وبـ « ليس » ثانيا : « ليس يفعل » . أما الحاضر الشرعي فيطلب الاشعار بنقطة زمنية في الحاضر هي نقطة البدء في الحدث الذي يجري نفيه في الحاضر ، وهو ما يدل عليه مركبا النفي « لما يفعل » و « ما فعل » ، فهذان المركبان ، وإن كانا يدلان ، في متحى من متاحيهما ، على

(١٠٦) ينظر أساليب النفي في القرآن : ٩٣ .

(١٠٧) البقرة : ٧٧ .

(١٠٨) البقرة : ١٩٨ .

(١٠٩) آل عمران : ٣٦ .

(١١٠) أساليب النفي في القرآن : ٧٤ .

(١١١) الكتاب : ١٤٧/١ .

الماضي ، يشيران الى نقطة في الحاضر ، من حيث ان حدثه لم يسبدا به حتى هذه اللحظة .

مورفيمات الشروع في الاستعمال :

يخلو الاستعمال القرآني من مورفيمات الشروع خلوا تاما ، المستعمل منها هو « الفعل » كقوله تعالى : « ولما سكنت عن موسى الغضب أخذ الألواح » (١١٢) وقوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » (١١٣) وقوله : « وهو الذي أنشأ جنات » (١١٤) وقوله : « وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى » (١١٥) .

الحاضر المقاربي (يكاد يفعل)

قلنا فيما سبقت الإشارة اليه (١١٦) ان المقاربة ناحية غير زمنية من نواحي الحدث ، مركب : « كاد يفعل » يدل على أن الحدث قارب الوقوع في الماضي (غير المحدد) ولم يقع ، فكان « كاد يفعل » من الناحية الزمنية « ثم يفعل » .

أما مركب « يكاد يفعل » فيدل على أن الحدث يقارب الوقوع في الحاضر .

ويتمثل الفرق بين « كاد يفعل » و « يكاد يفعل » في الاستعمال القرآني : بانطواء مركب « كاد يفعل » على أحداث « أما « يكاد يفعل » فينطوي على وقوع أحداث أقرب الى الصفات ، وهي واحدة من دلالات صيغة « يفعل » . كما يأتي :

يكاد يفعل	كاد يفعل
« تكاد السماوات يتفطرن منه » (١٢٠)	« وما كادوا يفعلون » (١١٧)
« تكاد تميز من الغيظ » (١٢١)	« وكادوا يقتلونني » (١١٨)
« يكاد البرق يخطف أبصارهم » (١٢٢)	« ولقد كنت تركن اليهم » (١١٩)

(١١٢) الأعراف : ١٥٤ .

(١١٣) التوبة : ٤٠ .

(١١٤) الأنعام : ١٤١ .

(١١٥) النساء : ١٤٢ .

(١١٦) ينظر : ص ٢٦٠ من الفصل السابق .

(١١٧) البقرة : ٧١ .

(١١٨) الأعراف : ١٥٠ .

(١١٩) الأسراء : ٧٤ .

(١٢٠) مريم : ٩٠ .

(١٢١) الملك : ٨ .

(١٢٢) البقرة : ٢٠ .

نفي الحاضر المقاربي

جاء نفي الحاضر المقاربي في القرآن بـ « لا » دون « ما » كقوله تعالى :
 « لا يكادون يفقهون حديثاً » (١٢٣) وقوله : « ولا يكادون يفقهون
 قولاً » (١٢٤) وقوله : « ولا يكاد يبين » (١٢٥) .
 ومرد نفيه بـ « لا » الى ان زمن الحدث المنفي بـ « لا » يلتبس فيه
 الحاضر والمستقبل .

فيكون امتداداً يناسب مع نفي الحدث المقترّب من الوقوع والمبعد
 عنه في آن واحد . اذ كأنه حدث مستمر في تعاقبه هذا . وهو امر
 يتطابق مع اتجاه الأحداث في سياق هذا المركب الى عدم الانقطاع .
 حيث تكون اقرب الى الصفات منها الى الأحداث .

الحاضر المستمر

يتيح لنا النظر في المركبات الراضية الاستعمال البحث عن مقابلها
 الزمني فـ « كان يفعل » الذي يدل على الماضي المستمر يدل بقلبه الى
 « يكون يفعل » على الدلالة ذاتها في الحاضر أي الحاضر المستمر وهكذا
 شأن مرادف « كان يفعل » « ظل يفعل » يكون : « يظل يفعل » .

ولما بينا (١٢٦) ان المركب « ظل يفعل » يتميز عن « كان يفعل »
 بتضمنه حدثاً غير متكرر ، أي لا يكون عادة ، في حين يدل « كان يفعل »
 على ما سمي « الماضي التعودي » ، فقد صلح أي « يظل يفعل » للتعبير عن
 المستقبل المستمر دون « يكون يفعل » كما يأتي :

الماضي المستمر	الحاضر المستمر	المستقبل المستمر
ظل يفعل	يظل يفعل	سيظل يفعل
كان يفعل	يكون يفعل	

في حين يصلح المركب « سيكون » مع صيغة « فاعل » لدلالاتها على
 الثبوت الاسمي أي الصلة التي هي اقرب الى دلالة هذا المركب على العادة

(١٢٣) النساء : ٧٨ .

(١٢٤) الكهف : ٩٣ .

(١٢٥) الزخرف : ٥٢ .

(١٢٦) ينظر : ص ٢٥١ من الفصل السابق .

كقوله تعالى « ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا
شيوخا » (١٢٧) أي تم « ستكونون شيوخا » ولا يصح « تم لتكونوا
تشيخون » .

وقد ورد استعمال « يكون يفعل » دالا على الحاضر المستمر في
القرآن الكريم مرتين فقط هما قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون
لهم قلوب يعقلون بها » (١٢٨) أي : فيكونون يعقلون بقلوبهم . وقوله :
« أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها » (١٢٩) أي : ويكون
يأكل من جنته .

• (١٢٧) غافر : ٦٧ .

• (١٢٨) الحج : ٤٦ .

• (١٢٩) الفرقان : ٨ .

المبحث الثالث :

حقل المستقبل

سيفمسل

سوف يفعل :

عرض سيبيويه لـ « السين » و « سوف » مركبتين مع « المضارع » ليدلا على المستقبل من غير أن يشير إلى فروق دلالية في جهة المستقبل بينهما . بل أشعر بتطابقهما في الدلالة الزمنية :

قال « وزعم الخليل أنها (السين) جواب (لن) » (١٣٠) .

وقال في موضع ثان « وإذا قال : « سوف يفعل » فإن فيه « لن يفعل » (١٣١) .

وقاله في موضع ثالث : « ومن تلك الحروف أيضا « سوف » لأنها بمنزلة « السين » في قولك « سيفعل » (١٣٢) .

أما النجاة من بعده ، فقد وافقه فريق منهم كما صرح الرضى بأن « السين » و « سوف » « حرفا تنفيس ، ومعناه تأخير الفعل إلى الزمان المستقبل وعدم التضييق في الحال » (١٣٣) ، وخالفه فريق آخر حيث أنكر الترادف بين « السين » و « سوف » . كما سيأتى .

وقد استند البصريون إلى الفرق (الشكلي) بين « سوف » و « السين » لافتراض وجود فرق « دلالي » بينهما . فذهبوا إلى أن الزمان المستقبل « مع « السين » أضيق منه مع « سوف » نظرا إلى أن كثرة الحروف تفيد مبالغة في المعنى » (١٣٤) .

إن الجدل المتواصل حول « السين » و « سوف » في مباحث النجاة يرتبط بموضوع أساسي في المنهج النعوي وأعنى به موضوع « التأصيل » . فهل « السين » و « سوف » حرف واحد ؟

(١٣٠) الكتاب : ٤ : ٢١٧ .

(١٣١) المصدر السابق : ٣ : ١١٧ .

(١٣٢) المصدر نفسه : ٣ : ١١٥ .

(١٣٣) الكافية : ٢ : ٢٢٣ .

(١٣٤) معجم الهوامع : ٢ : ٧٢ .

وقد اتقسم الرأي بإزاء ذلك ، فذهب فريق إلى أنهما حرف واحد ، وأن « السين » تشير إلى مظهر من مظاهر السلوك الصوتي في اللغة ، حيث يتحول مورفيم كـ « سوف » بالاستعمال إلى « س » كـ « كسا » ذكر من أنه يقال « سف » بحذف الوسط و « سو » بحذف الآخر و « سي » بحذفه وقلب الوسط ياء مبالغة في التخفيف « (١٣٥) .

وقد تجلّى ذلك كله في المسألة الثانية والنسعين من الانصاف ، وقد كان عنوانها : « السين » متقطعة من « سوف » أو أصل برأسه ؟ « (١٣٦) وقد استند الكوفيون إلى مبدأ السلوك الصوتي في جعل « السين » مقطوعة من « سوف » . قالوا : « إنما قلنا ذلك لأن « سوف » كثر استعمالها في كلامهم وجريها على السنتهم . وهم أبداً يحذفون لكثرة الاستعمال » (١٣٧) .

لكن البصريين استندوا إلى الفرق الوظيفي بين « السين » و « سوف » فجعلوه دليلاً على أن كل واحد منهما حرف مستقل بنفسه ، غير مأخوذ من صاحبه « (١٣٨) .

وقد رجع النحاة - معبرين عن نزوع وصفى - إلى النصوص لاختبار وظيفة « السين » و « سوف » لكن النظر في النصوص لم يكن دقيقاً من جهة ، ولم يكن شاملاً من جهة أخرى ، فادى ذلك إلى العودة إلى الرايين الأولين : « قال ابن أياز في « شرح الفصول » : « الفرق بين « السين » و « سوف » التراخي في « سوف » أشد منه في « السين » بدليل استقراء كلامهم قال تعالى : « وسوف تسألون » (١٣٩) وطال الأمد والزمان . وقال تعالى : « سيقول السفهاء من الناس » (١٤٠) فتعجل القول « (١٤١) .

أما ابن مالك فقد قال ، مستنداً إلى التطابق الشكلي في التركيبين اللذين يقع « السين » و « سوف » في سياقيهما ، قال « بتعاقبهما » (١٤٢) قال تعالى : « وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً » (١٤٣) .

(١٣٥) مفتى اللبيب : ١ : ١٣٩ .

(١٣٦) الانصاف : ٢ : ٦٤٦ .

(١٣٧) الانصاف : ٢ : ٦٤٦ .

(١٣٨) الانصاف : ٢ : ٦٤٧ .

(١٣٩) الزخرف : ٤٤ .

(١٤٠) البقرة : ١٤٢ .

(١٤١) الأشياء والنظار : ٢ : ٢٠٦ .

(١٤٢) ينظر الجنى الداني : ١١٩ .

(١٤٣) النساء : ١٤٦ .

وقال : « أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما » (١٤٤) وقال : « كلا سيعلمون » (١٤٥) وقال : « كلا سوف تعلمون » (١٤٦) .

أما المباحث المعاصرة فلم تجهد في فحص النصوص التي تتعلق بهذه النقطة . وقد اكتفت بنقل النتائج القديمة . فمن أشاروا ، بصورة غير مباشرة ، الى ترادفهما للدكتور مهدي المخزومي . قال : « كـ » السين « أو » سوف « في تخلص « يفعل » للمستقبل « (١٤٧) . وتابعه الدكتور علي جابر المنصوري فقال : « جملة المستقبل وأدائها الأساسية « السين » وسوف . . . (١٤٨) .

أما الدكتور تمام حسان فقله جعل ، — متابعا للبصريين — لـ « سوف » و « السين » ، فيما توزيعية متغايرة ، اذ جعل « سيفعل » للمستقبل القريب ، و « سوف يفعل » للمستقبل البعيد (١٤٩) .

« السين » و « سوف » في الاستعمال :

ان فحص الجانب الاستعمالي في « السين » و « سوف » في القرآن يؤدي الى ما يأتي :

(أ) ملاحظة اتجاه « سوف » في الغالب للدلالة على زمن بعيد يتصل بالآخرة : كما في قوله تعالى :

« فسوف نصليه نارا » (١٥٠) وقوله : « فسوف نؤتيه أجرا » (١٥١) وقوله : « وسوف تسألون » (١٥٢) وقوله : « وان سعيه

(١٤٤) النساء : ١٦٢ .

(١٤٥) التبا : ٤ .

(١٤٦) النكاث : ٣ .

(١٤٧) في النحو العربي لقد وتوجيه : ١٥٩ .

(١٤٨) مجلة كلية الشريعة / مجلة مجلة الماضي والحاضر والمستقبل : ٦ : ٣٧ .

(١٤٩) ينظر اللغة العربية معنساها ومبناها / ملحق الكتاب / الجدول الزمني .

(١٥٠) النساء : ٢٩ .

(١٥١) النساء : ٧٣ .

(١٥٢) الزخرف : ٤٤ .

سوف يرى » (١٥٣) وقوله : « فسوف يلقون غيا » (١٥٤) وقوله :
« فسوف يحاسب حسابا عسيراً » (١٥٥) وقوله : « فسوف نصيبهم
نار » (١٥٦) .

(ب) ملاحظة اتجاه « السين » للدلالة على مستقبل قريب ، يتصل
في الاستعمال القرآني بالدنيا .
كما في قوله تعالى :

« سنقتل أبناءهم » (١٥٧) وقوله : « ساصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الأرض » (١٥٨) وقوله : « سنلقى في قلوب الذين كفروا
الرعب » (١٥٩) وقوله « قالوا سنراود عنه أباه » (١٦٠) وقوله :
« ان الله سيظلمه » (١٦١) وقوله : « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل
الله » (١٦٢) وقوله : « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » (١٦٣) وقوله :
« سيفلقون في بقع سبع سنين » (١٦٤) وقوله : « سنسمه على
الخرطوم » (١٦٥) وقوله : « علم الله انكم ستذكرونهن » (١٦٦) .

(ج) يتمثل الفرق الدلالي بين « سوف » و « السين » في وقوع
« سوف » في اطار تركيبات شرطية ، دون « السين » . ان التركيبات
الشرطية تعني بتعليق الأحداث ، أكثر مما تعني بحدث ذي زمن معين .
كما في قوله : « ومن يفعل ... » الآية « فسوف نصلبه » (١٦٧)
وقوله : « ومن يقاتل ... » الآية « فسوف نؤتيه » (١٦٨) وقوله :

-
- (١٥٣) النجم : ٤٠
 - (١٥٤) مريم : ٥٩
 - (١٥٥) الانشقاق : ٨
 - (١٥٦) النساء : ٥٥
 - (١٥٧) الاعراف : ١٢٦
 - (١٥٨) الاعراف : ١٤٥
 - (١٥٩) آل عمران : ١٥١
 - (١٦٠) يوسف : ٦١
 - (١٦١) يونس : ٨١
 - (١٦٢) الانعام : ٩٣
 - (١٦٣) الزمل : ٥
 - (١٦٤) الروم : ٣ و ٤
 - (١٦٥) القلم : ١٦
 - (١٦٦) البقرة : ٢٣٥
 - (١٦٧) النساء : ٢٩
 - (١٦٨) النساء : ٧٣

« ومن يفعل ٠٠٠ » الآية « فسوف نؤتيه » (١٦٩) وقوله : « أئذا ما امت
لسوف أخرج حيا » (١٧٠) وقوله : « من يرثه منكم ٠٠٠ » الآية
« فسوف يأتي الله بقوم يحبهم » (١٧١) وقوله : « فان استقر مكانه
فسوف تراني » (١٧٢) : وقوله : « وان خفتكم عيلة فسوف يغنيكم
الله » (١٧٣) .

أما « السنين » فقلب عليها مجيئها ابتدائية : كما في قوله تعالى :
« سأنصرف عن آياتي ٠٠٠ » (١٧٤) وقوله : « سنلقى في قلوب
٠٠٠ » (١٧٥) وقوله : « سنقرئك فلا تنسى » (١٧٦) .

وقوله : « سيدكر من يخشى » (١٧٧) وقوله « سستجلبون
آخرين » (١٧٨) وقوله : « سيعلمون غدا ٠٠ » (١٧٩) وقوله : « سيهزم
الجمع ٠٠ » (١٨٠) وقوله : « سارفعه صعودا » (١٨١) وقوله : « ساصليه
سقر » (١٨٢) وقوله : « وسنقول له من أمرنا ٠٠ » (١٨٣) وقوله :
« سيقول لك المخلفون » (١٨٤) وقوله : « سنسمه على الحراطوم » (١٨٥)
وقوله : « سنفرغ لكم ايها الثقلان » (١٨٦) وقوله : « سسيقول
المخلفون ٠٠ » (١٨٧) .

يستنتى من ذلك مجيء السين في اطار تركيب شرطى مرتين هما :

-
- (١٦٩) النساء : ١١٤ .
 - (١٧٠) مريم : ٦٦ .
 - (١٧١) المائدة : ٥٧ .
 - (١٧٢) الاعراف : ١٤٢ .
 - (١٧٣) التوبة : ٢٩ .
 - (١٧٤) الاعراف : ١٤٥ .
 - (١٧٥) آل عمران : ١٥١ .
 - (١٧٦) الأعلى : ٦ .
 - (١٧٧) الأعلى : ٦٠ .
 - (١٧٨) النساء : ٩٠ .
 - (١٧٩) القمر : ٢٦ .
 - (١٨٠) القمر : ٤٥ .
 - (١٨١) المدثر : ١٧ .
 - (١٨٢) المدثر : ٣٦ .
 - (١٨٣) الكهف : ٨٩ .
 - (١٨٤) الفتح : ١١ .
 - (١٨٥) القلم : ١٦ .
 - (١٨٦) الرحمن : ٣١ .
 - (١٨٧) الفتح : ١٥ .

قوله : « حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون ٠٠ » (١٨٨) .

وقوله تعالى : « وان تعاسرتم فسترضع له اخرى » (١٨٩) .

ان استحضار الصورة ثابت في قوله : « حتى اذا راوا ٠٠٠ » الآية وكأنهم راوا فعلموا . ومثل ذلك قوله في استحضار الصورة : « اأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير » (١٩٠) أما قوله : « وان تعاسرتم ٠٠٠ الآية » فالأحداث تنسم هنا بالتحقق لأنها تخص أمرا من أمور المجسم « الطلاق » في حين لا تحمل أحداث التركيبات الشرطية هذه السمة : « من يفعل » ، « من يرند » ، « من يقاتل » « ان خفتهم » .

ووضع « ان تعاسرتم فسترضع له اخرى » بازاء :

و « ان استقر مكانه فسوف تراني » .

بين امكان وقوع الحدث في الأولى واستحالة وقوعه في الثانية . ومن ثم تشعرا هذه الاستحالة بالبعد الزمى .

(د) يثلب على « السين » مجيئها في إطار حوار يقم فيه حدث « القول » المستقبل قريبا كما في قوله : « قل لمن الأرض ٠٠٠٠٠ سيقولون لله » (١٩١) وقوله : « قل من رب السماوات ٠٠٠٠٠ لله » (١٩٢) وقوله : « قل من بيده ملكوت كل شيء ٠٠٠٠٠ سيقولون لله » (١٩٣) وقوله : « قل كونوا حجارة ٠٠ » الآية « فسيقولون من يعيدنا » (١٩٤) وقوله : « قل الذي فطركم أول مرة فسينقصون اليك رؤوسهم » (١٩٥) .

(هـ) يبقى هناك تركيبان لغويان تتماثل فيهما الأداتان « السين » و « سوف » تماثلا شكليا :

« سوف يعلم » « سيعلم »

« سوف يصلي » « سيصلي »

(١٨٨) الجن : ٢٤ .

(١٨٩) الطلاق : ٦ .

(١٩٠) الملك : ١٧ .

(١٩١) المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥ .

(١٩٢) المؤمنون : ٨٦ ، ٨٧ .

(١٩٣) المؤمنون : ٨٨ ، ٨٩ .

(١٩٤) الاسراء : ٥١ .

(١٩٥) الاسراء : ٥١ .

ودلاليا : العلم في الآخرة والاصلاء فيها . وقد جعل هذا التماثل
نحويا كابن مالك يشير الى تعاقبهما في الدلالة كما سبقت الإشارة الى
ذلك (١٩٦) .

لكن ملاحظة السيف الذي تقع فيه هذه التركيبات يقودنا الى ما يأتي :
١ - ان حديث « العلم » وان وقع في الآخرة ، مع « سوف »
و « السين » ذو قيمة استعمالية مع « سوف » اذ تكرر نمط « سوف
يعلم » وصوره تسع عشرة مرة ، في حين تكرر نمط « سيعلم » وصوره
سبع مرات .

٢ - انه يغلب على استعمال « سوف يعلم » أن يسبق بأحداث التمتع
واللهو كما في قوله تعالى : « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف
يعلمون » (١٩٧) وقوله : « فتمتعسوا ففسوف تعلمون » (١٩٨)
وقوله : « وليتمتعوا فسوف يعلمون » (١٩٩) وقوله : « فتمتعوا فسوف
تعلمون » (٢٠٠) فكان للأحداث ، ها هنا ، اطارا نفسيا تقع فيه ، وهذا
الاطار يعبر عن امتداد الزمن الفاني . وكأنه ترك للآمين أن يتصوروا أو
يحسوا امتداد الزمن ، وان هذا الامتداد ، على طوله ، سوف ينتهي ليفج
العلم بالحساب . ومجيء السين سيقطع هذا الامتداد المقصود .

٣ - أن نمط « سوف يعلم » يقع في سياق محاجة فكرية وتأمل
وتبصر ، أي في اطار من التمهّل في ملاحظة تعاقب الأحداث ، الأمر الذي
يشعر فيه بامتداد الزمن ، كما في قوله تعالى :

« لكل نيا مستقر وسوف تعلمون » (٢٠١) وقوله : « ان هذا لكم
مكرتموه ٠٠٠ الآية » فسوف تعلمون » (٢٠٢) وقوله : « انه لكبيركم
الذي علمكم السحر ففسوف تعلمون » (٢٠٣) وقوله : « فكفروا به فسوف
يعلمون » (٢٠٤) وقوله : « وأبصرهم فسوف يبصرون » (٢٥٠) وقوله :

(١٩٦) انظر / ص ٢٩٢ من هذا الفصل .

(١٩٧) الحجر : ٣ .

(١٩٨) النحل : ٥٥ .

(١٩٩) التكبوت : ٦٦ .

(٢٠٠) الروم : ٢٤ .

(٢٠١) الأنعام : ٦٧ .

(٢٠٢) الأعراف : ١٢٢ .

(٢٠٣) الشعراء : ٤٩ .

(٢٠٤) الصافات : ١٧٠ .

(٢٥٠) الصافات : ١٧٥ .

« الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون » (٢٠٦)
وقوله : « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » (٢٠٧) .

٤ - أما تصفح نمط « سيعلم » وصورة فيؤدي الى ملحظ القطع
والعنف ، وهو ملحظ يشعر بقرب وقوع الأحداث كما في قوله تعالى :
« سيعلمون غدا من الكذاب الأشر » (٢٠٨) وقوله : « وسيعلم الذين ظلموا
أى منقلب ينقلبون » (٢٠٩) .

٥ - أن هذا المنحى ، أى منحى التمهيل فى سياق « سوف » والقطع
فى سياق « السين » ، يمكن أن يلاحظ فى « سوف يصلى » و « سيصلى »
فى قوله تعالى : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا » (٢١٠)
ويقول : « ساصليه سقر » (٢١١) .

٦ - أن ملاحظة نمط « سيعلم » تشعر باستحضار الصورة وهو
ما يشعر بقرب وقوع الحدث . وقد مر بنا ذلك (٢١٢) فى قوله : « حتى
إذا رأوا ... الآية » فسيعلمون » وقوله : « فإذا هى تمور ...
الآية » فستعلمون » .

٧ - أن هذا المنحى ، منحى استحضار الصورة من عنده ، يتضح
فى تركيبى « سوف يصلى » و « سيصلى » فى قوله تعالى : « ان الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم نارا » (٢١٣) وقوله : « ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا » (٢١٤) وقوله : « ثبت يدا أبى لهب وتب
ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب » (٢١٥) وقوله :
« انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » (٢١٦)

٨ - أن الذى يعترض نتيجة المبحث السابق قوله تعالى : « كلا

-
- (٢٠٦) غافر : ٧٠
 - (٢٠٧) الزخرف : ٨٩
 - (٢٠٨) القبر : ٢٦
 - (٢٠٩) الشعراء : ٢٢٧
 - (٢١٠) النساء : ٥٦
 - (٢١١) المدثر : ٢٦
 - (٢١٢) انظر الفقرة السابقة
 - (٢١٣) النساء : ٥٦
 - (٢١٤) النساء : ٣٠
 - (٢١٥) ثبت : ٤
 - (٢١٦) النساء : ١٠

سيعلمون ثم كلا سيعلمون» (٢١٧) وقوله : « كلا سوف تعلمون » ثم كلا سوف تعلمون » (٢١٨) فالتركيبان يتطابقان من الناحيتين « الشكلية » و « الدلالية » تطابقا تاما ، ويقعان في إطار من الزجر والتعنيف مستعار من أداة « الردع والزجر » (٢١٩) « كلا » عبر أن فحص نصيهما وملاحظة سياقيهما يعيدنا الى النقطة التي انتهينا اليها وهي ان «السين» و «سوف» أداتان مختلفتان من حيث الوظيفة النحوية ونحصر هذه الوظيفة في جهة المستقبل .

قال تعالى : « ثم يتساءلون عن النبا العظيم الذين هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون » (٢٢٠) وقال : « الهالك التكاثر حتى ذرتم المقابر . كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » (٢٢١) فالردع والوعيد بالعلم كان يدور حوله أهم أدلة الخالق وقدرته المطلقة . وهو « البعث » وما يشتمل عليه من دلالة الايمان نصديقا به ، أو من دلالة الكفر انكارا له ، وكان موجها الى الجماعة البشرية التي اضطربت أفكارها حوله .

هنا يكون الحسم بوقوع حدث العلم وتقريب وقوعه وتبيان أن « ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق » (٢٢٢) أمر لا بد منه ، يتطلبه السياق ، الذي حفل بتقديم البراهين على أن البعث واقع لا محالة : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » (٢٢٣) « فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات » (٢٢٤) .

أما سياق الآية الثانية فقد كان الردع والوعيد بالعلم موجها الى الجماعة البشرية التي اختلعت قيمة من قيمها ، ونجلى ذلك الاختلال في « التبارى في الكثرة والتباهى بها » (٢٢٥) وهذه القيمة الاجتماعية ليست بشيء اذا وضعناها بازاء « النبا العظيم » ومن هنا جاء حدث العلم بعقبها مسبوقا بـ « سوف » وجاء حدث العلم بعقبى « النبا العظيم » مسبوقا بـ « السين » .

-
- (٢١٧) التكاثر : ٣ و ٤ .
 - (٢١٨) النبا : ٤ و ٥ .
 - (٢١٩) مفتى اللبيب : ١ : ١٨٨ .
 - (٢٢٠) النبا : ٤ و ٥ .
 - (٢٢١) الكاثر : ٣ و ٤ .
 - (٢٢٢) الكشف : ٢ : ٢٠٧ .
 - (٢٢٣) النبا : ٦ .
 - (٢٢٤) الكشف : ٤ : ٢٠٧ .
 - (٢٢٥) الكشف : ٤ : ٢٨٠ .

ونخلص من كل ذلك الى أن « السين » و « سوف » في اللغة العربية
معزل عن ملاحظة ما اذا كانت « السين » قد تحولت في الاستعمال
فصارت « سوف » أو اقتطعت منها ، مورفيمان زمنيان يؤديان وظيفتين
مختلفتين من حيث الجهة الزمنية .

٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨

المستقبل الاستمراري ونفيه :

عرضنا في حقل الماضي والحاضر لبعض مركبات المادة وهو « ظل
يفعل » في الماضي و « يظل يفعل » في الحاضر .

وقد وزع الدكتور تمام حسان هذا المركب في حقل المستقبل على
النحو الآتي :

الاستقبال الاستمراري مركبه تقيمه استفهامه
سيظل يفعل لسوف يظل يفعل لن يفعل أسيظل يفعل ؟ (٢٢٦)

ويرينا هذا التوزيع الاضطراب السائد في جدول الدكتور تمام
حسان . ف « السين » و « سوف » يتعاقبان من دون أن يكون لفرق الجهة
الذي يؤديانه والذي قال به الدكتور تمام نفسه ، تأثير هناك ، كما أن
وضع داليتين مختلفتين بازا مركب واحد ، كما فعل بأسناده دلالة نفى
« المستقبل القريب » ونفى « المستقبل الاستمراري » الى مركب « لن
يفعل » (٢٢٧) ، يعني نقض المفهوم الدلالي في النحو .

كما أنه ينبغي أن نعرض لنقطة أساسية ، يتسم بها حقل الزمن في
العربية وهي تأكيد مركبات الزمن وصيغه أو الاستفهام عنها .

ان « التوكيد » ليس له آثار في اتجاه الصيغ والمركبات الى الزمن ،
سواء أكان ذلك في قسم الزمن أم في جهته ، كما نقول : « فعل » و « قد
فعل » و « لقد فعل » . وقد بحثنا ذلك في حقل الماضي ودحضنا الافتراضات
التي كان مؤداهما أن للماضي المؤكد دلالة زمنية خاصة به (٢٢٨) .

والاستفهام ، شأنه شأن التوكيد ، لا أثر له في اتجاه الصيغ الزمنية .
كما نقول : « أفعل ؟ » « أكان قد فعل ؟ » « أكان يفعل » « ألم يكن
يفعل » « أسيظل يفعل ؟ » الخ .

(٢٢٦) ينظر اللغة العربية معناتها ومعناها : ٢٤٥ فما بعدها .

(٢٢٧) ينظر المصدر السابق : ٢٤٥ فما بعدها .

(٢٢٨) ينظر : اللغة العربية معناتها ومعناها : ملحق الكتاب / جدول الزمن .

بإستثناء مركب واحد - تخرج به أداة الاستفهام الصيغة عن زمنها .
كما ستعرض لذلك في خاتمة هذا الفصل .

ويؤدى بنا ملحظ هذه النقطة ، والملاحظات التى نعرض متبها الى
توزيع المستقبل الاستمرارى ، كما يأتى :

المستقبل الاستمرارى

نفيه

سسيظل يفعل

لا يظل يفعل

سوف يظل يفعل

لن يظل يفعل

كما انه يمكن استعمال مرادفات هذه المواد كـ « سيستمر يفعل »
و « يبقى يفعل » .

نفي المستقبل

لن يفعل

لا يفعل

يقدم سيبويه انطبعا اوليا على أن نفي المضارع بـ « لن » ونفيه
بـ « لا » متطابقان من حيث دلالتهما الزمنية ، فى نفي حدث المستقبل ، قال :
« واذا قال : « هو يفعل » ، ولم يكن الفعل واقعا فان نفيه : « لا يفعل » .
واذا قال « سوف يفعل » فان نفيه « لن يفعل » (٢٢٩) غير أن سيبويه
بوضعه ثانية « لا يفعل » بزاء « ليفعلن » . « واذا قال « ليفعلن » فنفيه :
« لا يفعل » كأنه قال : « والله ليفعلن » فقلت : « والله لا يفعل » (٢٣٠) .
كشف عن الفرق الوظيفى بين « لا » و « لن » . فالحدث فى سياق
قسم فى المستقبل يشعر بأنه كالتحقق أو كالقريب من التحقق . وكذا
نفيه . وهذا ملحظ دقيق ستعرض له فى هذا المبحث .

وقد عكس الزمخشري من تحليل سيبويه السابق ، فرق التوكيد ،
بأن « لن » لتأكيد ما تعطيه « لا » من نفي المستقبل تقول : « لا أبرح
اليوم مكانى » فإذا وكدت وشددت قلت : « لن أبرح اليوم مكانى » (٢٣١)
ومن ثم فقد الصق بـ « لن » : دلالة التأييد » (١٣٢) .

(٢٢٩) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

(٢٣٠) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

(٢٣١) للفصل : ٣٠٧ .

(٢٣٢) معنى اللبيب : ١ : ٢٨٤ .

وقد رد ابن هشام على الزمخشري ، فيما أسند إلى « لن » من دلالات معينة ، محتكما إلى النص القرآني . قال : « ولا تفيد « لن » تأكيد النفي خلافا للزمخشري في « كشافه » ولا تأييدا خلافا له في « النموذج » وكلاهما دعوى بلا دليل ، قيل ولو كان للتأيد لم يقيد منفيها بـ « اليوم » في : « فلن أكلم اليوم انسيا » (٢٣٣) .

وتعني ملاحظة ابن هشام أن النفي بـ « لن » يدل على زمن غير محدد في المستقبل شأنه شأن نفي الماضي بـ « لم » . وقد حلل ابن يعيش ملاحظات سيبويه في النفي بـ « لا » و « لن » التي سبقت الإشارة إليها (٢٣٤) تحليلا زمنيا ، إذ جعل لـ « لن » وظيفة نفي « المستقبل » : « سوف يفعل : لن يفعل » أما « لا » فوظيفتها نفي « يفعل » إذا أريد به المستقبل « (٢٣٥) وأظن أن ابن يعيش كان يستند إلى مفهوم النحاة حول صيغة « يفعل » في دلالتها المشتركة على زمنى الحاضر والمستقبل في حين لا يدل المركب « سوف يفعل » ، « سيفعل » إلا على المستقبل . وكان « لن » أخص بنفي المستقبل من « لا » . وهذه الخصوصية تجعل نفيها واقعا على « التأيد » ، وطول المدة نحو قوله : « ولن يتموه أبدا » (٢٣٦) .

وقد بين الزملكانى في (البرهان) أن (لن) تجمع بين دلالة التوكيد في النفي وقرب وقوع حدثها في المستقبل قال : « لن » أكد في النفي وإن كان زمانها أقصر » (٢٣٧) .

وتقل السيوطى رأى أبى محمد عبد الواحد في أن « لن » تنفى ما قرب من الزمان ولا يمتد معها النفي « (٢٣٨) ومن ثم ناقش الزملكانى الاعتراض الذى يوجهه الطرف « أبدا » في سياق « لن » على النحو الآتى : « فإن قلت قوله « أبدا » ينفى ما ذكرته ، قلت : قوله : « قد يأتى لفظ « الأبد » في الزمن القريب تفخيما لأمره وإعطاء له معنى الزمن الطويل كقولك : « زيد يصلى أبدا » (٢٣٩) .

وفى هذا التحليل خلط ، إذ يخرج الزملكانى من ملاحظة النص إلى

- (٢٣٢) معنى اللبيب : ٩ : ٢٨٤ .
- (٢٣٤) النظر : الصفحة السابقة .
- (٢٣٥) شرح الفصل : ٨ : ١١١ ، ١١٢ .
- (٢٣٦) شرح الفصل : ٨ : ١١١ ، ١١٢ .
- (٢٣٧) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ١٩٣ .
- (٢٣٨) الأسماء والنظائر : ٢ : ٢٠٦ .
- (٢٣٩) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ١٩٤ .

ما وراء النصر باعتماده مطابقة شكلية مفترضة بين نصين لا تطابق بينهما
ففي مثاله : « زيد يصلي أبدا » لا تعني صيغة « يفعل » : « يصلي » هنا
حادثا زمنيا بل هو صلة الاسم في تركيبه العميق :

فـ « زيد يصلي أبدا » = « زيد هو المصلي » أبدا .

في حين يكون الطرف « أبدا » أداة قياس حدث الزمن في قوله
تعالى : « ولن يتمنوه أبدا » (٢٤٠) . ويكون ملحظ الفرق واضحا اذا
افترضنا أن « زيدا » في حال صلاة تستمر أبدا ، كما ان الكفار في
حال عدم تمنى الموت أبدا .

وعلى أية حال فقد نقل السيوطي رأى ابن عصفور فيما ذهب اليه
من قصر زمان « لن » وعلق عليه بقوله : « الذى ذهب اليه باطل بل
كل منهما « لن » و « لا » يستعمل حيث يمتد النفي وحيث لا يمتد ،
فمن الأول « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » (٢٤١) وفي « لا » « ان لك
أن لا تجوع فيها ولا تعرى » (٢٤٢) ومن الثانى فى « لن » : « فان أكلم
اليسوم أنسيا » (٢٤٣) . وفي « لا » : « أن لا تكلم الناس ثلاثة
أيام » (٢٤٤) .

وقد خالف ابن مالك أكثر النحاة في نفيه تخلص المضارع بـ « لا »
النافيه للاستقبال . « لصحة قولك : « جاء زيد لا يتكلم » (٢٤٥) .

وتصحب ملاحظة ابن مالك هذه ، بصورة ما ، فى رأى سيبيويه الذى
افتتحنا به هذا المبحث .

فحدث « لا » هنا لا يدل على زمن البتة . كما عرضنا لذلك فى بحث
الصيغة والحال النحوى (٢٤٦) .

ولأن لـ « لن » وظيفة زمنية فقط ، هى الدلالة على المستقبل ، فقد
امتنع وقوعها ها هنا ، فلا نقول : « جاء زيد لن يتكلم » .

أما الملاحظات المعاصرة فقد تباينت ، غير أنها قدمت تحليلات دقيقة

(٢٤٠) البقرة : ٩٥ .

(٢٤١) البقرة : ٢٤ .

(٢٤٢) طه : ١١٨ .

(٢٤٣) مريم : ٢٦ .

(٢٤٤) آل عمران : ٤١ .

(٢٤٥) معنى التيبب : ١ : ٢٤٤ .

(٢٤٦) ينظر الفصل الثانى من هذه الرسالة / « إمكانات الصيغة » ص ٧٤ .

فى هذه النقطة • وقد فرق «برجستراسر» بين «لا» و «لن» تفريقا زمنيا
توضحه توزيعاته الآتية :

أداة النفي	الماضى	الحاضر	المستقبل
لا	—	لا يفعل	لا يفعل
لن	—	—	لن يفعل (٢٤٧) •

وهو — كما يبدو — يصدر عن آراء سيبيويه وإن أضاف الى « لا »
دلالة حدث المضارع معها على « الحاضر » •

وقد انتهى الأستاذ محمد البقرى فى مؤلفه : « أساليب النفي فى
القرآن » الى النتيجة ذاتها :

« التعبير بـ « لا » لأن الخبر يطرد فى الحاضر والمستقبل ، أما « لن »
فتتخصص للاستقبال » (٢٤٨) •

ونخلص من كل ذلك الى : أن « لا » تنطوى على وظيفة زمنية هي
نفي الحاضر المتببس بالمستقبل • أو تدل على نفي غير زمنى • فى حين
لا يدل حدث « لن » الا على المستقبل •

ويقدم لنا الأستاذ البقرى تحليلا تطبيقيا للقيم الخلافية بين نفي
« لا يفعل » ونفي « لن يفعل » فى قوله تعالى :

« ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من
دونهم امرأتين نذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء
وأبونا شيخ كبير » (٢٤٩) •

يقول : « ف : « لا » فى الآية إما أنها تفيد نفي الحاضر ، اذ إن
طبعهما ، فى كل مرة ، أنهما كذلك لا تسقيان ريثما يصدر الرعاء ،
وأما يقصد بها المستقبل •

وينتهى الى أن ملحظ النفي هنا يؤدى الى :

(أ) أن حاجتهما الى الماء شديدة بحيث لا تبلغ أن تنفيا بقوة
أنهما « لن تسقيا » ففى نفسيهما لو أتيج لهما السقيا لحظة كلامهما قبل
غيرها •

(ب) التعبير القرآنى « لا نسقى » بليغ لصدوره من امرأتين ضعيفتين

(٢٤٧) النظم النحوى للبرية : ١١٤ •

(٢٤٨) أساليب النفي فى القرآن : ٢٢ •

(٢٤٩) القصص : ٢٢ و ٢٣ •

أبوهم شيخ كبير ، ففى « لن » من القوة ما ليس فى « لا » (٢٥٠) ولدينا على هذا التحليل ملاحظتان :

الأولى : تعترض الصاق دلالة « القوة » بنفى حدث « لن » دون نفي حدث « لا » ف « لن » تدل هنا على أن الحدث سيقع فى المستقبل . وإبعاد الحدث الى المستقبل مما لا تريده المرأتان واستعمال « لا نسقى » ، والحدث لم يقع بعد ، تقريب لوقوع الحدث . . . وكأتهما نريد ان أن نسقيا الآن .

الثانية : أن « لا نسقى » مركب يخلو من الدلالة على زمن نحوى ، فهو نفي حدث عام ، أى : هذه حالتنا ، أى : الرعاء أولا ونحن ثانيا . وقد ألمح الأستاذ البقرى الى ذلك حين قال : « اذ أن طبعهما فى كل مرة أنهما كذلك » (٢٥١) ومن نفى « يفعل » غير الزمنى قوله تعالى « الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » (٢٥٢) وقوله « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » (٢٥٣) فكان صيغة « يفعل » اذا ذات من الدلالة على زمن أو دلت على زمن حاضر ملتبس بالمستقبل تنفى بـ « لا » . أما اذا أريد نفي حدث المستقبل « سوف يفعل » فإنه ينفى به « لن يفعل » . وهذا هو منتهى ما ترمى اليه اشارة سيبويه التى افتتحت هذا المبحث .

المشترك والمختلف فى نفي « يفعل » :

بـ « لا » و « ما » :

مر بنا كيف أن سيبويه جعل نفي الحاضر بـ « ما يفعل » (٢٥٤) ومر بنا كيف أنه فرق بين « لا » و « لن » اذ جعل الأول نفيا لصيغة « يفعل » والثانية نفيا لمركب المستقبل « سوف يفعل » ... « سيقعل » (٢٥٥) . وقد فهم النحاة اشارة « ولم يكن الفعل واقعا » (٢٥٦) على أنه نص على دلالة الحدث المنفى بـ « لا » على المستقبل . فجاءت ملاحظاتهم وفقا لذلك . فقد أدرج الجرجاني « النفي والزمن » فى وجوه الباب وفروقه . قال « وينظر فى الحروف التى تشترك فى معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى ، فيوضح كلاً من ذلك فى خاص معناه ، نحو

(٢٥٠) ينظر أساليب النفى فى القرآن . ٢٤ . ويلاحظ الهامش من الصفحة نفسها .

(٢٥١) أساليب النفى فى القرآن : ٢٤ .

(٢٥٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٢٥٣) الأنعام : ١٠٣ .

(٢٥٤) ينظر / ص ٢٨٦ من هذا الفصل .

(٢٥٥) ينظر / ص ٣٠١ من هذا الفصل .

(٢٥٦) الكتاب : ٢ : ١١٧ .

أن يجيء بـ « ما » في نفى الحال . و بـ « لا » إذا أراد نفى الاستقبال
• (٢٥٧) •

وقد عدل قول كـ « ما يقول زيد غدا » من القبيح « لأن هذا الموضع
« المستقبل » خصت به « لا » • (٢٥٨) •

وقد نقل ابن هشام الخلاف بين رأى الجمهور وابن مالك فى دلالة
« ما النافية + المضارع » • فعند الجمهور « ما » إذا نفت المضارع
تخلص للحال • ورد عليهم ابن مالك ينحو : « قل ما يكون لى أن
أبغضه » (٢٥٩) وأجيب - أبى ابن مالك - بأن شرط كونه للحال انبغاض
قرينة خلافه • (٢٦٠) •

يعكس رأى الجمهور صراع القرائن السياقية والأدوات والصيغ فى
تعيين حدود الزمن فى اللغة • فكانهم وجدوا أن سياق الانشاء الطلبى :
« قل » قرينة على المستقبل ، وأن كل ما يندرج فيه من صيغ ودلات زمنية
ينبغى أن يتجه الى المستقبل • وفى هذا نظر : لأن « قل » صيغة طلب
حسب ، ولا نص فيها على زمن معين • وإن نفى « ما يكون » هنا نفى عام
ومعناه الانبغاض • قال الزمخشري فى قوله تعالى : « ما يكون لى أن أقول
ما ليس لى بحق » (٢٦١) : « ما يكون لى » ، « ما ينبغى لى » • (٢٦٢) •

وخلاصة هذه النقطة أن « ما » و « لا » إذا نفتا المضارع تطابقتا فى
نقطة واحدة واختلفتا فى نقطتين :

فمتطابقتهما فى أنهما تنفيان أحداثا عامة لا نص فيها على زمن ، أو
ليس القصد مع مجيئها الاشعار بزمن كقوله تعالى : « ما يكون لى أن
ما ليس لى بحق » (٢٦١) : « ما يكون لى » « ما ينبغى لى » • (٢٦٢) •

وافترقا فى : فى أن هذا النفى الصام هو نفى انبغاض مع « ما » - فى
الأغلب - ونفى أحداث مع « لا » فى الأغلب أيضا (٢٦٤) •

• (٢٥٧) دلائل الإعجاز : ٦٧ •

• (٢٥٨) الأصول : ١ : ١٠٧ •

• (٢٥٩) بروس : ١٥ •

• (٢٦٠) معنى اللبيب : ١ : ٢٩٣ •

• (٢٦١) اللام : ١١٦ •

• (٢٦٢) الكشف : ١ : ٦٥٥ •

• (٢٦٣) الأنعام : ١٠٣ •

(٢٦٤) حللنا فى مبحث نفى ما فعل / ينظر من : ٢٢١ من الفصل السابق / نفى

الأحداث بأدوات النفى ، ولاحظنا أن كل أداة نفى أصلية أو محولة تخلص بدلالة معينة •
وأن هناك آثارا من التداخل الدلالي بين الأدوات بسبب الاستعمال •

الثاني : أن منفيهما إذا كان زمنيا دل على الحاضر مع « ما » وعلى الحاضر المنبسط بالمستقبل مع « لا » ويؤيد هذا التحليل أن مضارع مركب الاستمرار « ما زال » هو « لا يزال » وليس « ما يزال » لأن « لا يزال » كما لاحظنا في الاستعمال القرآني (٢٦٥) يدل على استمرار الحدث من الماضي حتى الحاضر مع إشارة إلى المستقبل .

فاذا ألقينا نظرة على التوزيعات التي أجراها الدكتور تمام حسان لتكوين جدول زمني خاص بالعربية وجدنا المنحى الاعتباري الذي يسمها بالنسبة إلى التحليلات التي أجريتها :

الزمن	الجهة فعل	يفعل
الحال	العادي	ليس يفعل
الحال	التجدي	ما يفعل
الحال	الاستمراري	ما يفعل
المستقبل	البسيط	لا يفعل
المستقبل	القريب	لن يفعل
المستقبل	البعيد	ما كان ليفعل (٢٦٦)

الاستفهام والزمن

قلنا (٢٦٧) انه ليس للاستفهام أثر في اتجاه الصيغ والمركبات إلى الزمن كما تقول « أفعل ؟ » « ألم يفعل ؟ » « أي فعل ؟ » « أسيفعل ؟ » « آكان فعل ؟ » .. الخ ونستثنى من ذلك مركب « هل يفعل ؟ » .

قال سيبويه « إذا قلت : هل تضرب زيدا ؟ فلا يكون أن تدعى أن الضرب واقع » وقد تقول : « أتضرب زيدا ؟ » وأنت تدعى أن الضرب واقع » (٢٦٨) .

وتابع علماء الدلالة والنحاة هذه الإشارة ، فقال القزويني : « هل » تخصص المضارع بالاستقبال ، فلا يصح : « هل تضرب زيدا وهو

(٢٦٥) ينظر ص ٢٧٠ فما بعدها من هذا الفصل .

(٢٦٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول الزمن .

(٢٦٧) ينظر : ص ٣٠١ من هذا الفصل .

(٢٦٨) الكتاب : ٣ : ١٦٧ .

أخوك ؟ » (٢٦٩) وعرض ابن هشام للفروق بين « هل » و « الهمزة » .
ومن بينها « تخصيصها (هل) المضارع بالاستقبال نحو : « هل
تسافر ؟ » بخلاف « الهمزة » نحو : « أتظنه قائما ؟ » (٢٧٠) . ولم
يكتف ابن هشام بهذه الإشارة . بل نقل رأى ابن سيده في « شرح
الجمل » وهو أنه « لا يكون الفعل المستفهم عنه الا مستقبلا » (٢٧١)
لكنه جعل ذلك من قبيل السهو ، وأورد قوله تعالى : « فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا ؟ » (٢٧٢) .

ان ملحق الزمن المستقبل مع مركب الاستفهام : « هل يفعل ؟ »
إذا أريد النص به على زمن ، ملحق واضح في الاستعمال القرآني كقوله :
« فارجع البصر . هل ترى من فطور ؟ » وقوله « هل ينظرون الا الساعة
أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ؟ » (٢٧٣) :

وقد مثل الهروي في « الأهمية » ب : « هل تخرجن ؟ » (٢٧٤) ف :
المضارع عند النجاة يخلص للاستقبال . بنوني التوكيد « (٢٧٥)

-
- (٢٦٩) التلخيص : ١٥٧
 - (٢٧٠) مفتى اللبيب : ٤ : ٣٥٠
 - (٢٧١) مفتى اللبيب : ٤ : ٣٥٠
 - (٢٧٢) الأعراف : ٤٤
 - (٢٧٣) الزخرف : ٦٦
 - (٢٧٤) الأهمية : ٣٦١
 - (٢٧٥) شرح التلخيص : ٢ : ٣٣١

جداول الزمن اللفظة العربية

الزمن	الجهة	الانبيات	الانفي	الاستفهام	الاستفهام عن الانفي / نفي الاستفهام
الحاضر	غير المحسوس	يفعل	ما يفعل	أ يفعل ؟	أ ما يفعل ؟
	الشروعى	أخذ يفعل	لا يفعل	أ أخذ يفعل ؟	أ لا يفعل ؟
	المقاربى	يكاد يفعل	لا يكاد يفعل	أ يكاد يفعل ؟	أ لا يكاد يفعل ؟
	المستمر	يكون يفعل يظل يفعل	لا يكون يفعل	أ يكون يفعل ؟ أ يظل يفعل	أ لا يكون يفعل ؟
المستقبل	القريب	سيفعل	لن يفعل	هل يفعل ؟	
	البعيد	سوف يفعل	لن يفعل	أ يظل يفعل ؟	
	المستمر	سيظل يفعل سوف يظل يفعل	لن يفعل	هل يفعل	

جداول بزمن اللفظة العربية

الزمن	الجهة	الانبات	النفى	الاستفهام
المشترك	من الماضي حتى الحاضر ويكون الحدث متقطعا أو غير متقطع بحسب السياق	ما زال يفعل	- ما فعل مد - لا يفعل	
	من الماضي حتى الحاضر من الماضي حتى غير المتقطع	لا زال يفعل	- ما فعل مد - لا يفعل	

ملاحظات :

- ١ - لا تدخل للاستفهام في موضوع الزمن في اللفظة العربية عدا موضعين : الأول : ويستفهم فيه عن صيغة « يفعل » في الحاضر بالهمزة ، والثاني : ويستفهم فيه عن صيغة « يفعل » في المستقبل بـ « هل » .
- ٢ - اخرج هذا الجدول التوكيد والشرط والانشاء والاسم وصيغ فاعل ومفعول والمصدر من جاناته ، فليس من علاقة بينها وبين الزمن .
- ٣ - ما وضع بين قوسين - في حالة الجهة - ليس دلالة زمنية في جبهة الحدث . ولكنها أدرجت لتسويج استعمالها وللخلاف الذي عليه المباحث بشأنها .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- الآراء الراقية الحديثة فى تفسير قواعد اللغة العربية وبيان أسرارها :
محمد كاظم صادق الملكى ، مطبعة الآداب ، ط ١ ، النجف ١٩٥٨ م .
- ابن قيم الجوزية - جهوده فى الدرس اللغوى : الدكتور طاهر سليمان حدوده ، الناشر دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ١٩٧٦ م .
- اثر النحاة فى البحث البلاغى : الدكتور عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- أدوات الشرط فى اللغات السامية : الدكتور فاروق جودى / منطلوقة .
- الألفية فى علم الحروف : على بن محمد الهروى (ت : ٤١٥ هـ) .
تح : عبد المين الملوحى ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٧١ م .
- الأساليب الانشائية فى النحو العربى : عبد السلام محمد هرون ، الناشر مكتبة الخانجي ، مطابع الدجوى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٩ م .
- أساليب النفى فى القرآن : أحمد ماهر محمود البقرى ، مطبعة دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٩٦٨ م .
- اسرار العربية : كمال الدين أبو البركات الأنبارى (ت : ٥٧٧ هـ) ، مطبعة بريل ، لندن ١٨٨٦ م .
- الأشباه والنظائر فى النحو : أبو الفضل جلال الدين السيوطى (ت : ٩١١ هـ) تح : طه عبد الرؤوف سعد ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ١٩٧٥ م .

- الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (ت : ٣١٦ هـ) ، تج : عبد المحسن الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف ١٩٧٣ م .
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : الدكتور فايف خرما ، من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ١٩٧٨ م .
- أعراب القرآن المنسوب الى الزجاج - مكى بن أبى طالب (ثلاثة أجزاء في مجلد واحد) . تج : إبراهيم الأبياري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- الإلمنية العربية : الدكتور ريمون طحان ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، بيروت ١٩٧٢ م .
- الإنسان ذلك المجهول : تأليف الكسيس كاريل ترجمة عادل شفيق ، نسخة بالأوفست ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة - بيروت ، ١٩٧٢ م .
- الانصاف في مسائل الخلاف : كمال الدين أبو البركات الأتباري (ت : ٥٧٧ هـ) ، منشورات المكتبة التجارية بمصر ، مطبعة السعادة ، ط ٤ ، القاهرة ١٩٦١ م .
- البحث النحوي عند الأصوليين : الدكتور مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد للنشر ، مطبعة دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠ م .
- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت : ٦٥١ هـ) . تج : الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديشي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٤ م .
- بنية الكلمة بين العربية والانجليزية : الدكتور محمد أبو الفتوح شريف والدكتور عبد الرازق أبو زيد ، الناشر مكتبة الشباب ، دار وهدان للطباعة بالقاهرة ، القاهرة ١٩٧٧ م .
- تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان . ترجمة نبيه أمين فارس ومنسب اليعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، بيروت ١٩٧٩ م .

- تاريخ اللغات السامية : ١ . ولغسون ، دار القلم ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٠ م .
- ترجمة معاني القرآن الكريم : مارمادوك بكنسال ، دار الكتساب اللبناني ، الشركة الافريقية للطباعة والنشر ، بيروت د . ت .
- التركيب اللغوي للأدب : الدكتور لطفى عبد البديع ، ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السنة المحمدية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، عنى بطبعه محمد حمدي البكري مطبعة السباح ، القاهرة ١٩٢٩ م .
- التلخيص في علوم البلاغة للمخطيب القزويني (ت : ٧٣٩ هـ) : شرح عبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٢ م .
- التوطئة : أبو علي الشلوبيني (ت : ٦٤٥ هـ) ، دراسة وتحقيق يوسف أحمد المطوع ، دار التراث العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- الجمل : أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) تحقيق وتقديم علي حيدر ، منشورات دار الحكمة بدمشق ، دمشق ١٩٧٢ م .
- الجني الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (ت : ٧٤٩ هـ) . تج : طه محسن ، طبع مؤسسة دار الكتاب للطباعة ، الموصل / العراق ١٩٧٦ م .
- حاشية الخضري : محمد الخضري (ت : ١٢٨٧ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٩٤٠ م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د . ت .
- الحضارات الاسلامية القديمة : موسكاتي ، ترجمة سيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي .
- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت : ٣٩٢ هـ) . تج : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت : د . ت .

- دراسات في الفلسفة الوجودية : الدكتور عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ط ٣ بيروت ١٩٧٣ م .
- دراسات في اللغة العربية : الدكتور خليل يحيى نامى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- الدرس النحوى في بغداد : الدكتور مهدي المخزومي ، منشورات وزارة الاعلام بالعراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ م .
- دلائل الاعجاز : أبو بكر عبد القاسم الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) تج : محمد عبده ومحمد محمود التركزى الشنقيطي ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده ، ط ٦ ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- الرد على النحاسة : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء ، (ت ٥٩٢ هـ) تج : الدكتور شوقي ضيف ، دار الفكر العربى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- رسائل في النحو واللغة (وهى ثلاث رسائل : ١ - كتاب تمام فصيح الكلام لابن فارس ، ٢ - كتاب الحدود في النحو للرماني ، ٣ - كتاب منازل الحروف للرماني أيضا) حققها وشرحها وعلق عليها الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكونى ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام بالعراق ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد ١٩٦٩ م .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني : أحمد بن عبد النصور المالقي . تج : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق : ١٩٧٥ م .
- الزمان في الفكر الدينى والفلسفى القديم : الدكتور حسام الالوسى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٠ م .
- الزمن في الأدب : هانز ميرهوف ، ترجمة الدكتور أسعد مرزوق ، الناشر مؤسسة سجل العرب ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- شذا العرف في فن الصرف : الشيخ أحمد الحملاوى ، ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ط ١٨ ، القاهرة ١٩٧١ م .

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت : ٧٦٩ هـ) . تج : محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط ١١ ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : نور الدين الأشموني (ت : ٩٢٩ هـ) تج : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، بيروت ١٩٥٥ م .
- شرح شافية ابن الحسايب : رضى الدين بن محمد بن الحسن الاسترابادي (ت : ٦٨٦ هـ) . تج : محمد نور الحسن وآخرين ، مطبعة حجازي ، بيروت ١٩٧٥ م .
- شرح شذور الذهب : جمال الدين أبو محمد عبد الله ابن هشام (ت : ٧٦١ هـ) تج : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، القاهرة : د . ت .
- شرح قطر الندى وبل الصدى : جمال الدين أبي محمد عبد الله ابن هشام (ت : ٧٦١ هـ) . تج : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية مطبعة السعادة بمصر ، ط ١١ ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- شرح كافية ابن الحسايب : رضى الدين بن محمد بن الحسن الاسترابادي (ت : ٦٨٦ هـ) ، دار الكتب العلمية : بيروت : د . ت .
- شرح مفصل الزمخشري : أبو البقاء بن يعيش (ت : ٦٤٣ هـ) ، منشورات عالم الكتب ومكتبة المتنبي ، بيروت : د . ت .
- الشفاء - جزء العبارة - الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا (ت : ٤٢٨ هـ) الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- العربية بين أمسها وحاضرها : الدكتور إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون بالعراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٨ م .
- العربية ولهجاتها : الدكتور عبد الرحمن أيوب ، معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٦٨ م .

- علم اللغة العربية : الدكتور محمود فهمي حجازي ، الناشر وكالة المطبوعات بالكويت ، الكويت ١٩٧٣ م .
- الفعل زمانه وأبنيته : الدكتور إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٠ م .
- فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، الرياض ١٩٧٧ م .
- فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور عبد الملك بن محمد العسلي (ت : ٤٣٠ هـ) ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة : د . ت .
- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر : مالك يوسف المطليبي ، دار الرشيد للنشر ، دار الحسرية للطباعة ، بغداد ١٩٨١ م .
- في النحو العربي نقد وتوجيه : الدكتور مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٤ م .
- قواعد اللغة العبرية : الدكتور عوفى عبد الرؤوف ، الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٧١ م .
- كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن قنبر (ت : ١٨٠ هـ) نج : عبد السلام محمد هرون ، ج ١ : دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- ج ٢ : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م .
ج ٣ و ج ٤ : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٥ م .
- الكشف (٤ أجزاء) أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت : د . ت .
- لسان العرب (١٥ جزء) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم منظور الأفریقی (ت : ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ١٣٠٠ هـ .

- اللغة : ج . فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمند القصاص ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٥٠ م .
- اللغة العربية المعاصرة : الدكتور محمد كامل حسين ، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧٦ م .
- اللغة العربية معناها ومبناها : الدكتور تمام حسان ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- الباحث اللغوية فى العراق : الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة العائى ، ط ٢ ، بغداد ١٩٦٥ م .
- مجالس ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت : ٢٩١ هـ) شرح وتحقيق عبد السلام هرون .
ج ١ ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٩ م .
ج ٢ ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- محاضرات فى فقه اللغة ، مخطوطة : بول كراوس .
- محاضرات فى اللغة : الدكتور عبد الرحمن أيوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦ م .
- مختار الصحاح : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى (ت : ٦٦٦ هـ) ، الناشر دار الكتاب العربى ، ط ١ ، بيروت ١٩٧٩ م .
- المخصص : على بن اسماعيل بن سيده (ت : ٤٥٨ هـ) ، المكتب التجارى للطباعة (أوفست عن المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة - ١٣٢١ هـ) .
- المدخل الى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية : الدكتور عبد المجيد عابدين ، مطبعة الشبكشى بالأزهر ، القاهرة ١٩٥١ م .
- المدخل الى علم اللغة : الدكتور محمود فهمى حجازى ، دار الثقافة للطباعة والنشر مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٩٧٦ م .
- المرتجل : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب (ت : ٥٦٧ هـ) .
تج : على حيدر ، دمشق ١٩٧٢ م .

- مشكل اعراب القرآن : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧ هـ) ، دراسة وتحقيق حاتم صالح الضامن ، منشورات وزارة الاعلام بالعراق ، سلسلة كتب التراث ، رقم ٣٨ ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ١٩٧٥ م .
- مشكلة البنية : الدكتور زكريا ابراهيم ، ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، القاهرة : د . ت .
- معاني القرآن : (٣ أجزاء) أبو زكريا يحيى بن زياد الفسراء (ت : ٢٠٧ هـ) . تح : محمد علي النجار ، الدار العربية للتأليف والترجمة ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- المعجمات العربية : اعداد وجدى رزق غالى ، الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ م .
- معجم علم اللغة النظرى : وضع الدكتور محمد علي الخولى ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٢ م .
- معنى اللبيب عن كتب الأعراب : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن هشام . تح : محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات دار الكتاب العربى ، بيروت : د . ت .
- مفتاح العلوم : (أطروحة دكتوراه) - مخطوطة تح : الدكتور أكرم عثمان .
- المفصل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، منشورات دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ط ٢ ، بيروت ١٣٢٣ هـ .
- المقرب (جزآن فى مجلد واحد) على بن مؤمن بن عصفور (ت : ٦٦٩ هـ) . تح : الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى ، مطبعة العائى ، ط ١ ، بغداد ١٩٧١ م .
- من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم أنيس ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٥ ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- مناهج البحث فى اللغة : الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، ط ٢ ، الدار البيضاء ١٩٧٤ م .
- مولد اللغة : الشيخ أحمد رضا العائى ، منشورات دار مكتبة الحياة ، مطبعة سيبا ، بيروت ١٩٥٦ م .

- النحو العربي والدرس الحديث : الدكتور عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ م .
- نحو الفعل : الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٧٤ م .
- نحو القرآن : الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٧٤ م .
- النحو الوافي (٤ أجزاء) : عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٧١ م .
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : الدكتور نهاد النوسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٠ م .
- النقد اللغوي عند العرب : الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون بالعراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٨ م .
- معجم الهوامع : أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ) ، عني بتصحيحه محمد بنر الدين النعساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت : د . ت .
- الواضح في علم العربية : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت : ٣٧٩ هـ) ، تح : أمين علي السيد ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- الوجيز في فقه اللغة : محمد الانطاكي ، منشورات دار الشروق ، ط ٣ ، بيروت : د . ت .

المجلات :

- مجلة الأستاذ ، كلية التربية ، بغداد ، المجلد الثالث عشر ١٩٦٦ م .
- مجلة دراسات ، كلية التربية ، جامعة الرياض ، عدد ١ ، ١٩٧٧ م .
- مجلة الفكر العربي المعاصر ، العددان الثامن عشر والتاسع عشر (في مجلد واحد) ، بيروت : شباط : آذار ١٩٦٦ م .

- مجلة كلية الشريعة ، بغداد ، العدد : ٦ : ١٩٥٨ م .
- مجلة اللسان العربي ، المجلد : ٨ «ج ١» ، عدد يناير (كانون الثاني) المغرب ١٩٧١ م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - العدد : ١٠ : ١٩٥٨ م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - العدد : ١٣ : ١٩٦١ م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - العدد : ١٤ : ١٩٦٢ م .

المراجع الأجنبية :

1. Brighter Grammar, Book 3 by C. E. ECKESIEY and MARGARET MOCAULAY Twelfth impression, London, 1965.
2. Course in General Linguistics by Ferdinand de Saussure, U.S.A., 1966.
3. Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic by DEBURI-RASUL AL-KHAFAJI (manuscript) vol. 2, University of Glasgo. U.K., 1972.

فهرس

١	الامضاء
٢	المقدمة
٩	الزمن اللغوى . المصطلح
١٦	القسم الأول : الدراسة النظرية
٢٠	الفصل الأول : « الزمن الصرفى »
٢٩	الفصل الثانى : « امكانات الصيغة »
٣٠	الفصل الثالث : « الزمن النحوى »
٤٠	الفصل الرابع : « الزمن » بين أسلوبي . احمر والاسود
٤٠	الفصل الخامس : الزمن والاعراب
٤١	الفصل السادس : الزمن الدلالى
٤٥	الفصل السابع : الظرف الزمنى
٤٦	القسم الثانى : « الدراسة التطبيقية »
٤٧	الفصل الأول : حقل الماضى
٤٧	الفصل الثانى : حقل الزمن
٤٧	المبحث الأول : حقل الزمن المستمر
٤٨	المبحث الثانى : حقل الزمن الحاضر
٤٩	المبحث الثالث : حقل المستقبل
٥١	المصادر والمراجع
٥١	المراجع الأجنبية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٢٠٧٢

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٩٠٧ - x

ABSTRACT

This thesis proposes to give a comprehensive study to the theoretical basis of conception of Time and Tense in the Arabic Language, and to present a scheme for Arabic Tense. Accordingly, this thesis is divided into two main parts. The first deals with the theoretical side of the study and the second contains types of Tense in practice.

The first chapter deals with morphological time, the second exposes the potentialities of Tenses in Arabic the third deals with the syntactic Time, the fourth discusses Times in the stative and effective sentences, the fifth deals with Time and grammar, the sixth deals with the syntactic time, and the seventh with adverbial Time.

The second part contains two chapters the first tackles the field of the past tense while the second handles tenses concerning the fields of time in the present, future and overlapping time.

The main results of this study are .

1. The identification of the conception of linguistic time.
2. The dismissal of morphological time from Arabic.
3. The identification of the function of time adverbial in Arabic.
4. Exposing the frequency of complex tense-construction particularly in conditional sentences.
5. Presenting a table of Tenses in Arabic.

Malik e. Al-Mutalibi
Malik Y. Al-Muttalibi
College of Arts,
University of Baghdad

TIME IN LANGUAGE

A THESIS

**SUBMITTED TO THE DEPARTMENT OF
ARABIC, COLLEGE OF ARTS OF THE UNIVERSITY
OF BAGHDAD IN PARTIAL FULFILLMENT OF
THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE
OF DOCTOR OF PHILOSOPHY**

By

MALIK YOUSIF AL-MUTTALIBI

January 1984

PH. D

دراسة جادة حول المدلولات الزمنية في اللغة العربية
الفصيحة عبر استقراء المادة اللغوية وما فيها من صيغ
وتركيبات الأفعال . . مع مناقشة الظواهر اللغوية في العربية
التاريخية والعربية المعاصرة وظواهر اللهجات العامية العربية
في إطار المقارنة والتوضيح .

To: www.al-mostafa.com